عمر عاشور

كيف يقاتل تنظيم الدولة "داعش"

التكتيكات العسكرية في العراق، سوريا، ليبيا و مصر



كيف يقاتل تنظيم الدولة "داعش"؟

التكتيكات العسكرية في العراق وسورية وليبيا ومصر

عمر عاشور

تقديم

لاري ب. غودسون

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
عاشور، عمر

كيف يقاتل تنظيم الدولة "داعش"؟: التكتيكات العسكرية في العراق وسورية وليبيا ومصر / عمر عاشور؛ تقديم لاري ب. غودسون.

312 ص.: جداول؛ 24 سم.

يشتمل على ببليوغرافية (ص. 293-301) وفهرس عام.

ISBN 978-614-445-466-4

1. داعش (منظمة) 2. تنظيم القاعدة. 3. حرب العصابات. 4. الإرهاب. 5. الإسلام والسياسة. 6. الحركات الإسلامية. 7. الإسلام والدولة. 8. الإسلام، نظام الحكم في. 9. الجهاد في الإسلام. أ. غودسون، لاري ب. ب. العنوان.

355.0218

العنوان بالإنكليزية

How ISIS Fight
Military Tactics in Iraq, Syria, Libya and Egypt

by Omar Ashour

الناشر

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

شارع الطرفة - منطقة 70
وادي البنات - ص. ب: 10277 - الظعاين، قطر
هاتف: 0097440356888

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174
ص. ب: 4965 11 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان
هاتف: 8 991837 1 00961 فاكس: 1991839 00961
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

الطبعة الأولى

بيروت، أيار/ مايو 2022

الإهداء

إلى الأحباء الذين لم أستطع توديعهم

المحتويات

قائمة الجداول

مسرد بالاختصارات

ABM	Ansar Bayt al-Maqdis (Supporters of Jerusalem)	أنصار بيت المقدس
AFELs	Armored Front-end Loaders	جرافات أمامية مدرعة
ANSAs	Armed Non-state Actors	فاعلون مسلحون دون الدولة
AOC	Anbar Operations Command	قيادة عمليات الأنبار
AQ	al-Qaida	القاعدة
AQI	al-Qaida in Iraq	القاعدة في العراق
ASAs	Armed State Actors	فاعلون مسلحون يتبعون دولة
ATGMs	Anti-tank Guided Missiles	صواريخ موجهة مضادة للدروع
CSF	Central Security Forces	قوات الأمن المركزي
CJTF	Combined Joint Task Force	قوة المهام المشتركة
CQAs	Close-quarter Assassinations	اغتيالات عن قرب
DMSC	Council of Mujahidin of Derna and Its Environs	مجلس شورى مجاهدي درنة وضواحيها
FSA	Free Syrian Army	الجيش السوري الحر
GF	Guerrilla Formations	تشكيلات المغاوير
GIA	Groupe Islamique Armé (Armed Islamic Group)	الجماعة الإسلامية المسلحة

GNA	Government of National Accord	حكومة الوفاق الوطني
HBIEDs	House-borne Improvised Explosive Devices	عبوات ناسفة مرتجلة تحت المباني
iALLTR	Intelligence; Absorb/recruit; Loot; Lead; Transfer (modus operandi)	جمع المعلومات الاستخبارية؛ الاستيعاب/ التجنيد؛ النهب؛ القيادة؛ النقل (طريقة عمل)
IEDs	Improvised Explosive Device	عبوات ناسفة مرتجلة
IS	Islamic State (organisation)	(تنظيم) الدولة الإسلامية
ISI	Islamic State in Iraq	دولة العراق الإسلامية
ISIS	Islamic State in Iraq and Sham (Levant) (Daesh in the Arabic acronym)	الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش"
ISWD	Islamic State Ways of Warfare Database	قاعدة بيانات أساليب حرب الدولة الإسلامية
ISR	Intelligence, Surveillance and Reconnaissance	الاستخبارات، المراقبة، الاستطلاع
IYSC	Islamic Youth Shura Council	مجلس شورى شباب الإسلام
JTACs	Joint Terminal Attack Controllers	وحدات التحكم الطرفية المشتركة في الهجوم
JN	Jabhat al-Nusra	جبهة النصرة
KNC	Kurdish National Council	المجلس الوطني الكردي
LAG	Loss of Accuracy Gradient	فقدان الدقة المتدرج
LER	Loss Exchange Ratio	نسبة الخسائر المتبادلة
LIFG	Libyan Islamic Fighting Group	الجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا
LNA	Libyan National Army	الجيش الوطني الليبي
LSG	Loss of Strength Gradient	فقدان القوة المتدرج
MANPADS	Man-portable Air-defence Systems	أنظمة دفاع جوي محمولة
NTC	National Transitional Council	المجلس الوطني الانتقالي

NFC	National Forces Coalition	تحالف القوى الوطنية
JCP	Justice and Construction Party	حزب العدالة والبناء
OIR	Operation Inherent Resolve	عملية العزم الصلب
PKK	Kurdistan's Workers Party	حزب العمال الكردستاني
PMUs	Popular Mobilisation Units	وحدات الحشد الشعبي
PYD	Democratic Union Party	حزب الاتحاد الديمقراطي
SCAF	Supreme Council of Armed Forces	المجلس الأعلى للقوات المسلحة
SCCLC	Soften-creep; Coalition-build; Liquidate-consolidate (Modus Operandi)	الإثخان-الزحف؛ بناء التحالف؛ التصفية - التمكين (طريقة عمل)
SDF	Syria's Democratic Forces	قوات سوريا الديمقراطية
SGFs	Suicide Guerrilla Formations (Inghimassiyun or Plungers)	تشكيلات المغاوير الانتحارية (الانغماسيون)
S/MBIEDS	Suicide/Motorcycle-borne Improvised Explosive Device	الدراجات المفخخة/ الانتحارية
SOSRA	Suppress, Obscure, Secure, Reduce and Assault (Breaching-sequence)	الضغط، التضليل، التأمين، السحق، الانقضاض (تسلسل الاختراق)
SP	Sinai Province	ولاية سيناء
SSI	State Security Investigations	مباحث أمن الدولة
S/VBIEDs	Suicide/Vehicle-borne Improvised Explosive Device	عربات مفخخة/ انتحارية
TJI	al-Tawhid wa al-Jihad in Iraq (Monotheism and Struggle in Iraq)	التوحيد والجهاد في العراق
TJS	al-Tawhid wa al-Jihad in Sinai (Monotheism and Struggle in Sinai)	التوحيد والجهاد في سيناء
UCAVs	Unmanned Combat Aerial Vehicle	طائرة من دون طيار/ مسيّرة
YPG	People's Protection Units	وحدات حماية الشعب
YPJ	Women's Protection Units	وحدات حماية المرأة

شكر وتقدير

قد يكون البحث في الفاعلية القتالية، والابتكارات التكتيكية، والتبديلات والتكيّفات الاستراتيجية، لمجموعة من التنظيمات المتطرفة - العنيفة، أمرًا صعبًا وخطرًا ومستنزِفًا. وفي ذلك، أود أن أعبّر عن امتناني العميق والصادق لكل من ساعدني خلال هذه الرحلة.

أُعبّر عن امتناني للمدير العام للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، عزمي بشارة، لدعمه المستمر لهذا المشروع البحثي. كما أشكر المدير التنفيذي للمركز، محمد المصري، ورئيس قسم الأبحاث، حيدر سعيد والمحرر العلمي للمركز، جمال باورت وكل الزملاء في المركز.

أنا ممتن لفريقي البحثي في وحدة الدراسات الاستراتيجية في المركز العربي، وفي ذلك أشكر مساعديّ صوفية حنازلة ومجد أبو عامر للمساعدة البيليوغرافية والعديد من المهمات ذات الصلة بالبحث والمراجعة، وأشكر مهند سلوم وعبده موسى ومحمود الحسين لعملهم على قاعدة بيانات أساليب حرب الدولة الإسلامية (ISWD). كما أدينُ بالشكر لفريق إدارة الأبحاث والمنح في معهد الدوحة للدراسات العليا (رائد حبايب ومريم شعث ومنار عرفة) على دعمهم طوال هذا المشروع. إن قاعدة البيانات (ISWD) والعديد من نشاطات جمع البيانات، بما في ذلك بعض الرحلات الميدانية والمقابلات، أصبحت ممكنة بفضل منحة صندوق الأبحاث الكبرى (MRF 03-01) من معهد الدوحة للدراسات العليا. أما النتائج التي توصل إليها الكتاب، فهي مسؤوليتي وحدي.

تطوّر البحث الأولي لهذا الكتاب خلال فترة عملي في جامعة إكستر. وبناء عليه، أتقدم بالشكر لغاريث ستانسفيلد وجوناثان جيثينز مازر ووليام غالوا.

إنني مدين للعديد من الناس في العراق وسورية وليبيا ومصر والشرق الأوسط وأوروبا وأميركا الشمالية على تعليقاتهم وردودهم ومساعداتهم في المقابلات التي أجريتها. على سبيل المثال لا الحصر: من العراق، أتقدم بالشكر لحيدر سعيد ويحيى الكبيسي وثلاثة ضباط سابقين في الجيش العراقي، وغيرهم. ومن سورية، أنا ممتن لحمزة المصطفى وأسامة أبو زيد ومحمد سرميني ومحمد عقدة وسعد الشارع ومطر إسماعيل ونواف خليل. ومن ليبيا، الشكر لمحمد الضراط واللواء يوسف المنقوش وأنس القماطي ونعمان بن عثمان وأحمد حسين. ومن مصر، لعبده موسى وعبد الفتاح ماضي وهاني فتحي. كما أتقدم بالشكر للفريق تيري وولف وكميل الطويل وهوغو كامان وآرون زيلين على مساعدتهم؛ وساعدني موقع "*Jihadology*"، على وجه الخصوص، في الوصول إلى العديد من منشورات دولة العراق الإسلامية والدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" والدولة الإسلامية (تنظيم الدولة)، والإصدارات الصوتية والمرئية التي أنتجها. ساعدني كل من سبق ذكره وكثيرون غيرهم، بسخاء، أو شاركوني معارفهم حول هذا الموضوع.

يدور هذا الكتاب حول التكتيكات القتالية وطرائق الحرب. لذا، لا تكتمل كلمات الشكر والتقدير من دون الإشارة إلى الأشخاص الذين عانوا العنف السياسي وقمع الدكتاتوريات وإرهاب "تنظيم الدولة" (داعش). وعلى الرغم من أنني لا أذكر الكثير منهم بالاسم، فإنني ممتنٌّ جدًّا لجميع الذين وثِقوا بي وشاركوني تجاربهم الغنية وتبصّراتهم الثاقبة وآلامهم الكبيرة وآمالهم المتواضعة - بعضهم في ظل ظروف صعبة لا يمكن تصوّرها تقريبًا. آمل أن يقبلوا امتناني. وبالطبع، إن أي أخطاء تقع، فهي على عاتقي وحدي.

لا يفوتني في النهاية، التعبير عن شكري للمترجم معين رومية الذي ساهم في إعداد النص العربي لهذا الكتاب الذي كان قد وُضع في الأصل باللغة الإنكليزية.

امتناني الأخير لعائلتي؛ لوالدي الراحل، وأمي وعمي، الذين لم يفقدوا الثقة بي في أثناء الرحلة، ولخالي في لندن الذي كثيرًا ما أغنت بصيرته وخبراته أفكاري، ولأختي وأخي على حبّهما وتشجيعهما.

تقديم

لاري ب. غودسون[1]

يسعى عمر عاشور للإجابة عن سؤال مهم ظلّ حتى الآن عصيًّا على الفهم في الأوساط الأكاديمية، وحتى في أوساط كبار المسؤولين العسكريين، مفاده: كيف حقق تنظيم "داعش" النجاح؟ على الرغم من أن جيوش الدول التي يحاربها على نحوٍ أساسي تفوقه عددًا وعدة، ويشمل ذلك "التحالف الدولي لهزيمة 'داعش'" (المكوّن من 77 دولة و5 تنظيمات حكومية دولية). فعلى الرغم من الأدبيات التي ازدهرت بشأن الحروب الدائرة في العراق وسورية منذ عام 2011، لم يتمكّن أحد من تقديم تفسير مقنع وشامل لأسباب نجاح "داعش" والكيفية التي نجح بها سابقًا وبقائه حتى الآن. ولذلك يأتي هذا الكتاب ليسدّ ثغرةً كبرى في الدراسات العسكرية والحربية والاستراتيجية والأمنية.

يبدأ الكتاب بعرض الدراسات الأكاديمية للثورات والتمردات المسلحة التي وضعها توماس إدوارد لورانس (لورانس العرب) (Thomas Lawrence of Arabia)، وماو تسي تونغ (Mao Tse-tung)، وجيرالد تمبلر (Gerald Templar)، وإدوارد لانسديل (Lansdale Edward)، وإرنستو غيفارا (Ernesto Guevara)، وديفيد غالولا (David Galula)، وبروس هوفمان (Hoffman Bruce)، وباحثون أحدث مثل إيفان أريغوين-توفت (Ivan Arreguín-Toft)، وجاسون ليال (Jason Lyall)، وآيزايا

(1) رئيس قسم الأمن القومي في كلية الحرب التابعة للجيش الأميركي.

ويلسون (Isaiah Wilson)، وديفيد كيلكولين (David Kileullen)، وجون ناغل (Nagl John A.). ثمّ يستكشف العوامل التقليدية المرتبطة بنجاح التمرد المسلح، مثل الدعم من قوة خارجية، أو الدعم الشعبي من سكان ساخطين، أو توافر الملاذ الآمن، أو الجغرافيا أو التضاريس، أو نوع النظام الحاكم، أو عوامل أخرى، قد تكون، فرادى أو مجتمعة، قادرةً على تفسير نجاح "داعش". يجد المؤلف أن معظم هذه العوامل ليس ذا أهمية حاسمة، وخصوصًا في حالة "داعش"، ولذلك يُركز اهتمامه على الاستراتيجيات والتكتيكات العسكرية التي يستخدمها هذا التنظيم، والتي تعتبر أساسية في تحقيق نجاحاته.

استند بحث المؤلف إلى العمل الميداني والمقابلات مع جنود ومقاتلين حاربوا "داعش"، وإلى التحليل الشامل لمنشورات "داعش" وإصداراته الإعلامية المتعدّدة الوسائط. ويجري التحليل أساسًا على المستوى المتوسط، مع التركيز على استراتيجياته وتكتيكاته، ويركز على 17 معركة حضرية (داخل مدن أو بلدات) عبر 10 جبهات في أربعة بلدان، ليكتشف أن نجاح "داعش" يكمُن في التبديل المرن بين ثلاثة أنماط رئيسة من الاستراتيجيات، و15 فئة من التكتيكات، وعدد من الخطط العملياتية. إنّ سرعة التكيّف والقدرة على الإبداع هي السبب في نجاح "داعش"، على الرغم من نقائصه؛ ويشرح هذا الكتاب، بدقة، كيفية عمل سرعة التكيّف والقدرة على الإبداع التكتيكي والعملياتي. وإجمالًا، تُعدّ هذه النتائج رائدةً.

في المآل، سوف يزداد فهم القراء للكيفية التي يُقاتل بها "داعش"، وللأسباب التي تجعله يقاتل، والكيفية التي جعلته بهذه المرونة. زدْ على ذلك أن هذا الكتاب يقدم تبصّرات بشأن الكيفية التي سوف تقاتل بها التنظيمات المسلحة دون الدولة، وتكسب بها المعارك في عصر الحرب الهجينة. وهذا ما يجعل الكتاب ذا أهمية كبيرة للأكاديميين والعسكريين على حد سواء، لأن كليهما يحتاج إلى هذه التبصّرات.

الفصل الأول

هل هي مجرد تكتيكات؟
كيف يصمد المتمردون الأضعف وكيف يتمددون؟

"لا يبقى إذا لم يتمدد".
(عزمي بشارة متحدثًا عن "داعش")[1].

"إذا ارتدى أفراد فريق كرة سلّة ناشئ زيّ الليكرز، فهذا لا يجعلهم مثل كوبي براينت".
(باراك أوباما متحدثًا عن تورّط "داعش" في الاستيلاء على الفلوجة، كانون الثاني/ يناير 2014)[2].

(1) عزمي بشارة، "تنظيم الدولة المكنّى 'داعش': إطار عام ومساهمة نقدية في فهم الظاهرة"، **سياسات عربية**، العدد 35 (تشرين الثاني/ نوفمبر 2018)، ص 11.

(2) كوبي براينت (1978-2020): لاعب كرة سلة شهير في فريق لوس أنجلوس ليكرز سابقًا. ينظر:
David Remnick, "Going the Distance: On and Off the Road with Barack Obama," *The New Yorker*, 20/1/2014, accessed on 2/8/2021, at: https://bit.ly/2K6erQv

أولًا: الصمود العسكري لتنظيم "الدولة الإسلامية"

يتضح من دراسة تنظيم "الدولة الإسلامية"(3) أن نِسب قوته ونفوذه تبدو ضئيلة، مقارنةً بخصومه من الدول وما دون الدول. ومع كلّ هذا التفاوت، وعلى الرغم من القوة العسكرية الضخمة التي استخدمتها ضده، على مدى سنوات عدة، جيوش مختلفة، بما فيها قوات الولايات المتحدة الأميركية، أصبح "داعش" التنظيمَ الجهادي المهيمن الذي سيطر في إحدى المراحل على أراضٍ يسكنها نحو 8 ملايين شخص في العراق وسورية. ووسّع نطاق سيطرته ما بين محافظة حلب السورية، وصولًا إلى محافظة ديالى العراقية، على منطقة يبلغ عرضها أكثر من 600 ميل، شملت أجزاء من محافظات الأنبار ونينوى وكركوك وصلاح الدين في العراق، وكذلك الرقة وأجزاء من الحسكة ودير الزور وحلب وحمص وريف دمشق في سورية. واحتلّ أيضًا ضاحية الحجر الأسود وأجزاء واسعة من مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين في دمشق، واستولى على مواقع عدة وانتزعها، على بعد أقل من ثلاثة أميال من سوق الحميدية وسط دمشق. كما سيطر و/ أو انتزع مناطق خارج العراق وسورية، منها مناطق صغيرة في ليبيا، ومصر (في شمال شرق سيناء) وأماكن أخرى.

في عام 2014، قدّرت وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية (CIA) أن

(3) يعتمد استخدام مصطلحات دولة العراق الإسلامية، والدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش"، والدولة الإسلامية (تنظيم الدولة)، في متن الكتاب على الإطار الزمني موضع النقاش. وسيجري توضيح ذلك عند التعريف بمصطلحات الكتاب لاحقًا. وعادة ما يُستخدم الاختصار "داعش" بصفة ازدرائية لوصف تنظيم الدولة الإسلامية وأسلافه من التنظيمات، أو الأفكار، أو الممارسات، أو المنظمات أو الأفراد المتطرفين العنيفين.

عدد عناصر تنظيم الدولة يراوح بين 20,000 و31,000 مقاتل[4]. وتعني هذه التقديرات أنه في ذلك الوقت كان هناك نحو عشرة جنود نظاميين عراقيين في مقابل كل مقاتل من التنظيم، إضافة إلى القوى الداعمة و/ أو الحليفة، بما في ذلك وحدات البشمركة وميليشيات الحشد الشعبي وميليشيات الحشد العشائري وقوات التحالف الدولي. زدْ على ذلك أن اختلال التوازن في العدد الإجمالي للمقاتلين كان واضحًا أيضًا في الاشتباكات بين "داعش" وأعدائه. فعلى سبيل المثال، في 10 حزيران/ يونيو 2014، سقطت مدينة الموصل في أيدي قوة من "داعش"، يراوح عدد أفرادها بين 800 و1100 مقاتل، مع أن عشرات الآلاف من جنود الجيش العراقي ورجال الشرطة كانوا يتمركزون فيها وحولها[5]. وفي المآل، خسر "داعش" مدينة الموصل بعد أكثر من تسعة أشهر من القتال ضد القوات التي تقودها الولايات المتحدة والعراق التي تفوّقت عليه عددًا وعُدّة وعتادًا[6].

لم تكن الموصل هي الحالة الوحيدة. لقد نجح تنظيم الدولة في تحقيق اختراقات عسكرية في مدن عراقية أخرى، مثل الفلوجة والرمادي. وقاتل التنظيم وسلفه، الدولة الإسلامية في العراق والشام[7] "داعش"، في سورية ضد معظم الفاعلين المسلحين الآخرين، دولة أو دون الدولة، في البلد الذي مزّقته الحرب الأهلية. ففي الرقة، تمكّن "داعش" في البداية من السيطرة على هذه العاصمة الإقليمية، وهي مفتاح الدخول إلى إقليم الجزيرة التاريخي، الموزع حاليًا بين سورية وتركيا والعراق عمومًا، وكامل الجزيرة الفراتية السورية (الرقة ودير الزور والحسكة)، أو القسم الأوسط من إقليم الجزيرة التاريخي، ثم الاستيلاء عليها كلّها بحلول كانون الثاني/ يناير 2014. وتفوّقَ على "داعش"

---

(4) Jim Sciutto, Jamie Crawford & Chelsea J. Carter,"ISIS can 'Muster' between 20,000 and 31,500 Fighters, CIA says," *CNN*, 12/9/2014, accessed on 2/8/2021, at: https://cnn.it/2V4LNWm

تحوي الفصول اللاحقة من هذا الكتاب تقديرات أخرى.

(5) للاطلاع على مزيد من التفصيلات عن تلك المعركة، ينظر: الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(6) *CNN*, 25/10/2016, accessed on 2/8/2021, at: https://cnn.it/34Br2Vv

(7) تعادل الشام هنا في فهم تنظيم الدولة لها: سورية والأردن وفلسطين ولبنان؛ أي بلاد الشام التاريخية أو "سوريا الطبيعية الكبرى".

عددًا وعُدّة وعتادًا تحالفٌ مختلط من المعارضة السورية المسلحة، شمل وحدات من الجيش السوري الحر وأحرار الشام وجبهة النصرة. وعلى الرغم من ذلك، حققت وحدات "داعش" انتصارًا حاسمًا في المدينة، تبعه تقدم تكتيكي في محافظات أخرى ضد القوات الموالية لنظام الأسد، وكذلك ضدّ تنظيمات المعارضة المسلحة السورية كلها، بين عامي 2014 و2017[8]. وفي ليبيا، وبأقل من 600 مقاتل في البداية، تمكّنت وحدات تنظيم الدولة من الاستيلاء على مدينة سرت بحلول آذار/ مارس 2015[9]. وما بين آذار/ مارس وأيار/ مايو 2015، صدّ التنظيم هجومًا مضادًا لاستعادة المدينة، شنّته الكتيبة 166 الموالية لرئاسة الأركان الليبية وحكومة طرابلس، وكانت القوات المهاجمة تفوقه أيضًا عددًا وعُدّة وعتادًا. وتمكن التنظيم من قمع تمرد محلي بوحشية في المدينة ما بين أيلول/ سبتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر 2015. وعلاوة على ذلك، سيطر تنظيم الدولة في ليبيا على أحياء عدة في مدينتي درنة وبنغازي، قبل أن يفقد كل الأراضي المذكورة بحلول صيف عام 2017[10]. وفي سيناء المصرية، بلغ الفرق في نسب القوى البشرية حدًّا مثيرًا. ففي بعض الأحيان، كان هناك نحو 100 جندي نظامي في مقابل كل مقاتل من تنظيم الدولة في شمال سيناء[11]. وهذه هي النسبة المقدرة للقوى البشرية فحسب، فلا يتفوق "داعش"/ تنظيم الدولة في أي من العوامل الأخرى ذات الصلة، مثل نسب القوة النارية ونوعية الأسلحة وكمية الذخائر والدعم الجوي والدعم الاستخباري والمساعدات العسكرية الإقليمية والدولية.

---

(8) للاطلاع على تحليل تفصيلي لحملات "داعش"/ تنظيم الدولة في سورية، ينظر: الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(9) للاطلاع على تحليل تفصيلي لحملات تنظيم الدولة في ليبيا، ينظر: الفصل الرابع من هذا الكتاب.

(10) خسر تنظيم الدولة الأحياء التي يسيطر عليها في وسط مدينة درنة أمام تحالف من الفاعلين المسلحين دون الدولة، بقيادة مجلس شورى مجاهدي درنة وضواحيها بحلول تموز/ يوليو 2015. وانسحب التنظيم تمامًا من ضواحي درنة بحلول نيسان/ أبريل 2016. وحُرِّرت مدينة سرت كلها من قوات تنظيم الدولة بحلول كانون الأول/ ديسمبر 2016. وخسرت "ولاية برقة" كل الشوارع والأزقة التي كانت تسيطر عليها في بنغازي أمام تحالف من الميليشيات، يطلقون على أنفسهم اسم "الجيش الوطني الليبي" بحلول شباط/ فبراير 2017.

(11) للاطلاع على تحليل تفصيلي لحملات تنظيم الدولة في سيناء، ينظر: الفصل الخامس.

أمّا لجهة الفاعلية القتالية - وبصرف النظر مؤقتًا عن الفكر البالغ التطرف والسردية الطائفية والوحشية المستمرة والطابع الشرير العام لتنظيم الدولة[12] - فقد نجح في تحقيق اختراقات عسكرية متواصلة، بعدد وموارد محدودة نسبيًا في مواجهة فاعلين مسلحين، سواء أكانوا من الدول أم دون الدول. وعلاوة على ذلك، أظهر التنظيم قدرًا أكبر من الصمود، مقارنة بغيره من الفاعلين المسلحين دون الدولة (Armed Non-state Actors, ANSAs) في المنطقة، سواء أكانوا من الجهاديين أم من غير الجهاديين. ففي كانون الأول/ ديسمبر 2015، أعلن البنتاغون أنه نفّذ 8600 غارة جوية، وأسقط أكثر من 28,000 قنبلة على مواقع تنظيم "داعش". وهذا يشكل ما متوسّطه 17 غارة جوية و60 قنبلة كل يوم، لمدة 18 شهرًا تقريبًا منذ بدء الحملة. وكما سنوضح في الفصول التالية،

---

(12) لن يُحلّل الكتاب هذه الأبعاد إلّا من حيث قيمتها العسكرية بالنسبة إلى التنظيم. هناك كتب ودراسات أخرى استكشفت هذه الأبعاد. وللاطلاع على تاريخ شامل لتنظيم الدولة الإسلامية وأسلافه من التنظيمات، وتحليل صعوده بصفته ظاهرة إقليمية واجتماعية - سياسية، ينظر: عزمي بشارة، **تنظيم الدولة المكنّى "داعش"، الجزء الأول: إطار عام ومساهمة نقدية في فهم الظاهرة** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018)؛ عزمي بشارة [وآخرون]، **تنظيم الدولة المكنّى "داعش"، الجزء الثاني: التشكل والخطاب والممارسة** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018). وحول الأيديولوجيا البالغة التطرف التي يتبنّاها تنظيم الدولة، ينظر: فالح عبد الجبار، **دولة الخلافة: التقدم إلى الماضي** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017)؛ حسن أبو هنية ومحمد أبو رمان، **تنظيم الدولة الإسلامية: الأزمة السنية والصراع على الجهادية العالمية** (عمّان: مؤسسة فريدريش إيبرت، 2015)؛

William McCants, *The ISIS Apocalypse: The History, Strategy, and Doomsday Vision of the Islamic State* (New York: St. Martin's Press, 2015).

وحول جرائم القتل الجماعي والجرائم المحتملة ضد الإنسانية التي ارتكبها التنظيم، ينظر:

Michael Weiss & Hassan Hassan, *ISIS: Inside the Army of Terror* (New York: Regan Arts, 2015); Jessica Stern & J. M. Berger, *ISIS: The State of Terror* (Manhattan: Ecco Press, 2015); Joby Warrick, *Black Flags: The Rise of ISIS* (London: Corgi, 2016).

وحول تكتيكات الإرهاب التي يستخدمها التنظيم في أوروبا، ينظر:

Petter Nesser, *Islamist Terrorism in Europe: A History* (Oxford: Oxford University Press, 2018).

وحول السرديات الطائفية للتنظيم، ينظر مثلًا: حسن حسن، "طائفية تنظيم الدولة الإسلامية: الجذور الأيديولوجية والسياق السياسي"، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، حزيران/ يونيو 2016، شوهد في 12/ 10/ 2021، في: https://bit.ly/3v5KSpa

وللاطلاع على أحدث التحليلات والرؤى حول التنظيم، ينظر مثلًا:

jihadology.net; aymennjawad.org

فإن هذه الأرقام تبدو قليلة، مقارنةً بأرقام عام 2016 وما بعده. فقد قُدِّرت خسائر تنظيم الدولة، بحلول شباط/ فبراير 2017، بأكثر من 45,000 عنصر، أو حوالى 50 قتيلًا في اليوم[13]. وفي بعض معارك عام 2017، تجاوزت نسبة الخسائر المتبادلة 20 إلى 1 ضد التنظيم. ويقارن هذا بنسبة 1 إلى 3 في حرب الهند الصينية الأولى، أو الحرب الفيتنامية - الفرنسية (1946-1954) (شاملة فيتنام والمناطق المجاورة) لمصلحة القوات الفرنسية وحلفائها، و1 إلى 10 في الحرب الفيتنامية الثانية (1959-1975) لمصلحة القوات الأميركية وحلفائها[14].

وعلى الرغم من الخسائر التي لحقت بتنظيم الدولة في الموصل والرمادي وتكريت والفلوجة وتلعفر والرقة ودير الزور ومنبج والباب وجرابلس ودرنة وبنغازي وسرت والشيخ زويد، وأكثر من 120 بلدة وقرية أخرى، ما بين جنوب الفلبين (مدينة مَراوي) وغرب ليبيا (مدينة صبراتة)، فإن الفاعلية القتالية للتنظيم تستحق التحليل والفهم. فحتى وقت تأليف هذا الكتاب، لم يُدمَّر تنظيم الدولة كليًّا، بل استطاع المناورة والتحوّل والابتكار والضرب في أماكن أخرى، منها موزامبيق وجمهورية الكونغو الديمقراطية. وإذا ما أخذنا موازين القوى في الحسبان، فإن الاستيلاء المستمر على كثير من المدن والبلدات المذكورة سابقًا يمثّل تحديًا للتوقعات العسكرية التقليدية. ووفقًا لأحد المقاييس تحديدًا، أثبت تنظيم الدولة أنه أكثر مرونة، على سبيل المثال، من نظام طالبان في أفغانستان في عام 2001، أو حكومة البعث في العراق في عام 2003.

فقدت حركة طالبان السيطرة على عاصمتها قندهار فعليًا، بعد حوالى 60 يومًا من الضربات الجوية، بقيادة الولايات المتحدة، والهجمات البرية

(13) الفريق (المتقاعد) تيري وولف، مقابلة شخصية، براغ، 10/ 2/ 2017؛
"Department of Defense Press Briefing by Lieutenant General Sean MacFarland, Commander, Combined Joint Task Force-Operation Inherent Resolve via Teleconference from Baghdad, Iraq," US Dept of Defense, 10/8/2016, accessed on 2/8/2021, at: https://bit.ly/3tbe8sP

(14) Kathryn M. Cochran & Stephen B. Long, "Measuring Military Effectiveness: Calculating Casualty Loss-Exchange Ratios for Multilateral Wars, 1816-1990," *International Interactions*, vol. 43, no. 6 (2017), pp. 1024-1026.

للمعارضة الأفغانية[15]. وفقد نظام صدام حسين سيطرته على عاصمته بغداد بعد أقل من 30 يومًا من بدء الغزو الأنكلو - أميركي[16]. في حين استمر تنظيم الدولة أكثر من 1065 يومًا[17] في كل من عاصمتيه، الموصل في العراق (حتى تموز/ يوليو 2017) والرقة في سورية (حتى تشرين الأول/ أكتوبر 2017)، تحت وقع غارات جوية وهجمات برية يشنّها عليه تحالف عالمي، يضم دولًا وفاعلين دون الدولة، بدأت في 15 حزيران/ يونيو 2014 بـ "عملية العزم الصلب"، ثم في 10 تشرين الأول/ أكتوبر 2014 بـ "قوة المهام المشتركة - عملية العزم الصلب".

كيف نفسّر عسكريًا الصمود الحالي والتمدد السابق لمثل هذا التنظيم؟ كيف قاتل "داعش"/ تنظيم الدولة الإسلامية قوى دولية وإقليمية ومحلية أقوى منه بين عامي 2013 و2020؟ وكيف نفسّر قتاله وفاعليته العسكرية الشاملة؟ وكيف يؤثر ذلك في الفاعلية العسكرية الشاملة للفاعلين المسلحين الآخرين دون الدولة؟ تعالج فصول الكتاب هذه الأسئلة، مع التركيز على العراق وسورية وليبيا ومصر.

ثانيًا: لماذا يصمد الطرف الأضعف أو ينتصر؟ مراجعة نقدية

من نواحٍ عدة، يتحدّى تنظيم الدولة الأدبيات المتوافرة التي تتناول كيفية وأسباب نجاح الفاعلين المسلحين دون الدولة الضعفاء في هزيمة المؤسسات المسلحة للدولة الأقوى منهم أو الصمود أمامهم. إن تنظيم الدولة ليس حالة فريدة من نوعها في طرح هذا التحدي، لكن كيفية صموده وأسبابه فريدة؛ كما يوضح هذا الفصل والفصول التي تليه.

---

(15) "The Taliban Are Forced Out of Afghanistan," *BBC History*, 18/7/2018, accessed on 18/7/2018, at: https://bbc.in/2Rp19pb

(16) "Baghdad Falls to US Forces," *BBC News*, 9/4/2003, accessed on 2/8/2021, at: https://bbc.in/34BuDTv

(17) منذ أيلول/ سبتمبر 2014 (أي حينما بدأت الولايات المتحدة الهجمات قبل إنشاء قوة المهام المشتركة في تشرين الأول/ أكتوبر 2014) إلى تموز/ يوليو 2017 (أي حينما خسر تنظيم الدولة الإسلامية مدينة الموصل).

منذ الربع الأخير من القرن العشرين، حدث ارتفاع مطّرد في فاعلية المتمردين العسكرية وقدراتهم، ولذلك ازدادت على نحوٍ ملحوظ أرجحية انتصارهم. إنّ أندرو ماك[18]، وإيفان أريغوين-توفت[19]، وجاسون ليال وآيزايا ويلسون[20]، وبن كونابل ومارتن ليبيكي[21]، وسيث جونز وباتريك جونستون[22]، وديفيد كيلكولين[23]، وسيباستيان شوت[24]، وسيث جونز[25]، وباحثين غيرهم، أظهروا ارتفاعًا في انتصارات المتمردين على كيانات نظامية أقوى، أو ارتفاعًا في عدم قدرة كيانات نظامية على هزيمة متمردين أضعف[26]. يمثل هذا الأمر تغيّرًا في الأنماط التاريخية. ففي دراسة أجريت على 197 نزاعًا غير متكافئ، جادل أريغوين-توفت في أن 55 في المئة من الفاعلين الأضعف عسكريًا[27]، انتصروا بين عامي 1950 و1998، في مقابل 11.8 في المئة فقط بين عامي 1800 و1845، و34 في المئة بين عامي 1900 و1945[28]. وأظهر ليال وويلسون أن في 286 تمردًا بين عامي 1800 و2005، انتصرت الكيانات النظامية في 25

(18) Andrew Mack, "Why Big Nations Lose Small Wars: The Politics of Asymmetric Conflict," *World Politics*, vol. 27, no. 2 (January 1975), pp. 175-200.

(19) Ivan Arreguín-Toft, *How the Weak Win Wars: A Theory of Asymmetric Conflict* (New York: Cambridge, 2001).

(20) Jason Lyall & Isaiah Wilson, "Rage against the Machines: Explaining Outcomes in Counterinsurgency Wars," *International Organisation*, vol. 63, no. 1 (January 2009), pp. 67-106.

(21) Ben Connable & Martin C. Libicki, *How Insurgencies End* (Arlington: RAND Publications, 2010).

(22) Seth G. Jones & Patrick Johnston, "The Future of Insurgency," *Studies in Conflict & Terrorism*, vol. 36, no. 1 (2013), pp. 1-25.

(23) David Kilcullen, *The Accidental Guerrilla: Fighting Small Wars in the Midst of A Big One* (Oxford: Oxford University Press, 2009).

(24) Sebastian Schute, "Geography, Outcome, and Casualties: A Unified Model of Insurgency," *Journal of Conflict Resolution*, vol. 59, no. 6 (2015), pp. 1101-1128.

(25) Seth G. Jones, *Waging Insurgent Warfare: Lessons from the Vietcong to the Islamic State* (New York: Oxford University Press, 2017), p. 9.

(26) Patrick B. Johnston, "The Geography of Insurgent Organisation and its Consequences for Civil Wars: Evidence from Liberia and Sierra Leone," *Security Studies*, vol. 11, no. 1 (2008), pp. 107-137.

(27) تغطي الدراسة فاعلين مسلحين أضعف تابعين للدول (يستخدمون حرب الغوار والتكتيكات التقليدية)، فضلًا عن فاعلين مسلحين دون الدولة يواجهون فاعلين مسلحين أقوى تابعين للدول.

(28) Arreguín-Toft.

في المئة منها فقط، وكان ذلك ما بين عامي 1976 و2005، مقارنةً بـ90 في المئة من انتصارات الكيانات النظامية بين عامي 1826 و1850[29]. وتوصّل كونابل وليبيكي إلى نتيجة مماثلة بعد دراسة 89 تمردًا؛ ففي 28 حالة (31 في المئة)، انتصرت القوات النظامية؛ وفي 26 حالة (29 في المئة) انتصرت قوات المتمردين، وكانت النتيجة ملتبسة في 19 حالة (21 في المئة)[30]. وأظهر جونز أن المتمردين إما انتصروا، وإما قاتلوا النظاميين حتى تعادلوا وتفاوضوا في نحو ثلثي (64 في المئة) 181 نزاعًا مسلحًا منذ عام 1945[31].

إجمالًا، وبصرف النظر عن مجموعة البيانات المستخدمة والإطار الزمني المحدد، كانت النتائج متّسقة. لقد غيّر الفاعلون المسلحون دون الدولة اتجاهًا تاريخيًا. وما عاد ممكنًا التسليم بأن الدولة تحتكر وسائل العنف. ومن ثمّ، لا يمكن افتراض أن الكيانات النظامية المسلحة للدول هي أكثر قدرة على الصعيد العالمي على هزيمة الفاعلين المسلحين دون الدولة في ساحات المعارك من دون دراسة وتمحيص. قد يبدو، ظاهريًا، أن تنظيم الدولة الإسلامية ما هو إلّا منظمة أخرى تُدرج في هذا الاتجاه الصاعد. ومع ذلك، فإن تفسير الاختراقات العسكرية التي حققها بين عامي 2013 و2017، فضلًا عن صموده بعد ذلك في مواجهة خصوم يفوقونه في القوة البشرية والنارية والجوية، أمرٌ لا يُقارن بمعظم الحالات المُدرَجة في مجموعات البيانات المذكورة آنفًا.

تقدم الأدبيات المتعلقة بالفاعلين المسلحين دون الدولة مجموعة واسعة من التفسيرات بشأن الاختراقات العسكرية، تركّز خصوصًا على السكان ونمط النظام الحاكم والجغرافيا والدعم الخارجي والأهداف والتكتيكات والاستراتيجيات. ونشير إلى التفسيرات الأربعة الأولى باسم "المتغيرات التقليدية"؛ لأنها جوهر التفسيرات الكلاسيكية لكثير من انتصارات المتمردين. سلّط ماو تسي تونغ الضوء على مركزية ولاء السكان في نجاح التمرد؛

(29) Lyall & Wilson.

(30) لا يزال النزاع المسلح مستمرًا في الحالات الـ 16 الباقية. ينظر:

Connable & Libicki, p. 5.

(31) Jones, p. 9.

إذ يقول: إن المتمرد "يجب أن يسبح بين الناس كما يسبح السمك في البحر"[32]. ويَخلُص **الدليل الميداني لمكافحة التمرد المسلح الخاص بالجيش الأميركي ومُشاة البحرية** إلى أن التمرد يمثل "مسابقة ولاء" لاستمالة عموم الناس، الحياديين غالبًا، الذين يمكن أن يقفوا إما مع المتمردين، وإما مع القوات النظامية، ويتطلّب النجاح في مكافحة التمرد إقناع هؤلاء السكان الحياديين بالوقوف إلى جانب القوات النظامية من خلال "كسب قلوبهم وعقولهم"[33]. ويُبين كلٌ من إدوارد لانسديل[34]، وستاثيس كاليفاس[35]، أن نمط النظام الحاكم مهم ويؤثر في سلوك السكان. وخلص روبرت ماكول إلى أن "الثورات المسلحة تحدث عندما لا تكون أمام المعارضة السياسية وسائل أخرى متاحة أو قانونية"[36]. واستنادًا إلى تجربة فيتنام، استخلص لانسديل أن من دون الدعم الشعبي، "لم تكن هناك قاعدة سياسية لدعم القتال [ضد المتمردين]". ينبغي النجاح في إقناع السكان بأن حياتهم يمكن أن تتحسّن عبر العمل الاجتماعي والإصلاح السياسي، الأمر الذي يتطلّب حكومة متجاوبة وغير فاسدة وقوات مسلحة ذات سلوك جيد[37].

من ناحية أخرى، تؤثر وحشية تعامل القوات النظامية مع السكان المحليين في ولائهم، ومن ثمّ تساعد هذه الوحشية المتمردين في تجنيد الأفراد وجلب الموارد وإضفاء الشرعية. يُطلق الجنرال ستانلي ماكريستال (Stanley A.

(32) Mao Tse-tung, *On Guerrilla Warfare*, Samuel B. Griffith (trans.) (Champaign: University of Illinois, 1961 [1937]), p. 37.

(33) David Petraeus, James F. Amos & John A. Nagl, *The U.S. Army/Marine Corps Counterinsurgency Field Manual* (Chicago/London: University of Chicago Press, 2007), pp. 79-136.

(34) Edward G. Lansdale, "Vietnam: Do We Understand Revolution?," *Foreign Affairs* (October 1964), pp. 75-86.

(35) Stathis N. Kalyvas, *The Logic of Violence in Civil War* (New York: Cambridge University Press, 2006).

(36) Robert McColl, "The Insurgent State: Territorial Bases of Revolution," *Annals of the Association of American Geographers*, vol. 59, no. 4 (December 1969), p. 630.

(37) Lansdale, p. 78.

ينظر أيضًا:

Edward G. Lansdale, *In the Midst of Wars: An American's Mission to Southeast Asia* (New York: Harper & Row, 1972).

(McChrystal)، القائد السابق للقوات الأميركية في أفغانستان، على هذا التأثير تسمية "حساب [رياضيات] المتمردين" (Insurgents Math): كل مدني بريء تقتله القوات النظامية يُوَلِّد عشرة مقاتلين جدد ضدهم[38]. صاغ كيلكولين في وقت سابق مصطلح "متمرد بالصدفة"، في إشارة إلى عواقب القمع العشوائي الذي يؤدي إلى اجتذاب عناصر من السكان المحليين إلى القتال ضد القوات النظامية حتى من دون أن يكونوا أعداء سابقين لهم[39]. وتوضح باربرا والتر أن حجم الفساد والقمع في المؤسسات السياسية لا يتعلقان مباشرةً ببدء الحرب الأهلية فحسب، بل إنهما المحدِّدان الأساسيان إن كانت البلدان يمكن أن تقع، أو لا تقع، في دوامة حركات تمرد مدعومة محليًا ومتواصلة[40]. ولخّص السير جيرالد تمبلر الذي قاد عملية احتواء التمرد الإثني - اليساري المعروف باسم "الطوارئ المالايوية"، أهمية بروز الدعم الشعبي: "يمثل الجانب المتعلق بإطلاق النار في عملنا 25 في المئة فقط من المشكلة [...] في حين أن الـ 75 في المئة الأخرى تكمن في جعل الناس في هذا البلد يصطفّون وراءنا". ويرى تمبلر أيضًا أن الحلّ لا يتعلق بـ "حشد المزيد من القوات في المعمعة، بل بقلوب الناس وعقولهم"[41]. ولاحظ توماس إدوارد لورانس (لورانس العرب) أن الدعم الفعال المكثف ليس ضروريًا لنجاح التمرد. إن كل ما هو مطلوب "2 في المئة من السكان فاعلون في قوة ضاربة، و98 في المئة متعاطفون"، أو على الأقل محايدون[42]. وكما نوضح بالتفصيل في الفصول التالية، إن تصوّر أن تنظيم الدولة الإسلامية "شرٌّ أقل"، مقارنة بالقوات النظامية أو بالقوات المتمردة

(38) Bob Dreyfuss, "How the US War in Afghanistan Fuelled the Taliban Insurgency," *The Nation*, 18/9/2013, accessed on 2/8/2021, at: https://bit.ly/2yip3sO

(39) Kilcullen.

(40) Barbara Walter, "Why Bad Governance Lead to Repeat Civil Wars," *Journal of Conflict Resolution*, vol. 59, no. 7 (October 2015), pp. 1242-1272.

(41) Lawrence Freedman, "Guerrilla Warfare," in: Lawrence Freedman (ed.), *Strategy: A History* (New York: Oxford University Press, 2013), p. 188.

(42) T. E. Lawrence, "Science of Guerrilla Warfare (1929)," in: Malcolm Brown (ed.), *T.E. Lawrence in War and Peace: An Anthology of the Military Writings of Lawrence of Arabia* (London: Greenhill Books, 2005), p. 284.

الأخرى، كان أمرًا حاسمًا في تشكّل ما خلص إليه لورانس سابقًا في عشرينيات القرن العشرين.

أخيرًا، حين يتعلق الأمر بنمط النظام الحاكم ودعم السكان، جادل عدد متزايد من الأدبيات المعنية بالتمردات المسلحة، في أن وجود حكومات "قوية" يمكن أن يردع السكان عن دعم التمرد، ومن ثمّ يُقلّل من احتمالية نشوبه(43). لكن "القوة" هنا غير محددة بوضوح. ويشير بعض دراسات الحالة المختارة في هذه المجموعة من الأدبيات إلى أن "الوحشية"، لا المؤسسات المهنية القوية والحكم الرشيد في ديمقراطية متماسكة أو ناضجة، تقوم مقام "القوة"(44). ومع ذلك، لا تُفسّر الوحشية الكثير من الحالات. إنّ أنظمة صدام حسين في العراق، وبشار الأسد في سورية، ومعمر القذافي في ليبيا، وعبد الفتاح السيسي في مصر، وأناستاسيو سوموزا في نيكاراغوا، وفولهنسيو باتيستا في كوبا، ومحمد رضا بهلوي في إيران، والعديد من الأنظمة الأخرى، لم تكن، في أي حال، أنظمةً ضعيفةً من حيث قدراتها المالية أو مؤسساتها الأمنية والعسكرية التي لم تفتقر إلى الوحشية. وساهمت "قوتها" المفترضة مباشرة، في نشوب التمرد و/ أو انتصار الثوار الذين قاتلوها.

وجد فيليب كيفير(45) وآنا غيتمانسكي(46) أن احتمال تعرّض الأنظمة

---

(43) Jones, p. 29; James D. Fearon & David D. Laitin, "Ethnicity, Insurgency, and Civil War," *American Political Science Review*, vol. 97, no. 1 (February 2003), pp. 75-76; Michael W. Doyle & Nicholas Sambanis, *Making War and Building Peace* (Princeton: Princeton University Press, 2006), p. 5.

(44) ينظر مثلًا:

Jones, p. 29.

الحجة هي أن تنظيم القاعدة فشل في بدء تمرد في المملكة العربية السعودية في عام 2002. ومع ذلك، كانت هناك حالتا تمرد بدرجة منخفضة القوة بين عامي 2003 و2005 (بقيادة القاعدة في شبه الجزيرة العربية، مع وجود فروع وتشعبات في اليمن المجاورة)، وفي عام 2017 وما بعده في المنطقة الشرقية من متمردين شيعة أساسًا.

(45) Philip Keefer, "Insurgency and Credible commitment in Autocracies and Democracies," *The World Bank Economic Review*, vol. 22, no. 1 (June 2013), pp. 33-61.

(46) Anna Gemtansky, "You Can't Win If you Don't Fight: The Role of Regime Type in Counterinsurgency Outbreaks and Outcomes," *Journal of Conflict Resolution*, vol. 7, no. 4 (July 2012), p. 710.

الديمقراطية لحركات الثورة المسلحة أقل من النصف، مقارنة بالأنظمة اللاديمقراطية. وبعد أن تنشب الثورة المسلحة، أظهر مايكل إنغلهارت[47] وماثيو ويلز[48]، من خلال دراسات تجريبية، أن سجل الأنظمة الديمقراطية في مكافحة التمرد أكثر نجاحًا بقليل من الأنظمة غير الديمقراطية (37.5 في المئة، في مقابل 33 في المئة في عيّنة إنغلهارت المكوّنة من 25 تمردًا، و55 في المئة، في مقابل 53 في المئة في عيّنة ويلز المكوّنة من 286 تمردًا). وتظهر دراسات أخرى أنه عندما تنتهي الحال بالنظام الديمقراطي إلى محاربة المتمردين، فإن أداءه في مكافحة التمرد ونتائج الصراع يختلفان بحسب عوامل أخرى، منها الاستراتيجيات والتكتيكات التي يستخدمها المقاتلون ودعم السكان والجغرافيا والدعم الخارجي، وليس بالضرورة نمط النظام الحاكم[49]. لكنّ القرار الأوّلي للمتمردين والنظاميين بالدخول في صراع مُسلّح، يتأثّر بنمط النظام الحاكم[50].

وتتوافر في الأدبيات أيضًا تفسيرات تتمحور حول الجغرافيا. ففي وقت مبكر من عشرينيات القرن العشرين، لاحظ لورانس أن حرب الغوار تكون على الأرجح فعالة حين تُشنّ من تضاريس وعرة في المناطق الداخلية من البلاد، لا يمكن الوصول إليها[51]. واتفق ماو تسي تونغ مع هذا الرأي، وجادل أيضًا بأن حرب الغوار تكون مُجدِيَة وعملية أكثر في البلدان الكبيرة، حيث تميل

(47) Michael Engelhardt, "Democracies, Dictatorships, and Counterinsurgency: Does Regime Type Really Matter?," *Conflict Quarterly*, vol. 12, no. 3 (June 1992), pp. 52-63.

(48) Matthew Wells, "Casualties, Regime Type and the Outcomes of Wars of Occupation," *Conflict Management and Peace Sciences*, vol. 33, no. 5 (March 2015), pp. 469-490.

(49) يتوافق هذا مع دراسات تجريبية أخرى تقارن أداء الأنظمة المختلفة في مكافحة التمرد. ينظر مثلًا:

Engelhardt; Alexander Downes, *Targeting Civilians in War* (Ithaca: Cornell University Press, 2008), p. 711; Jason Lyall, "Do Democracies Make Inferior Counterinsurgents? Reassessing Democracy's Impact on War Duration and Outcomes," *International Organization*, vol. 64, no. 1 (2010), pp. 167-192.

(50) Downes, p. 711.

(51) Freedman, p. 182.

القوات النظامية إلى إنشاء خطوط إمداد طويلة[52]. وبيّن نيل ماكولاي[53] وإرنستو غيفارا[54] الكيفية التي تمكّن عدد قليل من الثوار المسلحين في كوبا من استثمار التضاريس (الطبوغرافيا) للمناورة والإفلات من قوات أقوى منهم بكثير، والانتقال تدريجيًا من المقاطعات الشرقية لجزيرة كوبا نحو العاصمة في الغرب. وشدّد غيفارا، بصفة خاصة، على أهمية الهروب من متناول القوات النظامية عبر الاستفادة من وعورة التضاريس في أجزاء من شرق كوبا[55]: "يقدم القتال على أرض مواتية، وخصوصًا في الجبال، العديد من المزايا للمغاوير"[56]. وكان ديفيد غالولا أكثر حسمًا فيما يخص التفسيرات الجغرافية. ففي عمله الأساسي **حرب مكافحة التمرد**، يُشدّد على أن "دور الجغرافيا حاسم في الحرب الثورية [...] وإذا فشل المتمرد، مع ضعفه الأوّلي، في الحصول على مساعدة الجغرافيا، فإن ثورته المسلحة ستسقط قبل أن تبدأ"[57]. ووصف ماكول المناطق الجغرافية المضيافة لحركات التمرد الناجحة، وتحدّث عن سبع سِمات لها، منها تاريخ من عدم الاستقرار السياسي، وإمكان الوصول إلى المراكز السياسية أو العسكرية المهمة، مثل عواصم المقاطعات أو المدن الإقليمية، واكتفاء ذاتي اقتصادي وتضاريس وعرة وحدود دولية معقدة[58].

أدخل كينيث بولدينغ مفهوم "فقدان القوة المتدرّج" في التفسيرات الجغرافية[59]، ويعني باختصار أنه كلما ابتعد القتال عن المركز وكان موغلًا في الأطراف، زاد احتمال فقدان القوات النظامية قوّتها. واستند شوت إلى هذا المفهوم وعدّله، مُجادلًا في أن الدقة، وليس بالضرورة القوة، هي التي

---

(52) Mao Tse-tung, p. 7.

(53) Neil Macaulay, "The Cuban Rebel Army: A Numerical Survey," *The Hispanic American Historical Review*, vol. 58, no. 2 (1978), pp. 284-295.

(54) Ernesto Guevara, *Guerrilla Warfare* (North Melbourne: Ocean Press, 1961).

(55) Ibid., p. 10.

(56) Ibid., p. 21.

(57) David Galula, *Counterinsurgency Warfare: Theory and Practice* (Westport: Praeger, 1964), p. 26.

(58) McColl, p. 630.

(59) Kenneth E. Boulding, *Conflict and Defense: A General Theory* (New York: Harper, 1962).

تُفقد كدالّة في المسافة، وأدخل مفهوم "فقدان الدقة المتدرج "، لافتًا إلى أن الهجمات البعيدة المدى التي تشنّها القوات النظامية تكون أكثر عشوائية وأقل دقة (في قتل المتمردين) من الهجمات القصيرة المدى[60]. ومن ثمّ، يصبح نفور المدنيين دالّة في المسافة، نتيجة لعدم الدقة والقتل العشوائي[61]. وشدّد جيمس فيرون وديفيد ليتين على أن التضاريس الوعرة أحد أربعة متغيرات حاسمة تدعم التمرد[62]. ولا يقدّم كاليفاس نموذجًا جغرافيًا لتفسير الفاعلية العسكرية للمتمردين، لكنه يجادل في أن النصر العسكري وليد الجغرافيا[63]. وبصفة عامة، تُعدّ الجغرافيا من أكثر التفسيرات تكرارًا لنجاحات المتمردين أو صمودهم في الأدبيات التي كتبها باحثون وممارسون وقادة حركات تمرد. ومع ذلك نوضح أدناه، في الفصول التالية، أن الجغرافيا ليست التفسير الرئيس لبقاء ولايات تنظيم الدولة وتمدّده في البداية، وذلك نظرًا إلى الطبيعة الجغرافية للمناطق التي كانت مسرح عملياته أو منع دخولها أو احتلها.

سلّط باحثون آخرون الضوء على الرعاية الخارجية باعتبارها متغيّرًا حاسمًا في انتصار المتمردين. ففي دراستهم 89 تمردًا، جادل كونابل وليبيكي بأن التمردات التي "استفادت من رعاية دولة، انتصرت إحصائيًا بنسبة 1 إلى 2 من الحالات المحسومة [أي، النصر واضح لجانب واحد]". وبمجرد سحب الرعاية كليًّا، انخفضت انتصارات الجانب المتمرد بنسبة 1 إلى 4[64]. لكنّ هذا يتعلق بالانتصارات القاطعة فحسب، وليس بالنتائج الملتبسة أو حالات التعادل (حين تتوصل القوات النظامية والمتمردون إلى حل وسط أو تسوية). كما أنها غير ذات صلة بحركات التمرد المستمرة غير المحسومة. وعلاوة على ذلك، عرّف ليال وويلسون في دراستهما 286 تمردًا بين عامي 1800 و2005، الدعم الخارجي للمتمردين باعتباره رعاية دولية تؤمّن الدعم المادي،

---

(60) Schute.

(61) Ibid., p. 1109.

(62) Fearon & Laitin.

المتغيرات الثلاثة الأخرى هي عدم الاستقرار السياسي، وعدد السكان الكبير، والفقر.

(63) Kalyvas.

(64) Connable & Libicki, pp. 8-9.

وقاعدة خلفية عبر الحدود لتنظيم المقاتلين وتدريبهم والتهرّب من الإجراءات المضادّة للقوات النظامية، أو من كليهما. وبيّنت الدراسة أيضًا أن 70 في المئة من التنظيمات المتمردة، التي تلقت دعمًا خارجيًا، إما انتصرت وإما نجحت قتاليًا في التوصّل إلى تسوية. أمّا المجموعات التي ليس لها أي دعم خارجي، فانتصرت أو فاوضت على تسوية 28 في المئة فقط من العيّنة[65].

يحصر جونز المناقشة ويُحدّد مدى أهمية دعم "قوة [دولة] عظمى"[66] في انتصار المتمردين. ففي 286 تمردًا، انتصر المتمردون في 52 في المئة من حالات هذه العيّنة، حينما تلقوا دعمًا من قوة عظمى. أمّا المتمردون الذين تلقّوا دعمًا من دولة مجاورة وجاليات مغتربة، فانتصروا في 42 في المئة و38 في المئة فقط من حالات العيّنة، على التوالي[67]. وركز باحثون آخرون على نوع الدعم والكيفية التي يجذبه بها المتمردون[68]. وتكون المساعدة القتالية (المعدات الفتاكة، الدعم القتالي، التدريب القتالي)، سواء من دول أم من فاعلين دون الدولة، عادةً، حاسمة في انتصار المتمردين الأضعف، على القوات النظامية المدعومة من الخارج. وكما يتضح في حالات أفغانستان ونيكاراغوا وأنغولا وسورية، فإن أنواعًا معيّنة من المعدات الفتاكة، مثل الصواريخ الموجهة المضادة للدروع وأنظمة الدفاع الجوي المحمولة، كانت مفيدة جدًا حين واجه المتمردون قواتٍ نظاميةً أفضل تجهيزًا ومدعومة من قوى أجنبية.

تشمل الأنواع الأخرى من الدعم الخارجي الحاسمة في انتصار التمرد أو صموده تأمين الملاذ، والدعم المالي واللوجستي و/أو الاستخباري[69]. وقد

---

(65) Lyall & Wilson.

(66) تحدَّد الدولة العظمى هنا على أساس: القوة العسكرية والقدرة الاقتصادية وعدد السكان والمساحة، والموارد، والاستقرار السياسي والكفاءة. ينظر:
Kenneth N. Waltz, *Theory of International Politics* (New York: McGraw-Hill, 1979), p. 131.

(67) Jones, p. 136.

(68) Idean Salehyan, Kristian Skrede Gleditsch & David E. Cunningham, "Explaining External Support for Insurgent Groups," *International Organization*, vol. 65, no. 4 (Fall 2011), pp. 709-744.

(69) ينظر مثلًا:
Steven R. David, "Why the Third World Matters," *International Security*, vol. 14, no. 1 (1989), pp. 50-85; Mark P. Lagon, "The International System and the Reagan Doctrine: Can Realism Explain Aid to =

حظي تأمين الملاذ بأهمية خاصة في دراسات التمرد. وفي هذا السياق، جادل دانيال بايمان [وآخرون][70] بأن الملاذ الذي توفّره دولة خارجية عاملٌ حاسمٌ في انتصار المتمردين. وناقشت الأدبيات أيضًا الدعم المالي وغير الفتّاك الذي تقدمه الجهات الخارجية[71]. ويرتبط الدعم المالي بقدرة التمرد على الصمود وإطالة أمد النزاع المسلح[72]، لكنه أقل ارتباطًا بانتصار المتمردين، مقارنة بمتغيرات أخرى. أمّا تأثير الدعم غير الفتّاك، مثل نشر الدعاية وإتاحة الوصول إلى وسائل الإعلام وبث الروايات الإخبارية، فكان محدودًا في صمود التمرد، ويُستثنى من ذلك الدعم الاستخباري. فقد أظهر عدد من حالات التمرد الناجحة مدى أهمية الدعم الاستخباري/ المعلوماتي الذي تُقدّمه أجهزة دولة خارجية. ومن هذه الحالات جبهة ساندينيستا في نيكاراغوا؛ وجهاز الاستخبارات العامة الكوبية؛ وجبهة التحرير الوطني الجزائرية ومديرية المخابرات العامة المصرية؛ وحزب الله ووحدات المخابرات في الحرس الثوري الإيراني و"فيلق القدس". أخيرًا، يُحذّر فريدمان من الخلط بين الدعم المحلي لتمرد مقنّع بخطاب أيديولوجي، وذلك ردًّا على الأوضاع المحلية، والدعم الخارجي الذي يؤدي إلى انطلاق التمرد[73]. فيمكن أن يؤدي هذا الخلط إلى آثار سياسية مُضلّلة واستراتيجيات خاطئة في مكافحة التمرد؛ ما قد يُسهم في انتصار المتمردين، أو صمودهم في الصراع[74].

'Freedom Fighters'?," *British Journal of Political Science*, vol. 22, no. 1 (January 1992), pp. 39-70; = William Rosenau, "The Kennedy Administration, US Foreign Internal Security Assistance and the Challenge of 'Subterranean War', 1961-63," *Small Wars and Insurgencies*, vol. 14, no. 3 (Autumn 2003), pp. 65-99.

(70) Daniel Byman et al., *Trends in Outside Support for Insurgent Movements* (Santa Monica: RAND Corporation, 2001).

(71) ينظر مثلًا:

Ibid.; Walter Laqueur, *Guerrilla Warfare: A Historical and Critical Study* (New Brunswick: Transaction, 1998).

(72) Rob Kevlihan, *Aid, Insurgencies and Conflict Transformation: When Greed is Good* (London: Routledge, 2012), pp. 10-17; Tom Keatinge, "The Importance of Financing in Enabling and Sustaining the Conflict in Syria (and Beyond)," *Perspectives on Terrorism*, vol. 8, no. 4 (August 2014).

(73) Freedman, p. 189.

(74) Ibid.

لكنّ الدعم الخارجي لا يفسّر لا تمدد "تنظيم الدولة" (داعش) ولا صموده. إن عوامل مثل التنسيق المتقطع بين القوى الدولية والإقليمية والتنافس الإقليمي وتضارب الأهداف والمصالح بين مختلف الأطراف، أكانوا دولًا أم جهات ترعاها الدول، كانت لها تداعيات تكتيكية وعملياتية استفاد منها تنظيم الدولة في بعض الأحيان. غير أنّ هذه العوامل تختلف عن الرعاية المباشرة من دولة. يسلط كاليفاس وبالسيلس الضوء على ثغرات في الأدبيات حين تتصدى لتفسير كيفية قتال التنظيمات "الإسلامية الراديكالية" وصمودها، على الرغم من توافر تفسيرات كثيرة بشأن الكيفية التي قلّلت بها نهاية الحرب الباردة الدعم الخارجي وأثّرت في التمردات الماركسية والإثنية - القومية و"تقنيات تمردها" (أساليبها القتالية)[75]. وما يُحيّر أكثر في حالة تنظيم الدولة (والدولة الإسلامية في العراق/ "داعش") واقع أن المؤسسات المسلحة للدول أو الفاعلين المسلحين دون الدولة الذين قاتلوه منذ نشأته، تلقّوا دعم "قوة عظمى".

تألف التحالف الدولي لهزيمة "داعش" من 77 دولة و5 منظمات حكومية دولية[76]، ولم يشمل دولًا مثل إيران وسورية وروسيا التي حاربت التنظيم أيضًا. كما استبعد التحالف الفاعلين المسلحين دون الدولة الذين حاربوا تنظيم الدولة بشدة مثل قوات سوريا الديمقراطية "قسد" وحزب الله اللبناني ووحدات الحشد الشعبي العراقي والفاعلين المسلحين الليبيين دون الدولة المناهضين للتنظيم وعدد من الميليشيات القبلية في سيناء، فضلًا عن آخرين غيرهم. إن تنظيم الدولة الإسلامية، على عكس تنظيم القاعدة، لم يتمتع برعاية دولة.

كما أوضح الباحثون أسباب انتصار المتمردين الأضعف أو صمودهم، وعلاقة ذلك بالتكتيكات والاستراتيجيات العسكرية. وتُدرج التفسيرات التكتيكية والاستراتيجية في ثلاث فئات رئيسة: عدم فاعلية القوات النظامية،

---

(75) Stathis N. Kalyvas & Laia Balcells, "International System and Technologies of Rebellion: How the End of the Cold War Shaped Internal Conflict," *American Political Science Review*, vol. 104, no. 3 (August 2010), p. 427.

(76) "Partners Archive," *The Global Coalition against Daesh*, accessed on 2/8/2021, at: https://bit.ly/34CjRME

وبراعة المتمردين، والتفاعلات الاستراتيجية المواتية (للجانب الأضعف). فمن الناحية التكتيكية، يُقدّم ليال وويلسون تفسيرًا يستند إلى عدم فاعلية القوات النظامية. ويجادلان بأن الآليات العسكرية الحديثة تُقوّض قدرة القوات النظامية على كسب السكان المدنيين المحليين ونسج علاقات معهم وجمع معلومات استخبارية قيّمة[77]. وهذا ما يتيح للتكتيكات المستخدمة تقويض الفاعلية والأهداف الاستراتيجية الشاملة، وخصوصًا إذا استفاد المتمردون من الدعم الشعبي وجمع المعلومات الاستخبارية المضادّة. ويركز جونز وجونستون[78] وكيلكولين[79] وهانس زيغ[80] أكثر على براعة المتمردين وقدراتهم المستجدّة على كسر احتكار الدول تقليديًا لوسائل العنف. فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية، استطاع المتمردون تدريجيًا الوصول إلى التكنولوجيات الجديدة في الأسلحة والاتصالات والاستخبارات والنقل والبنية التحتية والتنظيم؛ ما أتاح لهم ترقية تكتيكاتهم العسكرية إلى مستويات اقتصرت تاريخيًا على المؤسسات المسلحة التابعة للدولة. وتُبعد هذه النتيجة، كثيرًا، احتمال هزيمتهم على أيدي القوات النظامية.

ركّز آخرون بصفة خاصة على جودة تكتيكات المتمردين؛ لأجل تفسير حالات الاختراق الاستراتيجية. تستطيع الكمائن المستمرة والغارات والعمليات التخريبية والاغتيالات ومختلف أنواع التفجيرات - على أقل تقدير - أن تستنفد القدرة السياسية، وليس العسكرية، للقوات النظامية على مواصلة القتال[81]. شدد الجنرال الكوبي - الإسباني ألبرتو بايو، معلم كلٍّ من فيدل كاسترو وتشي غيفارا، على أهمية الكمائن المفاجئة على وجه الخصوص: "يجب أن تعتمد حرب الغوار الناجحة على المفاجأة والمناوشات والكمائن والهجوم دومًا،

(77) Lyall & Wilson.

(78) Jones & Johnston.

(79) David Kilcullen, *Out of the Mountains: The Coming Age of the Urban Guerrilla* (New York: Oxford University Press, 2013).

(80) Hans Seig, "How the Transformation of Military Power Leads to Increasing Asymmetries in Warfare?," *Armed Forces and Society*, vol. 40, no. 2 (March 2013), pp. 332-356.

(81) Engelhardt, p. 52.

حين يكون العدو مطمئنًا ولا يتوقع الهجوم. وحين يبدأ العدو هجومه المضاد، يجب أن نختفي عن الأنظار وننسحب إلى مكان أكثر أمانًا"[82].

يوضح إنغلهارت الكيفية التي يمكن أن يؤدي بها الاعتماد على التضييق والمفاجأة والتسلل والإغارة إلى السيطرة الميدانية في المناطق الطرفية، إما عن طريق تدمير معنويات القوات النظامية وإرادة القتال لديها وإما من خلال استخدام هذه التكتيكات للتبديل إلى استراتيجية عسكرية تقليدية، ثمّ تدمير القدرات القتالية للقوات النظامية[83]. مزج ماو تسي تونغ بين النهجين، وشدّد على أن هدف التكتيكات يجب أن يكون تحطيم إرادة القوات النظامية قبل شن هجوم تقليدي كبير لتدمير قدراتها[84]. ويُجادل جونز بأنه ليس هناك ارتباط واضح بين استخدام تكتيك معيّن وتحقيق المتمردين لاختراق عسكري في سياق حملتهم الشاملة. لكنّ الاستنتاج العام لا يناسب، ولا يُفسّر كثيرًا، انتصارات تنظيم الدولة الإسلامية (وغيره من المتمردين)، كما نوضّح في الفصول التالية[85]. وأظهر باحثون آخرون أثر التكتيكات الشديدة الفتك (HLT) في النتيجة الإجمالية للصراع. وجرى التركيز على تكتيك العمليات الانتحارية تحديدًا، ومنها استخدام التفجيرات بالأحزمة الناسفة والقوارب والسيارات والدراجات النارية والشاحنات، إضافة إلى التفجيرات المختلطة[86]. ولاحظت إحدى الدراسات أن التنظيمات التي تستخدم تكتيك العمليات الانتحارية إما هُزمت، وإما ما زالت منخرطة في صراع مستمر. لم يحقق أي منها الانتصار، على الأقل في العيّنة المستخدمة في الدراسة[87]. لكنّ حالات، مثل فِرَق الثوار

---

(82) Alberto Bayo, *150 Questions for A Guerrilla* (Denver: Cypress, 1963), p. 12.

(83) Engelhardt, p. 52.

(84) Mao Tse-tung.

(85) Jones, p. 59.

(86) Bruce Hoffman, *Inside Terrorism* (New York: Columbia University Press, 2006), pp. 131-171; Robert A. Pape, *Dying to Win: The Strategic Logic of Suicide Terrorism* (New York: Random House, 2005); Robert A. Pape & James K. Feldman, *Cutting the Fuse: The Explosion of Global Suicide Terrorism and How to Stop It* (Chicago: University of Chicago Press, 2010).

(87) Jones, p. 74.

الصينيين "طالبي الموت" (بين عامي 1911 و1949)[88] وحزب الله (بين عامي 1985 و2000)، وحركة طالبان (بين عامي 2001-2021)، استخدمت فيها التنظيمات تكتيك العمليات الانتحارية وحصدت انتصارًا عسكريًا صريحًا، أو حقّقت نتيجة أخرى مواتية. كما تمكّن تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، في مراحل محددة من تمرده، من تحقيق انتصارات عسكرية، على النحو المُبيّن في الفصول الأربعة التالية، وذلك بالاعتماد كثيرًا على أنواع مختلفة من تكتيك العمليات الانتحارية. ويجب ذكر ملاحظة أخيرة حول التكتيكات هنا. إن تكتيك حرب الغوار، الكّر والفرّ [اضرب واهرب]، ليس بالضرورة علامة ضعف أو جبن، كما يشير بعض تحليلات مكافحة التمرد التقليدية الواردة في الأدبيات المعنية. إن لاستخدام المتمردين هذا التكتيك حسابات استراتيجية. إنهم ليسوا أكثر "جبنًا" ممن يستخدمون القصف الجوي بدلًا من المعارك البرية مع المتمردين، ومن ثمّ يتجنّبون وقوع إصابات في صفوف القوات النظامية. إنّ قرار استخدام القصف الجوي ليس مؤشرًا دالًّا على الجبن، بل يعكس الحسابات الاستراتيجية والاستفادة من القدرات الفريدة المُتاحة للقوات النظامية ومؤسساتها المسلحة التابعة للدولة.

أوضح باحثون أيضًا الكيفية التي يُحقّق بها المتمردون اختراقات عسكرية، وعلاقة ذلك باستراتيجياتهم العسكرية وتفاعلاتهم الاستراتيجية مع أعدائهم. يقدم أريغوين-توفت نموذجًا مركّبًا للتفاعلات الاستراتيجية بين الفاعلين الأضعف عسكريًا وأعدائهم الأقوى. وتخلص دراسته إلى أن القوات الأضعف يمكنها التغلّب على ندرة الموارد من خلال استخدام استراتيجيات معاكسة (استراتيجيا مباشرة في مواجهة استراتيجيا غير مباشرة) ضد استراتيجيات أعدائهم الأقوى منهم. إن استراتيجية حرب الغوار (استراتيجيا غير مباشرة) هي الأكثر ملاءمة للاستخدام ضد استراتيجيات الهجوم المباشر الذي يشنّه الفاعلون الأقوى، بما في ذلك "الحرب الخاطفة"[89]. وأظهرت حصيلة

(88) خصوصًا ضد القوات اليابانية في معركة تايرزوانغ بين آذار/ مارس ونيسان/ أبريل 1938.

(89) Arreguín-Toft, pp. 100, 122.

دراسته لمجموعة بياناته أن الفاعلين الأقوى انتصروا بنسبة 76 في المئة من مجمل التفاعلات الاستراتيجية ذات الأسلوب نفسه، في حين انتصر الفاعلون الأضعف بنسبة 63 في المئة من مجمل التفاعلات ذات الأسلوب المعاكس(90).
وثمة تفسير آخر قائم على الاستراتيجيا هو "التبديل الاستراتيجي": وذلك حين تبدِّل التنظيمات المتمردة بين الاستراتيجيات - بناءً على مواردها المتاحة - بغية تنفيذ اختراق عسكري ضد عدو نظامي أقوى، أو تحقيق نتيجة مواتية. وعادة ما يكون التبديل بين ثلاثة أنواع من الاستراتيجيات: الحرب التقليدية، وحرب الغوار، والإرهاب. ويجادل إنغلهارت بأن المتمردين ينتصرون عادة حين يتحوّلون من حرب الغوار إلى الاستراتيجيا التقليدية، ويهزمون العدو في الميدان (مثل قوات ماو تسي تونغ في الصين في أواخر الأربعينيات)(91). وربط باحثون آخرون نجاح المتمردين بالاستراتيجيات المستخدمة، لكن الأدبيات لم تحسم السجال في هذه النقطة(92).

ثمة تفسير ذو صلة يخص الأهداف الاستراتيجية للمتمردين، وكيفية تأثيرها في احتمالات انتصارهم. تُحلّل الأدبيات ثلاثة أهداف استراتيجية للمتمردين: تغيير النظام المحلي، والانفصال/ الانضمام، ومناهضة الاحتلال/ التحرير الوطني. وفي حين ثمة ارتباط كبير بين هدف مناهضة الاحتلال/ التحرر الوطني وانتصار المتمردين، فإن نسبة نجاح هدف الانفصال تكون أقل، مقارنةً بالأهداف الاستراتيجية الأخرى(93). وأخيرًا، ناقش الباحثون كيفية تأثير الأهداف القصوى في نتيجة التمرد(94). فعلى الرغم من أن معظم التمردات حُسم ميدانيًا في ساحة المعركة، فقد انتهى كثير منها بالتعادل أو الحل

(90) Ibid., p. 111.

(91) Engelhardt, p. 52.

(92) Arreguín-Toft, pp. 34-43.

وبغرض النقد، ينظر:

Jones, pp. 52-54.

(93) Ibid., p. 170.

(94) ينظر على سبيل المثال:

Francisco Gutiérrez Sanín & Elisabeth Jean Wood, "Ideology in Civil Wars: Instrumental Adoption and Beyond," *Journal of Peace Research*, vol. 51, no. 2 (March 2014), pp. 213-226.

الوسط[95]. ويتمتع المتمردون الذين يضعون أهدافًا بديلة (أو سلّم أولويات من الأهداف) بالقدرة على المناورة السياسية والتنازل؛ ما يُقلّل من احتمالات هزيمتهم العسكرية من خلال إتاحة فرص التسوية والحل الوسط. ذكر ماو تسي تونغ أنه "من دون هدف سياسي، تفشل حرب الغوار حُكمًا، كما تفشل أيضًا إذا لم تتوافق أهدافها السياسية مع تطلّعات الشعب"[96]. ومع ذلك، تبقى الأهداف القصوى أداةً جيدةً لتجنيد الأنصار، وإضفاء الطابع الجذري، وتعزيز المعنويات القتالية، والتغلب على المتمردين المنافسين عبر المزايدة والدعاية ووصمهم بأنهم "باعوا أنفسهم [تنازلوا]"[97].

أخيرًا، من المتغيّرات التي تناولتها الأدبيات ودرست تأثيرها في احتمالات النصر أو الهزيمة، الهياكلُ التنظيمية للقوات المتحاربة (دولتية أكانت أم دون الدولة). إن درجة المركزية واللامركزية والانقسام إلى فصائل وغير ذلك من المتغيّرات التنظيمية تؤثر في الأداء القتالي والفاعلية العسكرية الشاملة لكل من المتمردين والقوات النظامية، ومن ثمّ تؤثر في احتمال النصر أو الهزيمة[98].

قدّمت التفسيرات التي عرضناها أعلاه مساهمات مهمة في توسيع فهمنا للكيفية التي يمكن من خلالها أن يهزم المتمردون الأضعف القوات النظامية الأقوى، أو محاربتها حتى الوصول إلى حل وسط. إن عناصر عدة من هذه التفسيرات تنطبق على ولايات تنظيم الدولة في العراق وسورية وليبيا ومصر وأماكن أخرى في مراحل ونقاط زمنية مختلفة. ومن هذه التفسيرات

(95) عمر عاشور، "من السلاح إلى السلام: التحوّلات من العمل السياسي المسلح إلى العمل السياسي السلمي"، أوراق استراتيجية، رقم 1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 13/ 8/ 2020، ص 1-12، شوهد في 2/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3BZsVvg

(96) Mao Tse-tung, p. 18.

(97) Omar Ashour, *The De-radicalization of Jihadists: Transforming Armed Islamists Movements* (London: Routledge, 2009), p. 138.

(98) ينظر مثلًا:

Paul Staniland, "Organizing Insurgency: Networks, Resources, and Rebellion in South Asia," *International Security*, vol. 37, no. 1 (Summer 2012), pp. 142-177; Douglas Pike, *Viet Cong: The Organization and Technique of the National Liberation Front of South Vietnam* (Boston: MIT Press, 1966).

مفهوم "فقدان القوة المتدرّج"، ومفهوم "فقدان الدقة المتدرّج"، والتكتيكات، والاستراتيجيات (مكافحة التمرد/ مكافحة الإرهاب) التي تتّبعها القوات النظامية والمتمردون. لكنّ صمود ولايات تنظيم الدولة وتمدّدها (وغيره من الفاعلين المسلحين دون الدولة)، ينحرفان كثيرًا عن المراجعة السابقة، ويفرضان بعض التحدّيات على التفسيرات في الأدبيات الأوسع. زدْ على ذلك أنه، على المستوى الكلي، تتّصف البيئة الاجتماعية - السياسية في العالم ذي الأغلبية العربية ببعض الخصوصيات؛ فقد ثبت أن ائتلاف السلاح والدين أو السلاح والقومية الشوفينية هو السبيل الأكثر فاعلية لكسب السلطة السياسية والبقاء فيها في معظم الدول العربية. إن الانتخابات والدساتير والحكم الرشيد والإنجازات الاجتماعية والاقتصادية متغيرات ثانوية في كثير من البلدان العربية، تُنزَل إلى مرتبة الهوامش والأمور التجميلية. ومن المؤكد أن تنظيم الدولة يستطيع البقاء والتمدد في سياق إقليمي، حيث تثبتُ الرصاصاتُ مرارًا وتكرارًا أنها أكثر فاعلية من بطاقات الاقتراع، وحيث تمارسُ مؤسسات الدولة، أو الفاعلون دون الدولة، أقصى أشكال العنف السياسي، ثم تُضفي المؤسسات الدينية الشرعيةَ عليها، وحيث يعتبر القضاء على "الآخر" استراتيجيا سياسيةً مشروعةً ووطنيّةً أكثر من التسويات والمصالحات. أما على المستوى المتوسط، وكما نوضّح بالتفصيل في الفصول القليلة التالية، فأتقن تنظيم الدولة وأسلافه من التنظيمات تنويع الاستراتيجيات والتبديل فيما بينها. وبات التبديل المستمر من/ إلى أساليب الحرب التقليدية وحرب الغوار والإرهاب سمةً مميزة للتنظيم. ومن الناحية التكتيكية، استطاع تنظيم الدولة تكييف وتحديث تكتيكات مرتبطة بالإرهاب الحضري (مثل العبوات الناسفة أو العربات المفخخة) واستخدامها بطريقة تُماثِل أسلحة تقليدية، من قبيل المدفعية والصواريخ الموجّهة. وتُظهر معسكرات وكُتيبات التدريب أن قيادة التنظيم اتخذت خيارًا استراتيجيًا يقوم على الاستثمار في تعليم أعضائه أهمية تبديل الاستراتيجيات والتكتيكات المُبتكرة المرتبطة بكلٍّ من هذه الاستراتيجيات. وعلى المستوى الجزئي/ الفردي، استطاع تنظيم الدولة تدريب مقاتليه وتمكينهم، بطريقة عجز عنها العديد من الجيوش العربية و/ أو لم

تكن راغبة في ذلك[99]. حصل ذلك على وجه الخصوص في مسألة إلغاء المركزية ودرجة الاستقلالية الممنوحة للمقاتلين على المستويين التكتيكي والعملياتي.

ثالثًا: توضيح اللغز

يهدف هذا الكتاب إلى الإجابة عن سؤالين بحثيين رئيسين: كيف قاتل تنظيم الدولة الإسلامية؟ ولماذا صمد عسكريًا وتمدد في العراق وسورية وليبيا ومصر؟ نقدم فيما يلي مزيدًا من التفصيلات حول تعريف المصطلحات المستخدمة في الكتاب، والفرضيات والمنهجية المعتمدة للتعامل مع أسئلة البحث. تُعتَبر "ولايات" تنظيم الدولة في العراق وسورية وليبيا ومصر حالات فريدة من نوعها؛ لأن قدرتها على التمدّد والصمود تتحدى العديد من التفسيرات التي أوردتها الأدبيات، ومنها معظم تلك التي تركز على الجغرافيا والدعم الشعبي للمتمردين، وكل تلك التفسيرات التي تتمحور حول الدعم الخارجي للمتمردين ومواردهم القتالية. ويركز الكتاب، في المقام الأول، على المتمردين، وليس على القوات النظامية، ولا على سياساتها وممارساتها في مكافحة التمرد والإرهاب. ويحاول تفسير بُعدٍ معيّن في حركات تمرد تنظيم الدولة، هو: كيف قاتلت؟ ولماذا تمكّنت من هزيمة فاعلين من دول أو دون الدولة أقوى منها، أو الصمود في وجههم سنوات عديدة؟

رابعًا: تعريف المصطلحات

يُعرّف هذا المحور بعض المصطلحات ذات الصلة بالقتال المستخدمة في متن الكتاب كله. كما يعرِّف، من جهة أخرى، بعض المصطلحات الأيديولوجية ذات الصلة بخلفية تنظيم الدولة والخطاب المحمّل أيديولوجيًا الذي يستخدمه للدعاية والتجنيد. تشير مصطلحات تنظيم الدولة الإسلامية والدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" ودولة العراق الإسلامية، إلى تنظيم الدولة الحالي

---

(99) ينظر على سبيل المثال:
Kenneth M. Pollack, *Arabs at War: Military Effectiveness, 1948-1991* (Lincoln/London: University of Nebraska Press, 2004), pp. 100-158.

واثنين من أسلافه. ويعتمد استخدام هذه التسميات في متن الكتاب على الإطار الزمني، موضع النقاش. كانت دولة العراق الإسلامية قائمة ما بين تشرين الأول/ أكتوبر 2006 ونيسان/ أبريل 2013، قبل أن تتحوّل إلى الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" التي استمرت ما بين نيسان/ أبريل 2013 وحزيران/ يونيو 2014، قبل أن تتحوّل إلى تنظيم الدولة الإسلامية (ونشير إليها اختصارًا، تنظيم الدولة).

من حيث التعريفات ذات الصلة بالقتال، يشير مصطلح الحرب التقليدية إلى مواجهات عسكرية مباشرة في جبهات محددة بين وحدات مسلحة، وفي بعض الأحيان، وحدات نظامية. تتضمن هذه المواجهات عادة عمليات قتالية كبرى، يتم فيها الاستيلاء والسيطرة على الأراضي والسكان والموارد، ويكون هدفها الرئيس تدمير العدو أو إخضاعه. وتشير حرب الغوار إلى أحد أشكال الحرب غير التقليدية، تستخدمها تشكيلات صغيرة من المقاتلين، بغية تجنّب المواجهة العسكرية المباشرة مع الأعداء. وتعتمد هذه التشكيلات، كثيرًا، على التكتيكات غير المباشرة والمفاجئة، مثل الكمائن وعمليات التخريب والغارات والمعارك الصغيرة والكرّ والفرّ لأجل قتال عدو أكبر وحركته أبطأ، ويكون الهدف الرئيس استنزاف العدو، أو تدمير إرادته، وليس بالضرورة قدرته القتالية. ويشير الإرهاب إلى تكتيك مسلح يتم بوساطته استهداف المدنيين و/ أو غير المقاتلين بعنف، قصدًا أو عشوائيًا، لأجل نشر الرعب أو الضغط على حكّامهم (دولة أو دون الدولة) لقبول مطالب سياسية و/ أو أيديولوجية. ويعكس الإرهاب، من نواحٍ عدة، ضربات يُستهدف فيها المدنيون ومعاقبتهم لأجل رضوخ حكوماتهم أو حكّامهم[100]. ويشير التمرد إلى عصيان مسلح ومنظم ضد وضع سياسي قائم بهدف إطاحته. ويمكن في أثناء التمرد استخدام مختلف أشكال الحرب التقليدية وأنماطها وحرب الغوار والإرهاب.

تشير التكتيكات إلى فن استخدام القوة وتنظيمها وإلى علم هذا الاستخدام

(100) Arreguín-Toft, p. 103.

في ميدان المعركة في أثناء الاشتباكات مع الطرف (الأطراف) المقابل، أو على مقربة منه/منهم؛ ويكون الهدف ترجمة المهارات والموارد القتالية إلى ميزة أو انتصار في المعركة. وتُجمع كل أصناف التكتيكات المُستخدَمة خلال المعارك والحملات التي نناقشها في هذا الكتاب بين عنصرين أو أكثر من العناصر الأربعة التالية: قوة النيران/ القدرة التفجيريّة، والتنقل – التمركز، والحماية – التسلل، والصدمة. يربط المستوى العملياتي التكتيكات القتالية بالاستراتيجيا الشاملة للحرب[101]. ويتضمن فن استخدام القوة وتنظيمها وعلم هذا الاستخدام في سلسلة مترابطة من العمليات/ المعارك/ الميادين القتالية؛ بهدف تحقيق ميزة عسكرية والاقتراب من النصر الاستراتيجي. يؤثر المستويان التكتيكي والعملياتي مباشرةً في الفاعلية القتالية التي تُعبّر عن أداء القوة المقاتلة في ميدان المعركة، وهو ما يعتمد على مهارتها وإرادتها وعوامل أخرى. إن الفاعليةَ القتالية جانبٌ من جوانب الفاعلية العسكرية الشاملة لتنظيم مسلح، في حين أن الفاعلية العسكرية مفهومٌ أوسع، يعكس الأداء العسكري علًى المستوى الاستراتيجي، ويصف القدرة على ترجمة الموارد القتالية وغير القتالية إلى قوة عسكرية بغية تحقيق هدف (أهداف) استراتيجي. يجب التأكيد هنا أنه ليس كلٌّ من الفاعلية القتالية والمفهوم الأوسع للفاعلية العسكرية محددًا واحدًا لنتائج المعركة أو الحرب. ولا شكّ في أنهما من العوامل الرئيسة التي تؤثر في النتائج، لكن يمكن أن تتفاعل عوامل أخرى معهما لتشكيل نتائج المعركة أو الحرب بين الفاعلين المسلحين التابعين لدولة، والفاعلين المسلحين دون الدولة[102]. وتشمل هذه العوامل الأخرى بعض العوامل المذكورة أعلاه، مثل الجغرافيا والدعم الخارجي والدعم الشعبي، مع إضافة عوامل أبسط ملموسة وغير ملموسة، مثل العدد الكبير من الجنود/ المقاتلين ونوعية الأسلحة وكمية

(101) Edward Luttwak, "The Operational-Level of War," *International Security*, vol. 5, no. 3 (Winter 1980/1981), pp. 61-79.

(102) Omar Ashour (ed.), *Punching Above Weights: Combat Capacities of Armed Non-State Actors* (Doha/Beirut: Arab Center for Research and Policy Studies, 2022 [forthcoming]).

ينظر: عمر عاشور [وآخرون]، **من السلاح إلى السلام: التحولات من العمل المسلح إلى العمل السياسي المسلح** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022 [قيد النشر]).

الذخائر والقدرات الاستخبارية والتضاريس والمناخ، وحتى الحظ. ومن ثمّ، يبقى ممكنًا أن تُهزَم القوات ذات الفاعلية القتالية العالية بوساطة قوات أكثر عددًا، أو في أوضاع معيّنة، وبالنتيجة منعها من تحقيق أهدافها التكتيكية والعملياتية و/أو الاستراتيجية. وهذا يُفضي إلى تعريف الاستراتيجيا: التنظيم والتوزيع والتطبيق والتخطيط على المدى الطويل لجميع الموارد القتالية وغير القتالية لخدمة الهدف (الأهداف) النهائي للكيان (الكيانات) المعني وتحقيقه، سواء أكان دولة أم دون الدولة.

مع الأخذ في الحسبان الاختلافات الأيديولوجية داخل التيار الإسلامي - السياسي وكيفية ارتباط تنظيم الدولة الإسلامية بها، يبدو مفيدًا تعريف بعض الأيديولوجيات الإسلامية التي يُشار إليها في الكتاب؛ فـ "الإسلاموية" نعرِّفها بأنها مجموعة من الأيديولوجيات الإسلامية السياسية المتعددة والمتعارضة في كثير من الأحيان، وهي تستند في تبرير مبادئها وسلوكها واستراتيجياتها وهياكلها التنظيمية وأهدافها إلى فهم انتقائي معيّن للنصوص الإسلامية، أو إلى تفسير انتقائي معينٍ لها أو للفتاوى والأحكام الفقهية ذات الصلة.

ونعرّف الجهادية بأنها أيديولوجيا إسلامية معاصرة، تؤمن بأن المواجهات المسلحة مع الخصوم السياسيين هي النهج الوحيد المشروع دينيًا والفعّال إجرائيًا للتغيير الاجتماعي - السياسي[103]. وبحسب نوع الجهاديين، فإن القتال (وهو ما يعادل الجهاد في هذه الحالة) يمكن أن يكون وسيلةً مشروعةً للتغيير، أو غاية في حد ذاته. وينبغي عدم الخلط بين الجهادية، باعتبارها أيديولوجيا إسلامية حديثة، و"الجهاد"، وهو مفهوم/واجب ديني في الإسلام بمعنييه "الجهاد الأصغر" و"الجهاد الأكبر"، ويشير إلى أنواع مختلفة من السعي السلمي (مثل الكفاح ضد الرغبات الخاطئة أو الشيطان أو المرض) والكفاح المسلح (مثل القتال ضد الغزاة). إن الجهادية فئة أيديولوجية فرعية من "التيار الإسلامي المسلح"، وهذه فئة أكبر يمكن الإسلاميين في سياقها حمل السلاح

(103) Omar Ashour, "Post-jihadism and Ideological De-radicalization," in: Zaheer Kazimi & Jeevan Doel (eds.), *Contextualizing Jihadi Ideologies* (New York: Columbia University Press, 2012).

لأسباب مختلفة، منها الاعتقاد أن السلاح يمكن أن يكون وسيلةً من وسائل التغيير الاجتماعي - السياسي (بما في ذلك تغيير النظام المحلّي، أو الانفصال/ الانضمام، أو قتال قوة محتلة) أو مجرد تكتيك دفاعي لأجل البقاء/ الصمود الاجتماعي - السياسي.

أما السلفية، فهي أيديولوجيا فرعية أخرى من التيار الإسلامي الواسع، تشمل ما لا يقل عن ستة اتجاهات رئيسة: السلفية العلمية، والسلفية الانتخابية، والسلفية السلطوية/ السلطانية (مثل المدخليّة/ الجاميّة)، وسلفية المقاومة - السلمية، والسلفية القتالية (السلفية الجهادية أو الجهادية السلفية)، والوهابية. إن الالتزام العقائدي بالسلفية وحده - من دون المحدِّدات الستة المذكورة - لا يكفي لتوقّع السلوك السياسي. ومع ذلك تملك الاتجاهات السلفية الأيديولوجية الستة بعض القواسم المشتركة: أولها الاعتقاد المشترك أن الأجيال المسلمة الثلاثة الأولى (من القرن السابع إلى القرن الثامن الميلادي)، أو ما تُدعى كلاسيكيًا بـ "خير القرون"، امتلكت الصفاء الجوهري للإسلام، ومن ثمّ يجب اتّباع سلوك تلك الأجيال وممارساتها، كما كانت في ذلك الزمن. ووفقًا للمعتقدات السلفية، إن أي "تجديد" ديني ينحرف عن هذه الممارسات خاطئ، ويمكن أن يؤدي إلى الشرك والكفر. أما القاسم المشترك الثاني، فهو التركيز القوي على التوحيد وما يستتبعه في الطقوس والمعتقدات والسلوك الاجتماعي - السياسي ورفض البدع والمزيدات. وأخيرًا، تدّعي كل الاتجاهات السلفية التمسّك بالتفسيرات الصحيحة شرعيًا للمصادر الإسلامية الأولية المقدسة (القرآن والسُنّة النبوية)، وعلى أي حال فإن هذا الادعاء محل جدل ونقاش.

تختلف الأيديولوجيات السلفية بشأن مفهومَين دينيَين: التكفير والخروج (حمل السلاح ضد حاكم قائم/ حكم سلالة)، وكذلك بشأن مفاهيم سياسية مثل الديمقراطية الانتخابية (هل هي مشروعة أم غير مشروعة، "شرٌّ لا بد منه" أم "كفر"). أمّا الوهابية، فهي أيديولوجيا سلفية تجمع بين سِمات السلفيات السلطوية والعلمية والقتالية، وتتميز بثلاث علامات رئيسة: أولًا، تركيزها على

أعمال الإمام محمد بن عبد الوهاب وتفسيراته؛ وهو عالم الدين الذي أضفى الشرعية الدينية والسياسية والاجتماعية والقتالية على الدول السعودية الأولى والثانية والثالثة[104]. ثانيًا، ارتباط الوهابية المباشر بالدولة السعودية التي تتبنّى مؤسساتها الدينية الرسمية هذه الأيديولوجيا وعقائدها. كما أدار الوهابيون والموالون لهم العديد من الجامعات المموّلة من الدولة والمؤسسات التعليمية والوكالات الرسمية والقضاء والشرطة الأخلاقية (هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). ثالثًا، تتأثر الوهابية بتقاليد منطقة نجد في المملكة العربية السعودية وثقافتها، أكثر بكثير من الأيديولوجيات السلفية الأخرى[105].

أخيرًا، التكفيريّة هي أيديولوجيا تقوم أساسًا على وصم أفراد المجتمع المسلم كلّهم (على مستوى العالم أو في بلد أو مدينة أو بلدة أو قرية) بالردة، ما لم يثبت خلاف ذلك. وهذا يعني أنه يمكن تطبيق مجموعة كاملة من العقوبات الاجتماعية "المشروعة دينيًا" ضدهم، بما في ذلك استهدافهم[106]. وتختلف التكفيرية باعتبارها أيديولوجيا عن مفهوم التكفير (أو الاتهام بالكفر) الذي لا يستخدم في الأيديولوجيات الإسلامية الأخرى فحسب، بل تستخدمه أيضًا المؤسسات الدينية والحكومات على نطاق محدود نسبيًا، وخصوصًا لوصم الأفراد المعارضين أو المخالفين[107]. ويمكن أن تكون التنظيمات التكفيرية عنيفة أو غير عنيفة. فإذا كانت عنيفة، يكون نطاق العنف وشدّته عاليين؛ نظرًا إلى اتّساع طيف الأهداف المدنية والعسكرية[108].

---

(104) Madawi Al-Rasheed, *A History of Saudi Arabia* (Cambridge/New York: Cambridge University Press, 2010), pp. 57-66.

(105) Ibid., pp. 46-47.

(106) على سبيل المثال، في عام 1997 أعلنت الجماعة الإسلامية المسلحة الجزائرية أن بقية سكان الجزائر مرتدون. ينظر:

Ashour, *The De-radicalization of Jihadists*, p. 59.

(107) ينظر على سبيل المثال، قضية نصر حامد أبو زيد الذي أعلنته المؤسسة الدينية الرسمية في مصر "الأزهر" مرتدًّا:

Mona El-Tahawy, "Lives Torn Apart in Battle for the Soul of the Arab World," *The Guardian*, 20/10/1999, accessed on 2/8/2021, at: https://bit.ly/3dZtLgv

(108) إن حالة الجماعة الإسلامية المسلحة بعد عام 1995 هي خير مثال على ذلك. ينظر:

= Ashour, *The De-radicalization of Jihadists*, pp. 57-59.

فيما يخص التصنيف الأيديولوجي ومصطلحاته، فإن تنظيم الدولة الإسلامية هو في الأساس تنظيم سلفي جهادي، يستخدم على نطاق واسع مفهومَ التكفير لإضفاء الشرعية على العنف الذي يمارسه ضد المسلمين وغير المسلمين، حتى مقارنة بالجماعات السلفية الجهادية الأخرى. ويمكن المحاجّة بأن تنظيم الدولة لم يصل إلى التكفيرية ما دام لم يُصرِّح بأن غير المنتسبين إليه مرتدّون ما لم يثبت خلاف ذلك[109]. وسبق له أن أعدم وعاقب بعض أعضائه الذين فعلوا ذلك[110].

خامسًا: فرضيات: هل هي مجرد تكتيكات؟

يقترح الكتاب فرضيتين رئيستين: الأولى، استطاع تنظيم الدولة، من الناحية العسكرية، هزيمة فاعلين مسلحين تابعين للدول، أو فاعلين مسلحين دون الدولة أقوى منه، أو الصمود أمامهم؛ وذلك بسبب قدرته على التبديل على نحوٍ فعّال بين ثلاث استراتيجيات قتالية: الحرب التقليدية، وحرب الغوار، والإرهاب. والثانية، استطاع تنظيم الدولة إلحاق هزائم عسكرية مفاجئة بفاعلين مسلحين تابعين للدول، أو فاعلين مسلحين دون الدولة أقوى منه، وذلك لأنه جمع بين تكتيكات مبتكرة بالارتباط مع استراتيجيات القتال المذكورة سابقًا، في مختلف الميادين.

فاجأت نوعية الابتكارات التكتيكية لتنظيم الدولة وكميتها أعداءه في الميادين الحضرية والريفية والجبلية والصحراوية، مرات كثيرة. لكن ما إن ينتهي مخزون التكتيكات المبتكرة ويُكرّرها التنظيم من دون تجديد، حتى

= تجدر الإشارة إلى أن لمصطلحي "تكفيري" و"وهّابي"، دلالات سلبية في اللغة العربية. فكلاهما يُستخدَم على نطاق واسع في الدعاية لتشويه سمعة المعارضين السياسيين والطائفيين والدينيين. وغنيّ عن القول إن هذا ليس هو المقصود هنا، ومن ثمّ يُقصد بالتعريفات توضيح المعاني في هذا الكتاب فقط، وخاصة حين يشتبك مع الأدبيات التي تستخدم هذه المصطلحات.

(109) هذا يعني استمرار السجال بشأن تصنيف تنظيم الدولة الإسلامية وأسلافه من التنظيمات، إما في فئة التنظيم السلفي - الجهادي، وإما في فئة التكفيري العنفي.

(110) مؤيد باجس، "تنظيم الدولة يعدم أحد قضاته الشرعيين لـ'غلوّه في التكفير'"، **عربي 21**، 8/ 3/ 2015، شوهد في 2/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2z3d0jI

يصبح تأثير عنصر المفاجأة محدودًا. ففي هذه الحال، تكون عناصر وتفسيرات عرضناها سابقًا، مثل القوة البشرية والقوة النارية والقصف الجوي والجغرافيا والدعم السكاني، وغيرها، أكثر حسمًا؛ وتتضاءل بصفة كبيرة قدرات "ولايات" الدولة الإسلامية على القتال مجددًا. ونوجز الفرضيتين كما يلي:

الفرضية الأولى: إن تنظيم الدولة يصمد أو يتمدد، تكتيكيًا وعملياتيًا؛ بسبب التبديل الناجح بين استراتيجيات الحرب التقليدية وحرب الغوار والإرهاب.

الفرضية الثانية: إن تنظيم الدولة ينجح في تحقيق اختراقات عسكرية عملياتية ضد أعداء أقوى منه؛ بسبب الجمع المبتكر بين التكتيكات المرتبطة بأساليب الحرب التقليدية وحرب الغوار والإرهاب.

تستند الفرضيتان إلى تحليل من المستوى المتوسط (المستوى التنظيمي) لتنظيم الدولة. وهناك مستويان آخران من التحليل مهمان في تفسير كيفية قتال تنظيم الدولة، وسبب صموده وتمدّده في وجه أعداء أقوى، لكن بسبب الحيّز المتاح لن يكون التركيز الأساسي لهذا الكتاب على هذين التحليلين. أعطت دراسات سابقة هذين المستويين اهتمامًا مستحَقًا. الأول، تحليل من المستوى الميكرو Micro (المستوى الفردي)، ويتعلق هذا المستوى على وجه الخصوص بسلوكيات ومعتقدات المقاتلين الأفراد الذين يعتمد عليهم تنظيم الدولة. وحدّدت ثلاث فئات حاسمة من المقاتلين المهمين عسكريًا لغرض هذا الكتاب[111]. الفئة الأولى هي فئة الأعضاء السابقين في قوات مسلحة نظامية، ومنهم عراقيون وسوريون وليبيون ومصريون وجورجيون وروس، وغيرهم. الفئة الثانية هي أفراد متمرسون في حرب الغوار، قاتلوا سابقًا في تمرد محلي أو خارجي، كما هي الحال في أفغانستان أو سابقًا (قبل "داعش") في العراق. وتشمل الفئة الثالثة متمردين محلّيين مستمرين، راكموا خبرة عالية في كل من

(111) هذا ليس تحليلًا شاملًا لأفراد تنظيم الدولة الإسلامية، بل تصنيف موجز للمقاتلين المنتسبين إلى التنظيم الذين تعدّ مساهماتهم في ساحة المعركة مهمة.

قتال القوات النظامية وبناء شبكات الدعم اللوجستي على مدى العقد الماضي. ويمكن أن ينتمي كل من المقاتلين المحليين والأجانب إلى أي من الفئات المذكورة.

حُدِّدت ثلاث فئات تتعلق بمعتقدات الأفراد ودوافعهم وكيفية تأثيرها في أدائهم العسكري: المتضرر، والانتهازي، والعقائدي. ينضم الأول عادةً إلى تنظيم الدولة نتيجة اضطهاد لحِقَه من الوضع القائم أو من منظمة أخرى. ويرى المضطَهدون أن تنظيم الدولة إما شرٌّ أقل و/أو منقذ و/أو منتقم. وعادة ما يستفيد التنظيم من درجة الاضطهاد في نشاطاته المسلحة، وكذلك من المعرفة المحلية التي يمتلكها المتضررون/المضطهدون. ويهتم تنظيم الدولة بالقدر نفسه بالعقائديين: فهم ملتزمون أيديولوجيًا ومستعدون للموت لأجل قضيتهم. هذا الصنف يكمل، ولا يتناقض، أو لا يصطدم دومًا، مع المتمردين المتضررين ذوي الجذور المحلية. وأخيرًا، إن الفئة الانتهازية مفيدة أيضًا لتنظيم الدولة. فمن جهة، تميلُ هذه الفئة إلى تجنّب العمليات المميتة، مثل التفجيرات الانتحارية ومجموعات المقاتلين الانتحاريين (الانغماسيين)، ولا تكون فعالةً في عمليات الدفاع اليائس. ومن جهة أخرى، تكون الفئة الانتهازية طموحةً، ميّالةً إلى المخاطرة، ومن حيث الهجوم التكتيكي، أثبت بعض المقاتلين من هذه الفئة أنه فعّال جدًا في أدائه العسكري[112].

أما المستوى الثاني من التحليل، فهو المستوى الماكرو Macro (السياقات الوطنية والإقليمية). عمل تنظيم الدولة/دولة العراق الإسلامية/"داعش" في بيئات اجتماعية - سياسية، تكافئ العنف السياسي بمختلف أشكاله (الاحتلال، والانقلابات، والقمع، والتمرد، والإرهاب، وغيرها)، وتعاقب الاعتدال والتسويات والسلوك التصالحي العام. ولذلك فإن تنظيم الدولة هو عرَض، وليس سببًا، للسياسات العنيفة والفاشلة في المنطقة، ولا سيما في العراق وسورية وليبيا ومصر. لقد أثبت الجمع بين السلاح والخطابات الدينية، أو السلاح والقومية المتطرفة في هذه البلدان، أنه الوسيلة الأكثر فاعلية للاستيلاء

(112) قائد سابق في الجيش السوري الحر في الرقة، مقابلة شخصية، إسطنبول، 9/ 10/ 2016.

على السلطة السياسية والبقاء فيها. لم يفعل تنظيم الدولة والتنظيمات ذات التفكير المماثل أكثر من رفع مستويات العنف، والتلاعب بمزيد من النصوص الدينية، لإضفاء الشرعية على هذه المستويات من العنف. وفعل تنظيم الدولة ذلك تعويضًا عن نقاط ضعفه المادية، مقارنةً بالفاعلين المحليين الراسخين المسلحين التابعين للدول[113]. ونشط التنظيم في بيئة غالبًا ما فشلت فيها عمليات الانتقال إلى الآليات غير العنيفة في حل النزاعات، وغالبًا ما فشلت فيها السياسات الدستورية والمؤسسية.

قدّمت الانتفاضات في البلدان العربية، التي بدأت في تونس في كانون الأول/ديسمبر 2010، إلى الباحثين والممارسين عددًا من الدروس المهمة المتعلقة بالسياق، ولا سيما بشأن كيفية تأثير التغييرات داخل البيئة السياسية الكلية في عسكرة السياسة، وظهور مجموعات مثل تنظيم الدولة. وأدّى، لفترة وجيزة، نجاح تكتيكات المقاومة المدنية غير المسلحة في إسقاط نظامين سلطويين في تونس (2010/2011) ومصر (2011)، إلى تقويض منطق الراديكاليين المسلحين الذي يقول إن العمل المسلح هو أكثر الوسائل فاعلية (وفي بعض الأيديولوجيات الأكثر شرعية) للتغيير السياسي[114]. لكن أظهرت التكتيكات الوحشية لنظامي معمر القذافي وبشار الأسد، في التعامل مع المتظاهرين، حدودَ المقاومة المدنية. وتبيّنت هذه الحدود أيضًا في العراق في نيسان/أبريل 2013 (الإجراءات الصارمة التي نفّذتها حكومة نوري المالكي ضد الاعتصامات)، وفي مصر في تموز/يوليو وآب/أغسطس 2013 (في أثناء الانقلاب العسكري لعبد الفتاح السيسي وبعده). أظهر كل ذلك استنتاجًا مختلفًا، لم يغب عن الناشطين العرب الشباب: إنّ للقوة الناعمة وتكتيكات المقاومة المدنية حدودَها، وإن السعي للتغيير الحقيقي يتطلّب القوة الصلبة. ونتيجة لذلك السياق الإقليمي، يُرجَّح أن يتنامى التطرف والاستقطاب والأطر

(113) نقاط ضعف، مثل النقص في القوة البشرية والقوة النارية والقدرة المالية والقدرة على السيطرة على الأراضي أو انتزاعها، وغيرها من أشكال النقص الشائعة بين الفاعلين المسلحين دون الدولة.

(114) ينظر مثلًا:

Ashour, "Post-jihadism and Ideological De-radicalization".

الأيديولوجية الداعمة للتطرف العنيف[115]. وهذا يعني أنه، على المستوى الكلي، عمل هذا السياق الإقليمي الخاص على دعم تنظيم الدولة الإسلامية والمنظمات ذات التفكير المماثل.

سادسًا: تصميم البحث

من خلال العودة إلى المستوى المتوسط، ولأجل فهم كيفية قتال تنظيم الدولة "داعش" في البلدان الأربعة وتحليل ذلك، يستخدم الكتاب أساسًا منهجًا مقارنًا نوعيًا. ويستند إلى العمل الميداني الذي ركّز على نحوٍ خاص على عيّنة من المعارك الحضرية وجبهات القتال في الفلوجة والموصل والرمادي في العراق، والرقة (المدينة والمحافظة) في سورية، ودرنة وسرت والشيخ زويد في سيناء. وشملت العيّنة 17 معركة في عشر جبهات مختلفة. وإضافة إلى المحافظات السبع الرئيسة[116] التي تمتّ فيها المعارك التي جرى تحليلها (نينوى، الأنبار، الرقة، دير الزور، درنة، سرت، شمال سيناء)، تتضمن فصول الكتاب أيضًا ملاحظات من محافظات أخرى.

استند اختيار هذه العيّنة من جبهات القتال إلى قيمتها الاستراتيجية عند تنظيم الدولة، مثل "العاصمتين" في الموصل والرقة، و/أو إلى حجم "الاستثمار القتالي"، ومن ثمّ تعكس القدرات التكتيكية والعملياتية لولايات تنظيم الدولة، مثل الحالات الثلاث في الفلوجة وسرت والشيخ زويد[117]. وقد علّق العقيد ريان ديلون، المتحدث باسم قوة المهام المشتركة – عملية

---

(115) ينظر مثلًا:

Mohammed Hafez, *Why Muslims Rebel? Repression and Resistance in the Islamic World* (London: Lynne Rienner Publishers, 2003); Omar Ashour, "Votes and Violence: Islamists and the processes of transformation," International Centre for Study of Radicalization (ICSR), King's College London (November 2009), accessed on 2/8/2021, at: https://bit.ly/3fkDS0E

(116) المحافظة هي تقسيم إداري في العراق وسورية ومصر. وتعادل تقريبًا مصطلح الشعبيّة المستخدم في ليبيا في عهد القذافي.

(117) على عكس سرت، كانت القيمة الاستراتيجية للشيخ زويد محدودة، أو معدومة بالنسبة إلى تنظيم الدولة. لكن مستوى الاستثمار في الهجوم لاحتلال الشيخ زويد في تموز/يوليو 2015 كان مرتفعًا. ومن ثمّ عكس هذا الهجوم القدرات التكتيكية والعملياتية لولاية سيناء.

العزم الصلب لمكافحة تنظيم الدولة، على المستويات المقارنة لـ "الاستثمار القتالي": "عندما نقارن بين الموصل والرقة – امتداد شبكة الدفاع، والتحصينات التي وضعها "داعش" – نستطيع معرفة مكان 'العاصمتين التوأمين'، والكيفية التي صرف بها التنظيم وقته. لم يسبق أن رأينا هذا النوع – هذه الأنواع – من الدفاعات المتقنة التي أُنشئت [...] لكن أود أن أقول إن ما بُني من دفاعات وتحصينات في الرقة، باستخدام العبوات الناسفة وشبكات الأنفاق، يماثل ما رأيناه في الموصل"[118].

في كلّ جبهات القتال المختارة في العيّنة، ابتكر تنظيم الدولة تكتيكاته وكيّف عملياته وبدّل ما بين استراتيجيات الحرب التقليدية وحرب الغوار والإرهاب في تضاريس مختلطة (حضرية وريفية). وإجمالًا، شاركت ثماني "ولايات" تابعة للتنظيم مباشرة في هذه المعارك. وقدمت ست ولايات أخرى مساعدة لوجستية ذات صلة بالقتال. وواجهت ولايات التنظيم في هذه الجبهات أكثر من 80 من الفاعلين المسلحين دون الدولة، بعضهم انتظم في تحالفات واسعة، مثل وحدات الحشد الشعبي في العراق (أكثر من 39 ميليشيا)، وقسد (أكثر من 18 ميليشيا)، ومجلس شورى مجاهدي درنة وضواحيها في ليبيا وحلفائه (أكثر من 5 ميليشيات). وواجه التنظيم أيضًا في هذه الجبهات وحدات قتالية برّية وجوّية من 22 جيشًا على الأقل من الجيوش التابعة لدول[119].

أجرى الباحث لأجل جمع بعض البيانات الأساسية 58 مقابلة شبه منظمة مع قادة عسكريين وشبه عسكريين ومقاتلين في ميليشيات وجنود ومدنيين، ممن شاركوا في مكافحة تنظيم الدولة أو لاحظوا/ شاهدوا بأعينهم معركة محددة بصفتهم غير مقاتلين. وإجمالًا، اشتبك 31 ممن قوبلوا مباشرة مع وحدات "داعش"/ تنظيم الدولة في واحد من البلدان الأربعة. وشارك الباقون في تقديم المشورة للقوات المناوئة لـ "داعش"/ تنظيم الدولة و/ أو لاحظوا، أو كانوا شهود عيان على المعارك الحضرية مع "داعش"/ تنظيم الدولة بصفتهم

(118) "Department of Defense Press Briefing by Colonel Dillon via Teleconference from Baghdad, Iraq," US Department of Defense, 7/10/2017, accessed on 2/8/2021, at: https://bit.ly/3CaaX9p

(119) للمزيد من التفصيلات، ينظر: الفصول الأربعة التالية.

غير مقاتلين. واستخدم الباحث أيضًا معلومات من 36 مقابلة أخرى مفتوحة مع مسؤولين حكوميين سابقين وحاليين من مؤسسات عسكرية أو أمنية أو استخبارية، شاركوا في مكافحة أو مواجهة "داعش"/ تنظيم الدولة. وبالنظر إلى التحيّز في العينة، استخدم المؤلف بعض المقابلات التي أجرتها دولة العراق الإسلامية/ "داعش"/ تنظيم الدولة ونشرتها وسائل إعلامها[120]، إضافة إلى مقابلات مفتوحة وملاحظات من شبكات التواصل الاجتماعي لمتعاطفين مع دولة العراق الإسلامية/ "داعش"/ تنظيم الدولة والمنشقين عنهم. والتزامًا بمتطلبات أخلاقيات البحث، لم يجر المؤلف أي مقابلات مع سجناء – على الرغم من العديد من الفرص المتاحة – ولا مع أي شخص يشتبه في أنه معرَّض للإكراه المباشر أو غير المباشر. ولأسباب تتعلق بالسلامة، حُجبت هوية بعض من أجريت معهم مقابلات بناءً على طلبهم.

لأجل فهم الحشد العسكري لدولة العراق الإسلامية/ "داعش"/ تنظيم الدولة وتطوّره، راجع المؤلف وفريقه البحثي 228 عددًا من نشرة **النبأ**؛ وهي النشرة الإخبارية الأسبوعية لتنظيم الدولة التي بدأت تصدر في 17 تشرين الأول/ أكتوبر 2015 ولا تزال متداولة حتى وقت تأليف هذا الكتاب. وقام المؤلف وفريقه البحثي بمراجعة 78 نسخة سابقة منها، صدرت عن دولة العراق الإسلامية (ثمّ "داعش" ثم تنظيم الدولة)، بدايةً من أيار/ مايو 2010. نُشرت هذه الإصدارات الـ 78 على أساس غير منتظم أولًا، ثم على أساس شهري، ثم على أساس نصف شهري. ونشرت دولة العراق الإسلامية أيضًا الحصاد العسكري السنوي المفصّل في أيلول/ سبتمبر 2012 (198 صفحة، توثق 4500 عملية)، وفي تشرين الأول/ أكتوبر 2013 (410 صفحات توثق 7861 عملية)[121]. وتمت مراجعة كلّ الأعداد الخمسة عشر من مجلة **دابق** (*Dabiq*) باللغة الإنكليزية، و13 عددًا من مجلة **رومية** (*Rumiyah*)، إضافة

---

(120) المؤلف ممتن لآرون زيلين (Aaron Zelin) وموقع (*Jihadology*) للمساعدة في الوصول إلى العديد من منشورات تنظيم دولة العراق الإسلامية/ "داعش"/ تنظيم الدولة الإسلامية وإصداراتهم الصوتية والمرئية.

(121) كما ذكرنا سابقًا، فإن تعريف تنظيم الدولة لـ "عملية مسلحة" غير واضح. وتتضمن بعض العمليات المدرجة في قواعد البيانات الخاصة به أكثر من هجوم واحد.

إلى ما يزيد على 200 من الإصدارات الصوتية والمرئية لـ"داعش"/ تنظيم الدولة وغيرهما من التنظيمات المسلحة، ذات الصلة بالمعارك والجبهات والأسلحة والتكتيكات التي تم تحليلها في الفصول التالية. ولأجل عمليات التحقق والمقارنة والتدقيق، اعتمد المؤلف على البيانات الرسمية وتقارير وسائل الإعلام حول قوة المهام المشتركة بقيادة الولايات المتحدة - عملية العزم الصلب (Operation Inherent Resolve)، وعملية برق الأوديسا (Operation Odyssey Lightning) (في ليبيا)، وعملية شادر (Operation Shader) (بقيادة المملكة المتحدة)، وعملية التأثير (Operation Impact) (بقيادة كندا)، وعملية الشمال (Opération Chammal) (بقيادة فرنسا)، فضلًا عن التقارير الإعلامية، والتفاعلات مع الناشطين والمؤسسات المحلية. وإجمالًا، استُخدمت خلال الفصول التالية مختلف مصادر البيانات وتقنيات جمع البيانات، بما في ذلك تحليل المحتوى والخطاب لبيانات المقابلات؛ والفحص الدقيق لمصادر اللغة العربية والإنكليزية والفرنسية، الرئيسة والثانوية؛ وتحليل محتوى السجلات التاريخية (بما في ذلك الصحف والوثائق الحكومية ووثائق تنظيم الدولة وغيره من التنظيمات المتمردة والسير الذاتية)؛ والمراجعة المنهجية للمصادر الثانوية ذات الصلة.

من الناحية الكمّية، أسس المؤلف قاعدة بيانات "أساليب حرب الدولة الإسلامية" لأغراض هذا الكتاب والمشاريع الأخرى[122]. واستُخدمت ثماني مجموعات بيانات (ينظر الجداول 2-2، و2-3، و2-4، و3-1، و4-1، و4-2، و5-1، و5-2) من أصل 25 قاعدة بيانات تغطي فئات التكتيكات التي يستخدمها تنظيم الدولة في مختلف الفصول التالية من هذا الكتاب. ولا يُقصد من مجموعات البيانات هذه أن تكون قائمة شاملة بالتكتيكات التي استخدمها تنظيم الدولة في معارك أو جبهات محددة، بل إنها تمثل عيّنات كمية ونوعية تمثيلية

(122) المؤلف ممتن لفريقه البحثي في وحدة الدراسات الاستراتيجية في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وبرنامج الدراسات الأمنية النقدية في معهد الدوحة. وأصبحت قاعدة البيانات والعديد من نشاطات جمع البيانات (بما في ذلك المقابلات) ممكنة بفضل الدعم المقدم من معهد الدوحة للدراسات العليا، منحة صندوق الأبحاث الكبرى (MRF 03-01). إن النتائج التي تم التوصل إليها هنا هي مسؤولية المؤلف فحسب. ويعرب المؤلف كذلك عن امتنانه للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات لدعمه طوال هذا المشروع البحثي.

لأنواع التكتيكات التي اعتُمد عليها في أثناء القتال، وتُعطي فكرة عن القدرات القتالية للتنظيم وابتكاراته التكتيكية وتبديلاته الاستراتيجية، أكثر من كونها العدد الدقيق للمرات التي استخدم فيها هذه الفئات من التكتيكات خلال المعارك.

سابعًا: تنبيهات وقيود

يجب ذكر بعض الملاحظات المنهجية هنا. أولًا، جرى التحقق من الإحصاءات العسكرية والعمليات العسكرية لتنظيم الدولة الواردة في الكتاب، وتدقيقها مع ما ورد في وسائل الإعلام و/ أو المصادر الحكومية و/ أو المصادر المحلّية. ولم يكن مفاجِئًا أن يكون هناك تباينات، ومن ثمّ عُدِّل بعضها وفقًا لذلك، لتصبح في أدنى حدٍّ لها. وانسجامًا مع دراسات سابقة(123)، يمكن تأكيد أغلبية عمليات تنظيم الدولة. وأحد أسباب الاختلافات المذكورة آنفًا هو أن تعريف دولة العراق الإسلامية/ "داعش"/ تنظيم الدولة الإسلامية لـ "العملية المسلحة" لا يزال غير واضح. يتضمن بعض العمليات المُدرجَة في الإحصاءات العسكرية أكثر من هجوم مسلح واحد. فعلى سبيل المثال، ربما يُدرج التنظيم عملية تنطوي على هجوم لأحد تشكيلات المغاوير، ثم هجمات بقذائف الهاون، ثم القنص في مناطق مجاورة، ويعتبر ذلك كلّه عملية واحدة وليس ثلاث هجمات. ثانيًا، لسبب (أسباب) غير واضح، كان توثيق العمليات وأنواع التكتيكات في ولايات تنظيم الدولة في العراق ومصر أكثر اتساقًا من ولايات التنظيم في سورية وليبيا. ومن أمثلة ذلك الأرقام المقارنة للعربات المفخخة الانتحارية في الموصل والرقة. فقد نشر تنظيم الدولة أكثر من 160 مقطع فيديو أو صورة تُظهر هجمات بالعربات المفخخة الانتحارية في الموصل، مقارنة

(123) Daniel Milton, Bryan Price & Muhammad al-'Ubaydi, "The Islamic State in Iraq and the Levant: More than Just a June Surprise," *CTC Sentinel*, vol. 7, no. 6 (June 2014), p. 2.

لكنّ العينة التي استخدموها تضمنت 345 هجومًا مزعومًا، واقتصرت جغرافيًا على بغداد. 57 في المئة من الهجمات (198 هجومًا مزعومًا)، أكدتها وسائل الإعلام المحلية أو الدولية. ومع ذلك، أسفرت 85 في المئة من الهجمات غير المبلغ عنها في وسائل الإعلام عن سقوط أقل من ثلاث ضحايا. ومن ثم، كان تأثيرها محدودًا، ولم تجذب انتباه وسائل الإعلام، ومع ذلك وثّقتها وأوردتها دولة العراق الإسلامية.

بأقل من 30 في الرقة. كذلك، أبلغت ولاية سيناء في مصر بدقة عن عملياتها المزعومة. ثالثًا، لدى التنظيم ميل ثابت إلى تضخيم عدد ضحاياه، في حين يقلل من عدد عمليات معيّنة في أثناء المعارك. ومن الأمثلة الواضحة على هذا السلوك الأرقام التي نشرها عن العربات المفخخة الانتحارية التي فجّرها خلال معركة الموصل بين 19 تشرين الأول/ أكتوبر 2016 و12 تموز/ يوليو 2017. فوفقًا لوكالة "أعماق" التابعة لتنظيم الدولة، نفّذ مقاتلو التنظيم 482 هجومًا بالعربات المفخخة الانتحارية، في حين أن أحد كبار الضباط في القيادة المركزية الأميركية(124) ذكر أن تنظيم الدولة في الموصل فجّر أكثر من 600 عربة/ شاحنة مفخخة انتحارية ما بين تشرين الأول/ أكتوبر وكانون الأول/ ديسمبر 2016 خلال معركة الموصل(125). ويشير هذا التقدير إلى أن الرقم الإجمالي أعلى مما أعلنه تنظيم الدولة. وبغضّ النظر عن الرقم الدقيق، كان لدى تنظيم الدولة القدرة العسكرية والدراية لتفجير ما لا يقل عن 482 عربة مفخخة انتحارية في سلسلة من المعارك التي استمرت تسعة أشهر وأربعة أيام؛ وهذه قدرة قتالية لم يصل إلى مستواها أي تنظيم مسلح دون الدولة حتى تاريخ تأليف هذا الكتاب. ومن الناحية النوعية، أظهر التنظيم قدرة على التحويل المبتكر لتكتيكات الإرهاب الحضري إلى ساحة معركة تقليدية فعالة(126).

ثمّة ملاحظة أخيرة تتعلق بما لا يدور حوله هذا الكتاب. لا يهدف الكتاب إلى سرد شامل لمعارك تنظيم الدولة وجبهات قتاله، بل يُحلّل عيّنة من سلسلة مكثّفة من المعارك، تعكس مستوى الفاعلية القتالية التي وصل إليها تنظيم الدولة (وربما فاعلون مسلحون آخرون دون الدولة). إنه ليس سردًا عسكريًا تاريخيًا كاملًا لمعارك التنظيم، مع أنه يخصص أقسامًا عدة لتحليل

---

(124) القيادة المركزية للولايات المتحدة هي واحدة من 11 قيادة مقاتلة موحدة لوزارة الدفاع الأميركية (بما في ذلك ست قيادات مقاتلة إقليمية). أُسّست في عام 1983 ويشمل "نطاق مسؤوليتها" الشرق الأوسط وآسيا الوسطى، ولا سيما العراق وأفغانستان. وبداية من عام 2014، نُشرت قوات تابعة للقيادة المركزية الأميركية في العراق وسورية في إطار عملية العزم الصلب.

(125) Mark Perry, "How Iraq's Army Could Beat ISIS in Mosul, but Lose the Country," *Politico Magazine*, 15/12/2016, accessed on 2/8/2021, at: https://politi.co/38r6v65

(126) لمزيد من التفصيلات، يُنظر: الفصلان التاليان.

كيفية تطوير التنظيم قدراته العسكرية في البلدان الأربعة. كما لا يتطرق الكتاب إلى التطرف الأيديولوجي للتنظيم الذي فاق التطرف العنيف ووحشية القاعدة ووكلائها، ولا يحلّل السلوك الوحشي والرجعي لتنظيم الدولة وغيرها من السمات المعروفة للتنظيم، إلّا في حال كان لها تأثير كبير في أدائه العسكري. ثمّ إنّ الكتاب ليس سردًا تاريخيًا لتنظيم الدولة وهيئات الحكم المحلي التي أنشأها. ويُحلّل الكتاب باختصار الخلفيات الاجتماعية - السياسية التي عملت فيها ولايات تنظيم الدولة، وذلك إذا كانت لها صلة بعمليات التجنيد والحشد العسكري للتنظيم في البلدان الأربعة. وأخيرًا، ليس الكتاب نقدًا آخر لسياسات مكافحة التمرد، ولا دليلًا آخر لمكافحة الإرهاب. فهو يحلل بعض تكتيكات مكافحة التمرد، وينطوي على عدد من المضامين السياساتية، وقد يتنبأ بالكيفية التي سيقاتل بها الفاعلون المسلحون دون الدولة الذين ترعاهم دول أو لا ترعاهم. وعلى أي حال، فإن الهدف الرئيس من الكتاب ليس تحليل سياسات مكافحة التمرد، بل تكتيكات المتمردين وفاعليتهم القتالية وكيفية القتال لديهم.

ثامنًا: هيكل الكتاب

توضح الفصول التالية كيفية قتال تنظيم الدولة "داعش"، وكذلك حياد تمدده السابق وصموده النسبي عن التفسيرات التي تقدمها الأدبيات الرائجة. وتختبر الفصول نوعيًا الفرضيتين السالفتي الذكر.

يقدم الفصل الثاني لمحة تاريخية موجزة عن نشأة تنظيم الدولة وأسلافه في العراق. ويهدف إلى فهم الطريقة التي استطاع بها التنظيم وأسلافه من التنظيمات (الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش"، ودولة العراق الإسلامية، وحلف المطيبين، ومجلس شورى المجاهدين، والقاعدة في العراق، والتوحيد والجهاد في العراق)، تطوير قدراتها القتالية تدريجيًا في العراق بين عامي 2003 و2017؛ ونتيجة لذلك، استطاع تنظيم الدولة السيطرة على الفلوجة (كانون الثاني/ يناير 2014)، والموصل (حزيران/ يونيو 2014)،

والرمادي (أيار/ مايو 2015)، وعلى مدن أخرى. ويركز الفصل بصورة خاصة على تحليل كيفية قتال تنظيم الدولة في العراق في ثلاث جبهات: الفلوجة والموصل والرمادي، وكيفية قتاله عقب هزائمه الميدانية.

ويهدف الفصل الثالث إلى فهم الكيفية التي تمكّن بها تنظيم الدولة من السيطرة عسكريًا والتمتع بالنفوذ في حوالى 50 في المئة من الأراضي السورية بحلول منتصف عام 2015، في مواجهة العديد من التنظيمات المسلحة الثورية وداعميهم من الدول القوية. ويلخص بإيجاز تطور الشبكات العسكرية الجهادية المرتبطة بتنظيم الدولة بين عامي 2003 و2013. ثم يركز على القدرات القتالية والحشد العسكري بعد 8 نيسان/ أبريل 2013 وقت الإعلان عن "داعش". ويتحوّل التركيز بعد ذلك إلى تحليل التكتيكات العسكرية المستخدمة للسيطرة على محافظة الرقة. ويركز الفصل خاصةً على تحليل كيفية قتال التنظيم في سورية في جبهات الرقة، وكيفية قتاله عقب تحرير الرقة.

ويهدف الفصل الرابع إلى شرح الكيفية التي تمكّن بها تنظيم الدولة من احتلال أجزاء من درنة وكل مناطق سرت في ليبيا. ويعطي لمحة موجزة عن تطوير الشبكات ذات الصلة بدولة العراق الإسلامية/ "داعش"/ تنظيم الدولة في درنة. ثم يركز على تحليل التكتيكات العسكرية التي استخدمها التنظيم في جبهتي درنة وسرت. ويركز الفصل الخامس على حالة تنظيم الدولة في سيناء (ولاية سيناء) وقدراتها العسكرية. ويقدم لمحة عامة عن تطور أسلاف تنظيم الدولة في سيناء، ويشمل ذلك أنصار بيت المقدس والتوحيد والجهاد في سيناء. وعلى الرغم من التفوق عليه عددًا وعدة وعتادًا على نحو كبير، فقد تمكّن تنظيم الدولة في سيناء وأسلافه من التنظيمات من البقاء والنجاة بعد نحو عشر سنوات من حملات مكافحة التمرد المستمرة (2011-2020) التي وصل بعضها إلى حد استخدام بعض تكتيكات "الأرض المحروقة" منذ أيلول/ سبتمبر 2013. ويُحلّل الفصل معركة الشيخ زويد في تموز/ يوليو 2015 ويطوّر تفسيرًا للصمود العسكري لولاية سيناء.

يحتوي الفصل السادس على نتائج وخلاصات الكتاب، ويطرحها بصفتها إطار عمل لفهم الصمود العسكري لتنظيم الدولة. ويوضح هذا الفصل الأخير أيضًا التأثيرات المترتبة على هذه النتائج في القتال والفاعلية العسكرية للفاعلين المسلحين الآخرين دون الدولة في الشرق الأوسط وخارجه. وقد عوّل الكتاب على دراسات الحالة البالغة الأهمية التي لم يجرِ التطرق إليها من هذه الزاوية، ولذلك جاء متعارضًا في الغالب مع التيار التقليدي السائد فيما يتعلق بحركات التمرد. ويهدف في المآل إلى المساهمة في فهم الفاعلية القتالية للمتمردين، وتقديم رؤى حول الكيفية التي سوف يقاتل بها الفاعلون المسلحون الآخرون دون الدولة مستقبلًا.

الفصل الثاني

ينهار لكن يتمدد
كيف يقاتل تنظيم "الدولة الإسلامية" في العراق؟

"من ترتاح، ادفن تي إن تي وجيب دولار"
(عبارة يتداولها مقاتلو تنظيم الدولة).

"إنه أمر غير عادي، لقد تم التفوق عليهم تمامًا في العدد والعتاد من البداية إلى النهاية... ومع ذلك حققوا كل هذا".
(العقيد بات وورك، قائد فريق اللواء الثاني القتالي في أثناء معركة تحرير الموصل من تنظيم الدولة)[1].

"إن [تصنيع الأسلحة] لدى "داعش" يختلف عن أي شيء رأيناه من قبل لدى أي قوة دون الدولة".
(سولمون هـ. بلاك، متخصص في تحليل الأسلحة في وزارة الخارجية الأميركية)[2].

---

(1) Pat Work, "Combating ISIS in Mosul," Lecture Given at the Royal Military Academy at Sandhurst, Berkshire, 8/7/2019.

(2) John Ismay, Thomas Gibbons-Neff & C.J. Chivers, "How ISIS Produced Its Cruel Arsenal on an Industrial Scale," *The New York Times*, 10/12/2017, accessed on 17/8/2021, at: https://nyti.ms/3iTJWja

مقدمة: مهد من دون لحد

يُلقي هذا الفصل نظرة عامة على التطور العسكري لتنظيم الدولة الإسلامية وأسلافه في العراق. ويهدف إلى فهم الطريقة التي تمكّن بها التنظيم وأسلافه من التنظيمات (الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش"، ودولة العراق الإسلامية، وحلف المطيبين، ومجلس شورى المجاهدين، وتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين/ العراق، وتنظيم التوحيد والجهاد في العراق من تطوير قدراتها القتالية تدريجيًا في ذلك البلد، بدءًا من عام 2003 فصاعدًا. واستطاع التنظيم، نتيجة ذلك، السيطرة على الفلوجة في كانون الثاني/ يناير 2014، والموصل في حزيران/ يونيو 2014، والرمادي في أيار/ مايو 2015، وعلى مدن عراقية أخرى. يركز الفصل على تحليل ثلاث جبهات قتالية: الفلوجة والموصل والرمادي، باعتبارها عيّنة تعكس كيفية قتال "داعش"/ تنظيم الدولة في العراق. ويُحلّل الفصل أيضًا كيفية قتال تنظيم الدولة "داعش" بعد نجاح جهود التحرير التي قام بها الجيش العراقي وحلفاؤه، وصولًا إلى آذار/ مارس 2020. ويستند الفصل، جزئيًا، إلى مقابلات ووثائق صادرة عن الحكومة العراقية ووثائق تخص "داعش"/ تنظيم الدولة في العراق التي صادرت حكومة الولايات المتحدة الأميركية بعضًا منها، ثم أفرجت عنه، وإلى مواد أخرى مفتوحة المصدر.

يتكوّن الفصل من سبعة مباحث. يُلقي المبحث التالي نظرة عامة على القدرات العسكرية لتنظيم الدولة وأسلافه من التنظيمات في العراق منذ تشرين الأول/ أكتوبر 2002 - تاريخ وصول الزعيم المؤسس للتنظيمات السابقة، أبو مصعب الزرقاوي (1966-2006)[3]، إلى شمال شرق البلاد - وحتى

(3) هذه كنيته، وهو من الزرقاء في شمال شرق الأردن، واسمه الحقيقي أحمد الخلايلة.

حزيران/ يونيو 2014، تاريخ تأسيس الدولة الإسلامية والإعلان عن نفسها باعتبارها "خلافة"[4]. وتُجمل المباحث الثالث والرابع والخامس تفصيلات المعارك في الجبهات الثلاث المذكورة أعلاه ضمن أطر زمنية محددة[5]. ويُحلّل المبحث السادس كيفية قتال تنظيم الدولة في العراق، ويستخدم لأجل ذلك البيانات والملاحظات من جبهات القتال الثلاث وأماكن أخرى في العراق. ويركز المبحث الختامي على مستقبل تمرد تنظيم الدولة في العراق، بعد خسارته الأراضي وعودته إلى استراتيجيات وتكتيكات حرب الغوار والإرهاب.

أولًا: الصعود من الرماد: التطور العسكري لتنظيم الدولة في العراق

بحلول حزيران/ يونيو 2014، استولى تنظيم الدولة فعليًا على الفلوجة (في محافظة الأنبار)، وأجزاء من الرمادي (في محافظة الأنبار)، والموصل (في محافظة نينوى)، وتكريت (في محافظة صلاح الدين)، والعديد من البلدات والقرى الصغيرة في العراق. جاء ذلك نتيجة مباشرة لحشدٍ عسكري كبير، وابتكارات تكتيكية في الإرهاب الحضري، وتبديل عملياتي بين الحرب التقليدية وحرب الغوار. وبحلول عام 2016، امتلك تنظيم الدولة ما يكفي من الموارد لتنفيذ 1112 تفجيرًا انتحاريًا، منها 842 بوساطة عربات مفخخة انتحارية[6].

---

(4) للاطلاع على تحليلات تاريخية واجتماعية – سياسية ممتازة لتنظيم الدولة وأسلافه من التنظيمات في العراق، ينظر: عزمي بشارة، **تنظيم الدولة المكنّى "داعش": الجزء الأول: إطار عام ومساهمة نقدية في فهم الظاهرة** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018)؛ عزمي بشارة (محرر)، **تنظيم الدولة المكنّى "داعش": الجزء الثاني: التشكل والخطاب والممارسة** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018)؛ حيدر سعيد، "الطريق إلى سقوط الموصل"، **سياسات عربية**، مج 2، العدد 10 (أيلول/ سبتمبر 2014)، ص 85-108؛

David Kilcullen, *Blood Year: The Unraveling of Western Counterterrorism* (Oxford: Oxford University Press, 2016); Gareth Stansfield, "Explaining the Aims, Rise, and Impact of the Islamic State in Iraq and Al-Sham," *Middle East Journal*, vol. 70, no. 1 (Winter 2016), pp. 146-151; William McCants, *The ISIS Apocalypse: The History, Strategy, and Doomsday Vision of the Islamic State* (New York: St. Martin's Press, 2015).

(5) يبدأ الإطار الزمني عادةً عندما يسيطر "داعش"/ تنظيم الدولة على بلدة/ مدينة، وينتهي عندما يخسرها.

(6) Nabih Bulos, "Islamic State Has Been Cranking out Car Bombs on an Industrial Scale for the = Battle of Mosul," *Los Angeles Times*, 25/2/2017, accessed on 17/8/2021, at: https://lat.ms/3v9ehP3;

هيمنت "ولايتا" نينوى والأنبار التابعتان للتنظيم على هذه الحصيلة بـ 311 و193 عملية انتحارية، على التوالي. لم يسبق أن امتلك هذه القدرة أي فاعل مسلح دون الدولة في عالمنا الحديث. وحتى أسلاف تنظيم الدولة، "داعش" ودولة العراق الإسلامية، افتقرت إلى هذه القدرة أيضًا. تُلقي خطب الزرقاوي في عام 2005 الضوء على الفارق بين موارد تنظيم التوحيد والجهاد في العراق آنذاك وموارد تنظيم الدولة لاحقًا: "ليس هناك مجال للتماثل والمقارنة بيننا وبين العدو. من ناحية العدد؛ هنالك المئات من الإخوة يقاتلون مئات الآلاف من الأعداء، ومن ناحية العدة [...] الإخوة يملكون السلاح الفردي وبعض مدافع الهاون وبعض قذائف [R.P.G]، مقابل الدبابات والمدرعات والطائرات"[7]. كما اشتكى الزرقاوي من عدم وجود جغرافيا داعمة و"عمق استراتيجي" في العراق[8]، فقال في مقابلة معه: "أرض الجهاد في العراق تختلف عن أخواتها في أفغانستان وفي الشيشان [...] فهي كالكفّ، لا يوجد فيها جبال ولا يوجد فيها وديان ولا يوجد فيها غابات"[9]. ولذلك عانى أسلاف تنظيم الدولة، "داعش" ودولة العراق الإسلامية، نقاط ضعف بنيوية واستراتيجية وعملياتية وتكتيكية، تشمل الافتقار إلى الجغرافيا الداعمة، والدعم الشعبي، ومحدودية القدرات، والتدريب في مجال تصنيع العبوات الناسفة، ومهارات القتال القريب، وقتال الوحدات الصغيرة، والرماية الدقيقة

Thomas Joscelyn, "Analysis: Islamic State Claims Historically High Number of Suicide Attacks in = 2016," *FDD's Long War Journal*, 3/1/2017, accessed on 18/8/2021, at: https://bit.ly/3xUntGH

(7) "Translation of Old Al-Zarqawi Interview, Says God's Law Must Rule 'Entire World," *Open Source Report*, Open Source Center, 6/12/2006, accessed on 13/10/2021, at: https://bit.ly/3BFw6rk; Ahmed Hashim, "From Al-Qaida Affiliate to the Rise of the Islamic Caliphate: The Evolution of the Islamic State of Iraq and Syria (ISIS)," *Policy Report*, S. Rajaratnam School of International Studies (RSIS) (December 2014), p. 2, accessed on 9/9/2021, at: https://bit.ly/2Ywf5RO;

يمكن العثور على النسخة العربية الكاملة في: **منبر التوحيد والجهاد**، شوهد 15/ 4/ 2019، في: https://bit.ly/3ASABhG

(8) يقصد الزرقاوي بهذا المصطلح الافتقار إلى رعاية دولة، ومن ثمّ عدم وجود أراضٍ يمكن الانسحاب إليها، وعدم وجود دعم شعبي كافٍ يتيح لتنظيم القاعدة في العراق إنشاء جبهة عسكرية فعالة، والانسحاب إلى هذه المناطق عند الضرورة.

(9) "حوار مع الشيخ أبي مصعب الزرقاوي 1427هـ"، **منبر التوحيد والجهاد**، شوهد في 15/ 4/ 2019، في: https://bit.ly/2xzgJFh

بالأسلحة الصغيرة. وعانى التنظيم أيضًا محدودية معرفة التعامل مع الأسلحة الثقيلة، وخصوصًا المدرعات والمدفعية وتكتيكات الأسلحة المشتركة، والافتقار التام إلى تصنيع العربات المفخخة والمسيَّرات على نطاق واسع. سُدَّت هذه الفجوات المعرفية ببطء، لكن بثبات منذ تأسيس تنظيم التوحيد والجهاد في العراق في خريف 2003. وما بين عامي 2003 و2006، كان التكتيك الأكثر شيوعًا والذي استخدمه اثنان من أسلاف تنظيم الدولة: تنظيم التوحيد والجهاد في العراق وتنظيم القاعدة في العراق، ضد القوات الأميركية، هو العبوات الناسفة الثابتة المزروعة على جوانب الطرق. ومع أن الزرقاوي صرح بوضوح بأن هذا النوع من العبوات الناسفة (وقذائف الهاون) لن يحقق الانتصار أبدًا في الحرب في العراق[10]، فقد ظلّ تأثير العبوات كبيرًا؛ فهي أوقعت بين آذار/مارس 2003 وكانون الثاني/يناير 2007 ما نسبته 45 في المئة من جميع القتلى الأميركيين[11]. ومنذ ذلك الوقت، تعزّزت قدرات التنظيم التكتيكية كثيرًا.

وفقًا لنشرة **النبأ** الإخبارية التابعة لتنظيم الدولة، طوّر كل من تنظيم القاعدة في العراق وخلَفِه "دولة العراق الإسلامية"، وحداتٍ كان كل منها بحجم طاقم أو أصغر (تسمى مفارز)، متخصصة في القنص واشتباك الوحدات الصغيرة على مسافات قصيرة، وجوانب أخرى من حرب الغوار والإرهاب، وذلك بحلول كانون الثاني/يناير2007[12]. لكن بحلول كانون الأول/ديسمبر 2007، دُمِّرت تقريبًا القدرات العسكرية للتنظيم، ويرجع ذلك أساسًا إلى

---

(10) المرجع نفسه. في عام 2006، قدّر الزرقاوي أن الحرب في العراق ستنتصر فيها مجموعات تكتيكية وعملياتية من المفجرين الانتحاريين وتشكيلات المغاوير. كان ذلك مؤشرًا مبكرًا على التأثير العسكري الوشيك لتشكيلات المغاوير الانتحاريين (الانغماسيين).

(11) Brad Knickerbocker, "Relentless Toll to US Troops of Roadside Bombs: The IED Has Caused over a Third of the 3,000 American GI Deaths in Iraq," *Christian Science Monitor*, 2/1/2007, p. 1, accessed on 18/8/2021, at: https://bit.ly/3ASBgzG; John Bokel, "IEDs in Asymmetric Warfare," *Military Technology*, vol. 31, no. 10 (October 2007), p. 34.

(12) "وقفات عند أحاديث- 5"، **النبأ**، العدد 101 (3 ربيع الأول 1439هـ[22/11/2017])، ص 8.

سياسة "التدفق" (Surge)[13] الأميركية ومجالس الصحوات[14] والاقتتال الداخلي بين التنظيمات المسلحة العراقية السنّية، وردة الفعل العابرة للطوائف من السكان ضد دولة العراق الإسلامية. فقد قال الأمير السابق للدولة الإسلامية في العراق، حامد الزاوي، الملقب بأبي عمر البغدادي (1959-2010)[15]، في أوائل عام 2008[16]: "ليس لدينا الآن مكان يُمكنّنا الوقوف فيه حتى ولو ربع ساعة". ونتيجة لذلك، قرر أبو حمزة المهاجر[17]، المسمّى "وزير دفاع" الدولة الإسلامية في العراق (تشرين الأول/ أكتوبر 2006 - نيسان/ أبريل 2010)، تحويل استراتيجيات الحرب وأساليبها من حرب الغوار المكثفة إلى العمليات الإرهابية المكثفة. وهدفت الاستراتيجيا الجديدة إلى حشد موارد دولة العراق الإسلامية لشنّ حملة إرهاب حضري متواصلة. ففي آذار/ مارس 2008، حلّ المهاجر كل الوحدات التكتيكية غير وحدات العبوات الناسفة، بما في ذلك وحدات القنص وتشكيلات حرب الغوار، وركّز كل موارد التنظيم على بناء وحدات تكتيكية تختص بالعبوات الناسفة[18]، شملت وحدات "تصنيع العبوات الناسفة" ووحدات "تصنيع أجهزة التفجير" ووحدات "زرع العبوات وتفخيخها وتمويهها" و"وحدات التفجير"[19]. وبحلول نهاية عام 2010، كانت دولة العراق الإسلامية قد استخدمت على نطاق واسع خمسة أنواع من العبوات الناسفة: العبوات الناسفة المتحكَّم فيها عن بعد، والعبوات الناسفة المفخخة المعروفة لدى التنظيم باسم "مصائد المغفلين" (فخاخ مموهة)، و"مصائد المغفلين" المتحكم فيها عن بعد، والعبوات الناسفة/ الألغام المخفية - الثابتة (المزروعة في جوانب الطرق والحقول المفتوحة)،

---

(13) Stephen Biddle, Jeffrey A. Friedman & Jacob N. Shapiro, "Testing the Surge: Why Did Violence Decline in Iraq in 2007?," *International Security*, vol. 37, no. 1 (Summer 2012), pp. 7-40.

(14) Omar Ashour, "Viewpoint: How Islamic State is Managing to Survive," *BBC News*, 14/12/2015, accessed on 18/8/2021, at: https://bbc.in/31aqK4G

(15) ضابط سابق في الشرطة العراقية، من قرية الزاوية القريبة من بلدة حديثة في محافظة الأنبار.

(16) "وقفات عند أحاديث- 5"، ص 8.

(17) اسمه الحقيقي عبد المنعم البدوي، وهو من المراتب الوسطى سابقًا في تنظيم الجهاد المصري.

(18) "وقفات عند أحاديث- 5"، ص 8.

(19) المرجع نفسه؛ لواء سابق في الجيش العراقي، مقابلة شخصية، إسطنبول، 7/ 2/ 2019.

والعربات المفخخة. لكن تكتيكات العبوات الناسفة المكثفة كانت أكثر فتكًا وأشدّ في قتل المدنيين وإرهابهم، بدلًا من القتال الفعال للقوات النظامية (كما ذكر الزرقاوي في مقابلة معه في عام 2006 مع المكتب الإعلامي للقاعدة في العراق). قتلت التفجيرات الانتحارية باستخدام العبوات الناسفة ما بين عامي 2003 و2010 اثني عشر ألف مدني، ومئتي جندي في التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة، غالبيتهم العظمى (175) من الجنود الأميركيين[20].

إذا كان تنظيم "دولة العراق الإسلامية" قد استطاع ابتكار العبوات الناسفة وتصنيعها وتجهيزها بعد "تدفق" القوات الأميركية وخلال أضعف مراحلها (2008-2010)، فإنه فعل ما هو أشدّ فتكًا في عمليات الإرهاب الحضري وقتل المدنيين بعد عام 2010؛ فما بين تشرين الثاني/ نوفمبر 2011 ونيسان/ أبريل 2014، استولى التنظيم وحلفاؤه على أسلحة ونهبوا مستودعات لمؤسسات مسلحة نظامية تابعة للدولتين العراقية والسورية وفاعلين مسلحين آخرين دون الدولة. كما بدأ تنظيما "دولة العراق الإسلامية" وداعش تصميم ذخائرهما الخاصة وتصنيع بعضها إبّان هذه الفترة وبعدها. وعكست تقارير الحصاد السنوي للعمليات العسكرية للعامين الهجريين 1433 (تشرين الثاني/ نوفمبر 2011 - تشرين الثاني/ نوفمبر 2012) و1434 (تشرين الثاني/ نوفمبر 2012 -تشرين الثاني/ نوفمبر 2013) هذه القدرات الجديدة[21]. يضاف إليها تقارير الحصاد الشهري للعمليات العسكرية الصادرة عن "داعش" في النسخة القديمة من نشرة النبأ الإخبارية (الأعداد 50 و51 و52 و53) بين تشرين الثاني/ نوفمبر 2013 ونيسان/ أبريل 2014[22]. فخلال هذه الفترة - قبل

---

(20) Michael S. Schmidt, "Suicide Bombs in Iraq Have Killed 12,000 Civilians, Study Says," *The New York Times*, 2/11/2011, accessed on 18/8/2021, at: https://nyti.ms/2YyXG9G

(21) تقابل هذه الفترة عام 1434 في التقويم الهجري الذي بدأ في منتصف تشرين الثاني/ نوفمبر 2012. ينظر:

"New Magazine from the Islamic State of Iraq and Al-Sham: Al-Bina' Magazine," *Jihadology*, 31/3/2014, accessed on 18/82021, at: https://bit.ly/316ulAW/; "al-Furqan Media Presents a News Bulletin from Islamic State of Iraq and Al-Sham: 'Harvest of Operations for the Year 1433 H in Iraq'," *Jihadology*, 14/8/2013, accessed on 14/4/2021, at: https://bit.ly/2KmlNz0

(22) جُمعت تقاريرُ شهرية أخرى، يمكن الاطلاع عليها في الأعداد التالية: النبأ، الأعداد 50، 51،=

إنشاء تنظيم الدولة الإسلامية في حزيران/ يونيو 2014 - زعم تنظيما "دولة العراق الإسلامية" و"داعش" أنهما نفّذا 16603 عمليات في شمال العراق ووسطه، بمتوسط شهري قدره 553 عملية مسلحة[23]. وكانت أكبر نسبة من هذه العمليات (41 في المئة) في محافظة نينوى وعاصمتها الموصل. ونُفّذت البقية في محافظة صلاح الدين وعاصمتها تكريت (21 في المئة)، ومحافظة الأنبار وعاصمتها الرمادي (19 في المئة)، وديالى وعاصمتها بعقوبة (13 في المئة)، وبغداد (6 في المئة)[24]. وتضمّنت تلك الهجمات الاستخدام المكثّف للعبوات الناسفة والعربات المفخخة/ الدراجات المفخخة والعربات المفخخة الانتحارية/ الدراجات المفخخة الانتحارية، و"مصائد المغفلين" والسترات الناسفة الانتحارية وتشكيلات المغاوير وتشكيلات المغاوير الانتحارية (الانغماسيين) والمدفعية الخفيفة والمتوسطة والصواريخ الموجّهة وغير الموجّهة والقنص.

في هذه المرحلة، لم يكن تنظيما "دولة العراق الإسلامية" وداعش قد بلغا المراحل الأكثر تطوّرًا في مخططات الإنتاج الضخم للعبوات الناسفة وتقنيات تصنيع الأسلحة المتقدمة. فهذه طوِّرت بين أواخر عام 2014 وأواخر عام 2017، حين وُضعت معايير للعديد من مكوّنات الأسلحة، مثل صمامات الذخيرة المصبوبة بالحقن المُصنّعة محليًا والصواريخ المحمولة على الكتف وذخيرة الهاون وأجزاء القنابل القياسية والألغام الأرضية

= 52، 53. ينظر أيضًا: أبي خباب المهاجر، "نشرة النبأ العدد 51 السنة الخامسة 1435 الدولة الإسلامية في العراق والشام"، **إنترنت أركايف**، 25/ 4/ 2014، شوهد في 18/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2OArONW؛ أبي خباب المهاجر، "نشرة النبأ-العدد 50-السنة الخامسة-1435"، **إنترنت أركايف**، 18/ 4/ 2014، شوهد في 18/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2K8YKca

(23) كما ورد في الفصل الأول، لا يزال تعريف تنظيم الدولة لـ "العملية المسلحة" غير واضح. يتضمن بعض العمليات المُدرجَة في قواعد بياناتهم أكثر من هجوم مسلح واحد. على سبيل المثال، قد يعتبِر التنظيمُ عمليةً تنطوي على تفجير انتحاري، متبوعًا بقذائف الهاون والقنص، عمليةً واحدة وليس ثلاث هجمات.

(24) تم التصنيف وفق المعطيات التي نشرتها النسخة القديمة من نشرة **النبأ**، الأعداد 50، 51، 52، 53، على التوالي.

البلاستيكية التي خضعت لأجيال من التحديثات. أُنتجت هذه الأسلحة والذخائر وغيرها بكميات ضخمة[25]، قبل أن تتدهور هذه القدرات أو أن تُلحِق بها دمارًا كبيرًا قوةُ المهام المشتركة بقيادة الولايات المتحدة في أثناء عملية العزم الصلب[26].

خلال الفترة 2014–2017، بنى تنظيم الدولة تدريجيًا نظامًا ثابتًا للتزوّد بالأسلحة وإنتاجها، جمع بين البحث والتطوير والإنتاج الضخم والتوزيع المنتظم للمنتجات والمعارف التقنية لتضخيم قدرة التنظيم على الصمود وقوته، فضلًا عن تعزيز المهارات العسكرية لعناصره[27]. وبحلول أوائل عام 2015، بات التنظيم يملك ترسانة أسلحة يمكن استخدامها في العمليات التقليدية، وعمليات حرب الغوار والإرهاب. وشمل ذلك قطعًا حربية مدرعة، مثل دبابات أبرامز إم1 (Abrams M1) الأميركية الصنع، ودبابات تي – 72 (T-72) وتي – 62 (T-62) وتي – 55 (T-55) السوفياتية الصنع، ومركبات قتال المشاة السوفياتية الصنع بي إم1 (BM1) وبي إم2 (BM2)، فضلًا عن غيرها[28]. كانت قطع المدفعية أيضًا جزءًا من القدرات العسكرية التقليدية للتنظيم خلال تلك

(25) ينظر: فيديو من إنتاج ولاية نينوى بعنوان "ولَنهدينهم سبلنا" الذي يُظهر بعض عمليات تنظيم الدولة في تصنيع الذخائر والأسلحة وتعديلها، في:
Aaron Y. Zelin, "New Video Message from the Islamic State: We Will Surely Guide Them to our Ways-Wilayat Ninawa," *Jihadology*, 17/5/2017, accessed on 18/8/2021, at: https://bit.ly/2ypnC90

(26) للاطلاع على تفصيلات الضربات الجوية وأهدافها والتدمير الذي ألحقته عملية العزم الصلب بتنظيم الدولة، ينظر:
"Operation Inherent Resolve: Targeted Operations to Defeat ISIS: Airstrike Updates," U.S. Department of Defence, accessed on 18/8/2021, at: https://bit.ly/2Zqazji

(27) إرنست باراجاس جونيور (Ernest Barajas Jr.): فني سابق في إبطال الذخائر المتفجرة في مشاة البحرية، عمل مع منظمات إزالة الذخائر في مناطق يحتلها تنظيم الدولة الإسلامية. ينظر:
John Ismay, Thomas Gibbons-Neff & C. J. Chivers, "How ISIS Produced Its Cruel Arsenal on an Industrial Scale," *The New York Times*, 10/12/2017, accessed on 18/8/2021, at: https://nyti.ms/2jzaIBo

(28) جرى الاستيلاء على معظم هذه القطع المدرعة من الجيش العراقي في صيف 2014، وعلى بعض دبابات تي–55 من الجيش السوري وتشكيلات المعارضة المسلحة السورية. القائد السابق لجيش الإسلام، مقابلة شخصية، إسطنبول، 7/ 11/ 2016. ينظر أيضًا:
"Weapons of ISIS - Islamic State Infantry Weapons, Vehicles, & Artillery," *Military Factory*, accessed on 18/8/2021, at: https://bit.ly/3381myH; Mehmet Kemal Firik, "ISIS's Weapon Inventory Grows," *Daily Sabah Mideast*, 3/7/2014, accessed on 18/8/2021, at: https://bit.ly/3spNddb

المرحلة. وشملت قطعًا ثقيلة، مثل مدافع إم 198 (M198) هاوتزر الأميركية الصنع عيار 155 ملم[29]، والمدفع الصيني تايب 58 (Type 58) عيار 133 ملم[30]. وفي مجال الدفاع الجوي، امتلك تنظيم الدولة ترسانة تقليدية قديمة، تضمّنت مدافع آلية قديمة مضادة للطائرات من طراز زد يو - 23 (ZU-23). لكنّ الأكثر خطورة في ترسانة الدفاع الجوي، كان عددًا غير معروف من صواريخ أرض-جو الموجّهة (أنظمة الدفاع الجوي المحمولة) من طراز ستينغر إف آي إم - 92 (FIM-92 Stinger)[31]، وإس أي/ 16 (SA/16)[32] وإس أي - 18 (SA-18)[33]. ونهب التنظيم صواريخ ستينغر الأميركية الصنع من مخازن الجيش العراقي. واستولى على بعض صواريخ إس أي - 16 (SA-16) وإس أي - 18 السوفياتية الصنع من مخازن الجيش السوري في قاعدة الطبقة الجوية العسكرية في محافظة الرقة[34]. وامتلك التنظيم أيضًا عددًا غير مؤكد من صواريخ أرض-جو السوفياتية الصنع إس أي - 7 (SA-7)[35].

إضافة إلى القدرات التقليدية، امتلكت ولايات التنظيم في العراق بحلول

(29) المدى الأقصى لمدفع إم198 يبلغ 18 ميلًا، ومعدل إطلاق نار أقصى يبلغ 4 طلقات في الدقيقة. وهذا أمر غير شائع ضمن ترسانات المغاوير.

(30) المدى الأقصى للمدفع الصيني تايب 58 يبلغ 17 ميلًا. وهذا غير مألوف ضمن ترسانات المغاوير.

(31) يمكن منظومة أرض-جو للدفاع الجوي المحمولة (MANPADS) أن تمثّل تهديدًا خطرًا للطائرات التي تُحلّق على ارتفاع منخفض. لكنّ ستينغر إف آي إم-92 تتطلب صيانة وعناية من متخصصين. وعلى ما يبدو، لم يكن لدى تنظيم الدولة الموارد اللازمة لذلك.

(32) صاروخ موجّه بالأشعة تحت الحمراء أرض-جو من عائلة إيغلا (Igla) الروسية الصنع. تسمية وزارة الدفاع الأميركية له هي إس أي-16؛ التسمية الروسية هي 9 كي 310 إيغلا-1إي (9K310 Igla-1E).

(33) صاروخ موجّه بالأشعة تحت الحمراء أرض-جو من عائلة إيغلا (Igla) روسية الصنع. تسمية وزارة الدفاع الأميركية له هي إس أي-18. أما تسميته الروسية فهي صاروخ 9كي38 إيغلا (9K38 Igla). هذا الصاروخ أكثر دقة، مع مدى أطول مقارنة بـ: إس أي-16.

(34) أبو رجب، مقاتل سابق في الجيش السوري الحر قاتل "داعش"/ تنظيم الدولة في إدلب وحلب والرقة، مقابلة شخصية، إسطنبول، 9/ 10/ 2016.

(35) صاروخ موجّه بالأشعة تحت الحمراء أرض-جو من عائلة ستريلا (Strela) الروسية الصنع. تُسمّيه وزارة الدفاع الأميركية إس أي-7. وتسميته الروسية هي 9كي32 ستريلا-2 (9K32 Strela-2). هذا جيل من منظومات الدفاع الجوي المحمولة السوفياتية أقدم، مقارنة بعائلة إيغلا.

أواخر عام 2014 واحدة من أشدّ ترسانات حرب الغوار تعقيدًا، لم يسبق أن امتلكها أي فاعل مسلح دون الدولة في المنطقة والعالم. وللتعبير عن القدرات المغاويرية لتنظيم الدولة، وثّق مركز البحث في تسليح النزاعات 1270 قطعة سلاح و29168 وحدة ذخيرة، كانت تخصّ التنظيم في العراق وحده بين تموز/ يوليو 2014 وتشرين الثاني/ نوفمبر 2017[36]. تضمّنت هذه العيّنة 31 نوعًا من الأسلحة، شائعة الاستخدام كلها في تكتيكات حرب الغوار، باستثناء مدافع الهاون الثقيلة عيار 120 ملم (الأقل شيوعًا)[37].

فيما يخص قدرات الإرهاب، تمتّع التنظيم، كما أوضحنا سابقًا، بعشر سنوات من الخبرة في تصنيع العبوات الناسفة واستخدامها. وورث خبرات دولة العراق الإسلامية في الإنتاج الصغير للأحزمة والسترات الناسفة الانتحارية للأفراد وتهيئة سيارات الركاب والدرّاجات النارية بالمتفجرات لإنتاج العربات المفخخة/ الانتحارية والدراجات النارية المفخخة/ الانتحارية في ورش صغيرة. وقد استند إلى هذه الخبرات لإنشاء مرافق إنتاج العبوات الناسفة على نطاق صناعي كبير، مع القدرة على تجهيز الشاحنات الكبيرة والعربات العسكرية المدرعة وتفخيخها بالمتفجرات. شملت المنتجات النهائية مختلف أنواع العربات المفخخة الانتحارية والشاحنات المفخخة الانتحارية.

بحلول أوائل عام 2015، أكمل تنظيم الدولة حشده العسكري. وتحوّل من مجموعة شبه مدمرة، تعتمد كثيرًا على الخلايا السرية والإرهاب المكثف باستخدام العبوات الناسفة في عام 2010، إلى تنظيم عابر الحدود ذي قدرات فعالة في مجالات الحرب التقليدية وحرب الغوار والإرهاب، وذلك بعد أربع سنوات فقط. وبغية التكيّف مع البيئة المتغيرة والتبديل بين أساليب الحرب،

(36) "Weapons of the Islamic State: A Three-Year Investigation in Iraq and Syria," Conflict Armament Research (December 2017), pp. 183-184.

(37) وثق مركز البحث في تسليح النزاعات اثنين منها فقط.

Ibid., p. 184.

واظبت الهياكل العسكرية للدولة الإسلامية في العراق/ "داعش"/ تنظيم الدولة على التغير السريع من حيث الحجم (بدءًا من المفارز، وصولًا إلى "جيوش"، وهي تشكيلات عسكرية لتنظيم الدولة، كل منها بحجم فوج نظامي)[38]، ومن حيث القيادة والسيطرة التكتيكية والعملياتية/ الأوامر في المعارك، وتقليل التخصصات والمهمات أو توسيعها، وحتى من حيث أسماء الهياكل العسكرية والقيادة العسكرية الاستراتيجية للتنظيم (مثل "وزارة الحرب" في دولة العراق الإسلامية، ثمّ "المجلس العسكري" و"هيئة الحرب العليا" و"المكتب العسكري العام" في "داعش"/ تنظيم الدولة). اتسمت هذه الهياكل التنظيمية المتغيرة والقابلة للتكيّف بأربع سمات ثابتة وفعالة قتاليًا:

أولًا، بصرف النظر عن الأحجام والتسميات، كان هناك التزام وتركيز على التخصصات والمهمات. امتلكت دولة العراق الإسلامية مفارز - يراوح حجمها بين فصيلة صغيرة وطاقم كبير - تخص القنص والاستخبارات، أصبحت لاحقًا تشكيلات بحجم سرية وكتيبة في ظل تنظيم الدولة الإسلامية (سرايا القنص والمكتب الأمني، على التوالي). والأمر نفسه ينطبق على المهمات المتخصصة. فقد تحوّلت مفارز الإسناد من حجم فصيلة صغيرة إلى وحدات بحجم كتيبة، تسمى القوة المركزية (عُرفت في المجال التداولي اليومي في سورية باسم "المركزيات"). وكانت مهمات هذه الوحدات مماثلة لقوات الانتشار السريع والقوات الخاصة في الجيوش التقليدية للدول.

ثانيًا، نظرًا إلى الأزمة المستمرة في عديد القوة البشرية لتنظيم الدولة وأسلافه من التنظيمات، بُنيت التراتبية التكتيكية والعملياتية دومًا على أساس الحاجة والعُرف، وليس وفق اللوائح الداخلية أو إجراءات التشغيل القياسية (Standard Operating Procedure, SOPs)؛ فعلى سبيل المثال، قد يقاتل والي إحدى "ولايات" التنظيم كجندي تحت قيادة الأمير العسكري للقاطع (القطاع)[39] خلال بعض

(38) مثل جيش الخلافة أو جيش الاستشهاديين.

(39) القاطع أو القطاع وحدة جغرافية عسكرية داخل ولاية.

عمليات الاقتحام. هذا، مع أنه يُفترض أن تكون مرتبة الوالي أعلى من مرتبة أمير قطاع ما (القاطع/ القطاع في أدبيات دولة العراق الإسلامية/ "داعش"/ تنظيم الدولة الإسلامية يمكن أن يراوح بين بلدة ومجموعة من البلدات ومحيطها). وفي ظل تنظيم الدولة، استقرّ العرف العام على أنه إذا كانت "الولاية" التابعة للتنظيم هي جبهة قتال، أو على حدود جبهة قتال، فإن القيادة والسيطرة على المستوى التكتيكي والعملياتي تفوَّض من المجلس العسكري إلى قادة القطاعات المحلية في تلك "الولاية"، ومن ثمّ يتم تجاوز التراتبية، وتُعطى الأولوية لهؤلاء القادة على المستويين التكتيكي والعملياتي لجهة الانتشار السريع وطلبات الدعم والإسناد.

ثالثًا، نوَّع تنظيم الدولة باستمرار وحداته القتالية من خلال اختيار مقاتلين من قطاعات جغرافية مختلفة وزجّهم في المعركة. وهذا يُفضي، في حالة الإبادة في ساحة المعركة، إلى اقتسام الخسائر بين قطاعات عدة، بدلًا من أن تتركز في قطاع واحد. وبذلك يحدّ التنظيم من ردات فعل العامة والتمردات المحلية المحتملة ضد هياكل حكمه، وكذلك يخفف أحيانًا من حدّة أزمة القوى البشرية. ومن المرجّح أن هذا أفضى - ربما عن غير قصد - إلى تنويع الخبرات والثقافات القتالية (أو التعددية - الثقافية القتالية) للمقاتلين المشاركين في العملية (العمليات) نفسها[40].

رابعًا، تتعلق هذه السّمة الثابتة بدرجة الاعتماد على الذات لدى الوحدات القتالية للدولة الإسلامية في العراق/ "داعش"/ تنظيم الدولة، بغض النظر عن أحجامها وأسمائها وأماكنها في الهياكل التنظيمية السريعة التغير. وعادة، تكون درجة الاعتماد على الذات عالية على مستوى المفارز. وكان هذا يصل في بعض الأحيان إلى درجة الاكتفاء الذاتي. كان مقاتلو تنظيم الدولة يرددون مقولة شائعة تعكس ذلك: "من ترتاح، ادفن تي إن تي وجيب الدولار". هذا يعني أنه خارج أوقات القتال، يجب على المقاتلين دفن ترساناتهم أو تخزينها

(40) لمزيد من التحليل بشأن هذه النقطة، ينظر: الفصل السادس من هذا الكتاب.

والبدء بجمع الأموال لأجل التمويل الذاتي وشراء الأسلحة استعدادًا لوقت القتال. تعود ميزة الاعتماد على الذات هذه إلى أيام جماعة التوحيد والجهاد، حينما كان هذا السلف لتنظيم الدولة مكوّنًا من خلايا إرهابية صغيرة ذات موارد محدودة.

ينبغي لنا تسليط الضوء هنا على ملاحظتين أخيرتين تخصان دولة العراق الإسلامية/ "داعش" وعمليات التعبئة العسكرية، وتوضّحان في الوقت نفسه التكيّف والمرونة التنظيميتين في أثناء بناء القدرات لارتكاب أعمال عنف ضخمة في العراق: أولًا، حدث البناء العسكري للدولة الإسلامية في العراق/ "داعش"/ تنظيم الدولة على الرغم من مقتل "وزراء الحرب" ورؤساء المجالس العسكرية لهذه التنظيمات وكذلك القادة من الرتب المتوسطة. ففي أيار/ مايو 2010، قُتل أو أُسر 80 في المئة من القادة العسكريين في دولة العراق الإسلامية (34 من أصل 42 من كبار القادة)، وفقًا للجنرال راي أوديرنو (Ray Odeirno)، رئيس قيادة القوات المشتركة في العراق[41]. وعلى مستوى الرتبة والملف الشخصي، أخبر ليون بانيتا (Leon Panetta) (2011-2013)، وزير الدفاع الأميركي في ذلك الوقت، مجلس الشيوخ الأميركي في حزيران/ يونيو 2010 أن 1000 مقاتل فقط من دولة العراق الإسلامية بقوا نشطين[42]. وعمومًا، يُعد أبو حمزة المهاجر القائد العسكري الأطول خدمة لدى دولة العراق الإسلامية/ "داعش"/ تنظيم الدولة؛ إذ استمرت فترة عمله "الوزارية الحربية" نحو ثلاث سنوات ونصف سنة (من تشرين الأول/ أكتوبر 2006 إلى نيسان/ أبريل 2010). قُتل نعمان الزيدي (أبو سليمان ناصر الدين) الذي حلّ محلّه "وزيرًا للحرب"، بعد 13 شهرًا فقط (في أيار/ مايو 2011). أمّا سمير الخليفاوي (حجي بكر) الذي حلّ محل الزيدي كقائد عسكري ويُنسب إليه المزيد من إضفاء الطابع المؤسسي والاحترافي وتعزيز التخصصات داخل

(41) Thom Shanker, "Al-Qaeda Leaders in Iraq Neutralised, U.S. Says," *The New York Times*, 4/6/2010, accessed on 18/8/2021, at: https://nyti.ms/3scP9DT

(42) Qassim Abdul-Zahra & Lara Jakes, "Al Qaeda Iraq Strength Musters," *Stuff*, 10/10/2012, accessed on 18/8/2021, at: https://bit.ly/3AUcFu2

المجلس العسكري للدولة الإسلامية في العراق، فقُتل بعد عامين وثمانية أشهر فقط (كانون الثاني/ يناير 2014)، وخلفه عدنان البيلاوي (أبو عبد الرحمن البيلاوي) الذي يُنسب إليه أنه العقل المُدبّر للسيطرة على الموصل في حزيران/ يونيو 2014. وقد فجّر نفسه لتجنّب القبض عليه من الشرطة الاتحادية العراقية، قبل ستة أيام فقط من إتمام "داعش" سيطرته على الموصل (حزيران/ يونيو 2014). واستمرت فترة ولايته ستة أشهر، وخلفه عدنان السويداوي (أبو مهند السويداوي أو حجي داوود) الذي قُتل بعد خمسة أشهر (في تشرين الثاني/ نوفمبر 2014)، وخلفه فاضل الحيالي (أبو مسلم التركماني أو حجي معتز) الذي قُتل بدوره بعد عشرة أشهر (في آب/ أغسطس 2015). وبعد ذلك، شغل إياد العبيدي (أبو صالح حيفا) منصب رئيس المجلس العسكري[43]، وقُتل في المراحل الأخيرة من معركة (غرب) الموصل[44]. وإجمالًا، قُتل ثلاثة من قادة المجلس العسكري في غارات جوية أميركية، وقُتل أربعة على أيدي القوات البرية، النظامية وغير النظامية، العراقية والسورية.

باختصار، يوضح الجدول (2-1) عمليات "قطع الرؤوس" (أي عمليات استهداف القادة بالقتل أو الاعتقال) المستمرة للقادة العسكريين في تنظيم الدولة. ويعكس قدرة التنظيم على الاستمرار في النمو حتى بعد تحييد كبار قادته العسكريين.

(43) أعيدت تسمية المجلس العسكري في إحدى المراحل بـ "هيئة الحرب".

(44) شغل طرخان باتيراشفيلي (قائد جورجي-كيستي في "داعش"/ تنظيم الدولة معروف باسم "أبو عمر الشيشاني") وغلموراد حليموف (قائد طاجيكي في تنظيم الدولة معروف باسم "أبو عمر الطاجيكي") منصب "وزير الحرب"، وفقًا للبنتاغون. لكن، في أثناء إعادة هيكلة دولة العراق الإسلامية في صيف 2011 على يد حجي بكر، أُلغي منصبا "وزير الحرب" و"رئيس الأركان". ولم تؤكد منشورات "داعش"/ تنظيم الدولة إعادة الهيكلة، باستثناء وثيقة "غير رسمية" من مُطّلعين على تنظيم الدولة، تزعم أن الشيشاني كان "أمير وزارة الحرب". قُتل الشيشاني، وهو رقيب سابق في "مجموعة الاستطلاع الخاصة" التابعة للجيش الجورجي، في تموز/ يوليو 2016. وزعم مسؤولون عسكريون روس أنهم قتلوا أبي عمر الطاجيكي في نيسان/ أبريل 2017. ولم يؤكد البنتاغون ذلك وقتها. ثبت أن معظم البيانات الرسمية الروسية بشأن عدد قتلى تنظيم الدولة وقادة المتمردين غير دقيقة، ما لم يؤكدها مصدر (مصادر) آخر. ينظر:
"The 'Informal' Document on IS'," *Qanat Arshif al-Siyar*, accessed on 1/12/2017, at: https://bit.ly/2Yz4d49

الجدول (2-1)

رؤساء المجلس العسكري في دولة العراق الإسلامية/ "داعش"/ تنظيم الدولة الإسلامية

القائد	فترة القيادة	تاريخ البدء	تاريخ الانتهاء	سبب الإنهاء
أبو حمزة المهاجر	42 شهرًا	تشرين الأول/ أكتوبر 2006	نيسان/ أبريل 2010	قُتل في الميدان (بوساطة القوات المشتركة الأميركية - العراقية)
أبو سليمان ناصر الدين	13 شهرًا	نيسان/ أبريل 2010	أيار/ مايو 2011	قُتل في الميدان (بوساطة القوات العراقية)
حجي بكر	30 شهرًا	أيار/ مايو 2011	كانون الثاني/ يناير 2014	قُتل في الميدان (بوساطة قوات المعارضة السورية)
أبو عبد الرحمن البيلاوي	6 أشهر	كانون الثاني/ يناير 2014	حزيران/ يونيو 2014	قُتل في الميدان (بوساطة القوات العراقية)
أبو محمد السويداوي	5 أشهر	حزيران/ يونيو 2014	تشرين الثاني/ نوفمبر 2014	قُتل في الميدان (بوساطة ضربة جوية أميركية)
أبو مسلم التركماني	10 أشهر	تشرين الثاني/ نوفمبر 2014	آب/ أغسطس 2015	قُتل في الميدان (بوساطة ضربة جوية أميركية)
أبو صالح حيفا	23 شهرًا	آب/ أغسطس 2015	تموز/ يوليو 2017	قُتل في الميدان (بوساطة القوات العراقية)

المصدر: من إعداد الباحث.

ثانيًا، كان لدى دولة العراق الإسلامية خطة مضادة للتعويض عن خسارة القادة، قوامها حملة منسّقة، مدتها عام واحد، بدأت في صيف 2012 بهدف

تحرير كوادرها القيادية المسجونين. سُمّيت الحملة رمزيًا "هدم الأسوار"، وكان لها شأن بالغ الأهمية في الحشد والتطور العسكري للتنظيم. أسفرت الحملة عن تحرير كبار القادة ذوي الخبرة الذين قادوا الأهداف العملياتية للدولة الإسلامية في العراق/ "داعش"/ تنظيم الدولة، بما في ذلك السيطرة على الأراضي وحكمها بالقوة. وبصفة عامة، تميّزت عملية "هدم الأسوار" بأكثر من 900 هجوم بعربات مفخخة في المقدمة أو هجوم معتمد على عربات مفخخة، وأكثر من 100 هجوم بعربات مفخخة انتحارية في المقدمة أو هجوم معتمد على عربات مفخخة انتحارية، وثماني محاولات هروب، أو هروب ناجح من السجون في أنحاء العراق كلها بين تموز/ يوليو 2012 وتموز/ يوليو 2013[45]. وفي المجموع، تمكّنت الدولة الإسلامية في العراق/ "داعش" من تحرير 824 شخصًا من الكوادر المسجونين باستخدام القوة، وهي الأولى من نوعها، من حيث عدد العمليات في الحملة حتى مقارنة بعمليات الهروب المذهلة الأخرى من السجون، مثل عمليتي الهروب من سجني ساربوزا وغزني اللتين نفّذتهما طالبان في عامي 2011 و2015، والهروب من سجن HM Prison Maze الذي نفّذه الجيش الجمهوري الإيرلندي المؤقت في عام 1983، والهروب من سجن بونتا كاريتاس في الأوروغواي الذي نفّذه تنظيم التوباماروس في عام 1971. ووفقًا لمسؤولين أمنيين عراقيين، كان من الـ 824 كادرًا 276 من "أخطر" القادة ذوي الرتب المتوسطة والعالية[46]. كانت الحملة مؤشرًا قويًا على نجاح الدولة الإسلامية في العراق/ "داعش" في الحشد العسكري، والقدرة على النهوض والهجوم بعد هزيمة ساحقة في عام 2010.

---

(45) بشأن وثائق دولة العراق الإسلامية حول حملة هدم الأسوار، ينظر: "مؤسسة هدم الأسوار/ الإصدار المرئي – وقت السداد"، **إنترنت أركايف**، شوهد في 13/ 4/ 2021، في: https://bit.ly/336DyLe; Jessica Lewis, *Al Qaeda in Iraq is Resurgent: The Breaking the Walls Campaign*, Part I, Middle East Security Report, no. 14, Institute for the Study of War (September 2013), p. 8, accessed on 14/10/2021, at: https://bit.ly/3oZzdH8

(46) "824 سجينًا عراقيًا تم تهريبهم بالقوة منذ أعلن البغدادي حملة هدم الأسوار"، **الحياة**، 25/ 7/ 2013، شوهد في 18/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2GFEfSl

1- جبهة الفلوجة: كانون الثاني/ يناير 2014 - حزيران/ يونيو 2016

كانت الفلوجة أول بلدة تسقط في أيدي "داعش" بعد نهوضه من ركام الرماد. اندلعت المعركة الأخيرة للسيطرة على البلدة بين 30 كانون الأول/ ديسمبر 2013 و3 كانون الثاني/ يناير 2014. ففي ذلك التاريخ، أعلن تنظيم "داعش" خلال صلاة الجمعة أن الفلوجة باتت جزءًا من أراضيه. لكنّه لم يسيطر على معظم الأحياء إلّا في نهاية آذار/ مارس 2014[47]. كذلك، لم يقاتل "داعش" هنا بمفرده، كما كانت الحال في بعض المدن والبلدات العراقية الأخرى. ففي الفلوجة على وجه التحديد، دخل "داعش" في تحالف تكتيكي مع ستة تنظيمات مسلحة أخرى: الجيش الإسلامي وجيش المجاهدين وكتائب ثورة العشرين وجيش رجال الطريقة النقشبندية (أو جيش النقشبندية) ومجلس الفلوجة العسكري ومجموعة [عبد الله] الجنابي. وفي الفترة ما بين 30 كانون الأول/ ديسمبر و3 كانون الثاني/ يناير، عمل ما لا يقل عن 18 تشكيلًا مسلحًا صغيرًا تابعًا للتنظيمات المذكورة في الفلوجة وضواحيها ضد القوات النظامية العراقية. انتمى نحو ثلث هذه التشكيلات إلى "داعش"[48]. ومن حيث القوة البشرية، راوح عديد تشكيلات "داعش" بين 200 و300 مقاتل، وهي نسبة ضئيلة مقارنةً بعديد القوات النظامية العراقية التي كانت متمركزة في البلدة ومحيطها. ومن ثمّ، كان التفوّق العددي على تنظيم "داعش" وحده، من دون حلفائه المؤقتين، في الفلوجة يبلغ 50 في مقابل 1[49].

بحلول نهاية كانون الثاني/يناير 2014، نما "داعش" وبات التنظيم المسلح الأكثر هيمنة في الفلوجة مع انضمام مئات المجندين الجدد والمنشقين عن التنظيمات الأخرى. ومع ذلك، لم يسيطر "داعش" على البلدة كليًّا، على الرغم من إعلانه ذلك في 3 كانون الثاني/ يناير 2014. فأكبر عرض عسكري

---

(47) وائل عصام، "'داعش' سيطرت على الفلوجة بعد أن احتجزت ضباطًا من المجلس العسكري"، **القدس العربي**، 28/ 6/ 2014، شوهد في 18/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2YAw8Ay؛ لواء سابق في الجيش العراقي.

(48) لواء سابق في الجيش العراقي.

(49) المرجع نفسه.

لـ "داعش"، مؤلف من نحو 100 مركبة مسلحة جنوب غرب الفلوجة، جرى في 31 آذار/ مارس 2014[50]. وتضمّن ذلك العرض عربات هامر وحاملات جنود مدرعة مجنزرة إم113 (M113)، تمّ الاستيلاء عليها كلها من الجيش العراقي. كان ذلك مؤشرًا على الثقة والسيطرة وزوال المقاومة المحلية المناهضة لـ "داعش" في البلدة[51].

أ- في حالة الهجوم: تمدد

حقق "داعش" النصر في الفلوجة عبر طريقة عمل (Modus Operandi) على المستوى العملياتي، مكوّنة من ثلاث مراحل متداخلة: الإثخان والزحف (Softening and Creeping)، وبناء التحالف (Coalition-building)، والتصفية - التمكين (Liquidating-Consolidating). وبالنظر إلى أن طريقة العمل هذه سيتكرر تنفيذها وذكرها، سأشير إليها، على سبيل التبسيط، بالاختصار (SCCLC) (وتُنطق "Skulls" أو طريق "الجماجم"). واتُّبعت هذه الطريقة، جزئيًا أو كليًا، في البلدات والمدن العراقية والسورية والليبية والمصرية، وفي أماكن أخرى أيضًا، وكانت النتائج متباينة[52]. ففي الفلوجة، أنهك "داعش" الجيش العراقي وقوات الأمن من خلال الزحف مرة أخرى إلى معقله السابق[53]. ورفع عدد العمليات في الفلوجة من متوسط عملية مسلحة واحدة كل يومين في الربع الأول من عام 2013، إلى ضعفي ذلك (عملية واحدة كل يوم) في الربع الأخير من العام نفسه. لكن شملت هذه المرحلة أكثر من مجرد الكثافة الكمية للعمليات. فمن الناحية النوعية، استخدم "داعش" الضربات الجراحية لتصفية أفراد مختارين.

---

(50) Bill Roggio, "ISIS Parades on Outskirts of Baghdad," *The Long War Journal*, 1/4/2014, accessed on 18/8/2021, at: https://bit.ly/2Zkwzfw

(51) واجه التنظيم مقاومة محلية كبيرة بين كانون الثاني/ يناير وآذار/ مارس 2014، حتى بعد إعلان الفلوجة جزءًا من أراضيه خلال صلاة الجمعة في 3 كانون الثاني/ يناير 2014.

(52) بشأن جبهات الموصل والرمادي، ينظر الأقسام أدناه؛ وكذلك الفصول الخاصة بجبهات القتال السورية والليبية.

(53) أبرزها الأحياء الجنوبية والأطراف الريفية الجنوبية للفلوجة وعشائر نهر الفرات جنوب الفلوجة، مثل منطقتي النعيمية والأميرية. حصل تنظيم القاعدة في العراق على بعض الدعم في هذه المناطق في عام 2006.

وابتعد في هذه المرحلة عن أساليب القتل الجماعي الإرهابية مثل تلك المستخدمة في أماكن أخرى في العراق والعالم، وذلك لتجنّب ردات الفعل المحلية والاقتتال الداخلي مع الجماعات المسلحة الأخرى. تشمل تكتيكات الضربات الجراحية الاغتيالات عن قرب وتفجير العبوات الناسفة تحت السيارات، وأساليب عقابية مختلفة، مثل استخدام العبوات الناسفة والعربات المفخخة لتفجير منازل الأفراد المناهضين لـ"داعش"، ومنهم زعماء قبائل وقادة في الشرطة[54]. كما اختار "داعش" رجال أعمال محددين لابتزازهم عبر ترهيبهم، إضافة إلى اغتيال رجال دين سُنّة مناهضين له. وفي نطاق الفلوجة، تضمّنت العمليات "النوعية" اغتيال قادة الجيش وتعطيل خطوط إمداده تدريجيًا و/ أو إنهاكها و/ أو قطعها. وكان من بين ضحايا الاغتيال اللواء محمد أحمد الكروي (قائد الفرقة السابعة في الجيش العراقي) الذي سبق أن شارك في حملة على اعتصام احتجاجي في الحويجة في نيسان/ أبريل 2013[55].

كان اللواء الكروي يعمل في محافظة الأنبار حينما قُتل بوساطة انتحاريين يرتدون سترات ناسفة[56]. وتمكّنت وحدات "داعش" أيضًا من عزل أحياء عدة في الفلوجة والرمادي، وأجزاء أخرى من محافظة الأنبار عن طريق نسف الجسور وتلغيم الطرق. وإجمالًا، دمّر "داعش"/ تنظيم الدولة 85 جسرًا في محافظة الأنبار بالعبوات الناسفة والعربات المفخخة ما بين أوائل عام 2014 ومنتصف عام 2015[57].

بدأت المرحلة الثانية على المستوى العملياتي - بناء التحالف - منذ

---

(54) شملت العناصر المناهضة لتنظيم الدولة عناصر مناهضة لتنظيم القاعدة في العراق وشخصيات من الصحوات وشخصيات قبلية غير متعاونة وأقل تعاونًا ورجال شرطة.

(55) بشأن الحويجة، ينظر:
Tim Arango, "Dozens Killed Across Iraq as Sunnis Escalate Protests Against Government," *The New York Times*, 24/4/2013, accessed on 18/8/2021, at: https://nyti.ms/34sd0p5

(56) Kamal Namaa, "Iraqi Militants Kill at Least 18 Soldiers, Including Commander," *Reuters*, 21/12/2013, accessed on 18/8/2021, at: https://reut.rs/31ejSDH

(57) "مجلس الأنبار: 85 جسرًا حيويًا دمّرها "داعش" ونحتاج 160 مليار دينار لإعمارها"، **المدى برس**، 25/ 10/ 2015، شوهد في 18/ 8/ 2021، في: https://goo.gl/SY4yRw

منتصف عام 2013، على أبعد تقدير. كان "داعش" يهدف إلى تحييد الصحوات وعكس تأثيرها. ولهذا الغرض، وبدلًا من الانخراط في الأعمال العدائية، عقد "داعش" على نحوٍ انتقائي سلسلة من التحالفات التكتيكية والعملياتية، وسعى لبناء تحالفات براغماتية مع مسلحين محليين وزعماء عشائر من أولئك الذين اعتبر عدد منهم أن التنظيم أهون الشرّين، مقارنة بالجيش العراقي وقوات الأمن في عهد رئيس الوزراء نوري المالكي (2006–2014)[58]. وعزّز هذا الرأيَ اقتحامُ الاعتصامات العربية السنية في وسط العراق، ومذبحة الحويجة في نيسان/ أبريل 2013، وفضّ الجيش اعتصام الفلوجة الذي استمر مدة عام في كانون الأول/ ديسمبر 2013؛ ما سهّل لـ"داعش" عقد تحالفات تكتيكية.

كانت المرحلة الثالثة والأخيرة على المستوى العملياتي نوعًا من "توطيد السلطة" الكلاسيكي، من خلال تصفية "الأصدقاء – الأعداء" بوحشية. فقد استُهدف، أو صُفِّي، معظم زعماء العشائر وقادة المسلحين الذين ساعدوا "داعش" في الفترة من كانون الثاني/ يناير إلى آذار/ مارس 2014، وذلك بمزيج من الاغتيالات وتكتيكات العبوات الناسفة (بما في ذلك العبوات الناسفة تحت المباني)، أو الإعدام الجماعي أو السجن. فعلى سبيل المثال، استُهدفت على نحوٍ انتقائي التشكيلات المسلحة المُقرّبة من الحزب الإسلامي العراقي، وشمل ذلك حركة حماس العراقية ورجال الشرطة المحليين المقرّبين من الحزب[59]. وفي أيار/ مايو 2014، اشتكى مجلس الفلوجة العسكري علنًا من قيام "داعش" بنزع سلاح مقاتليه والتحرش بهم، وكذلك المقاتلين غير التابعين له داخل الفلوجة[60]. وبحلول نهاية أيار/ مايو 2014، أضعف "داعش" التنظيمات الستة المذكورة سابقًا في الفلوجة. ووضع قادة التنظيمات في السجون، أو نزع سلاحهم وهمّشهم، ومنهم من فرّ من المدينة. وكان من أبرز هؤلاء الشيخ عبد الله الجنابي الذي قاد مجلس شورى المجاهدين في معركة

(58) International Crisis Group, *Iraq: Falluja's Faustian Bargain,* Middle East Report, no. 150 (Brussels, 28/4/2014), pp. 1-20, accessed on 18/8/2021, at: https://bit.ly/3ALTrXA

(59) لواء سابق في الجيش العراقي.

(60) عصام.

الفلوجة الأولى صيف 2004، والعميد أبو الوليد، وهو ضابط عراقي سابق كان قائدًا في مجلس الفلوجة العسكري[61].

ب- في حالة الدفاع: تداعٍ

في 22 أيار/ مايو 2016، شنّت القوات العراقية المشتركة النظامية وغير النظامية هجومًا مضادًا واسعًا لاستعادة الفلوجة. كان تنظيم الدولة في هذه المرحلة يحتفظ بأقل من 1000 مقاتل في الفلوجة المحاصرة منذ شباط/ فبراير. تمكّنت الحكومة العراقية والمؤسسة الدينية الشيعية العراقية من حشد أكثر من 15,000 جندي ومقاتل لتحرير المدينة. كان الجنود ينتمون إلى وحدات من الفرق الأولى والثامنة والعاشرة والسابعة عشرة من الجيش العراقي، وكذلك قوات العمليات الخاصة العراقية (المعروفة باسم "الفرقة الذهبية" التي يديرها جهاز مكافحة الإرهاب العراقية) والشرطة الاتحادية وتحالف ميليشيات قوات الحشد الشعبي[62] وفيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني، إضافة إلى الدعم الاستراتيجي والاستخباري والجوّي من قوة المهام المشتركة بقيادة الولايات المتحدة - عملية العزم الصلب. ويُقدَّر أن أكثر من 70 قنبلة كانت تسقط كل أسبوع على مواقع تنظيم الدولة من نحو 29 طائرة من طراز بي - 52 (B-52) وأي - 10 (A-10) وإف - 15 (F-15) وإف/ أي - 18 (F/A-18) تابعة لقوة المهام المشتركة، ومقاتلات تايفون البريطانية والدرونات من طراز إم كيو - 1 بريديتور (MQ-1 Predator) وإم كيو - 9 ريبر (MQ-9Reaper). وقد استمرت معركة تحرير الفلوجة حتى نهاية حزيران/ يونيو 2016.

بنى تنظيم الدولة دفاعاته في الفلوجة بين حزيران/ يونيو 2014 وحزيران/ يونيو 2016، وشمل ذلك التجهيزات الملائمة لتكتيكات الاستخدام المكثف للأنفاق والعبوات الناسفة والقنص. واعتمد التنظيم كثيرًا على مختلف أنواع

---

(61) المرجع نفسه.

(62) تحالف واسع من الميليشيات الشيعية كان لها دور فعال في محاربة "داعش"/ تنظيم الدولة في العراق. لكنّ بعض هذه الميليشيات اتُّهم بارتكاب انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان، إضافة إلى ممارسات طائفية وإجرامية.

التفجيرات الانتحارية، بما في ذلك السترات الناسفة الانتحارية والعربات المفخخة الانتحارية والدرّاجات المفخخة الانتحارية. ففي أسبوع واحد في أيار/ مايو 2016، شنّ 14 عملية انتحارية(63). لكن الهزيمة في الفلوجة كانت مسألة وقت فحسب، نظرًا إلى اختلال ميزان القوى. كان عدد عناصر التنظيم وتسليحه أقلّ بكثير من مهاجميه، لذلك حاول الانسحاب من الفلوجة في قافلة كبيرة، تضم أكثر من 200 مركبة مسلحة وعربة محوَّرة. كان هذا القرار كارثيًا على التنظيم، لأنه لا يملك دفاعات جوية متطوّرة تغطي الانسحاب. تجمعت هذه الآليات في ازدحام مروري جنوب البلدة في 29 حزيران/ يونيو 2016. قال نائب قائد القيادة المركزية للقوات الجوية الأميركية اللواء غاي سيلفيريا: "لا سبيل لفقدان تلك الفرصة"(64). لقد قُتل ما لا يقل عن 348 من مقاتلي التنظيم، ودُمّرت نحو 200 مركبة تابعة له. تلك كانت النهاية. انتصر الجيش العراقي وحلفاؤه على نحوٍ حاسم في معركة الفلوجة في عام 2016. وخسر التنظيم البلدة، لكنه لم يوقف هجماته هناك. ففي أواخر حزيران/ يونيو 2019 - بعد ثلاث سنوات من الهزيمة - نشر التنظيم شريط فيديو دعائي يظهر غارات ليلية شنّها مقاتلوه وأسفرت عن إعدام ميداني لضباط من الجيش العراقي وقادة من الصحوات في منطقة الكرمة في الفلوجة(65).

2- جبهة الموصل: حزيران/ يونيو 2014 - تموز/ يوليو 2017

وقعت معركة الموصل بين 4 و10 حزيران/ يونيو 2014، وانتهت بانتصار حاسم لـ"داعش". كانت معركة الموصل، حتى عند مقارنتها بالفلوجة والرمادي، واحدة من أكثر العمليات العسكرية إعجازًا في تاريخ حروب المدن

(63) ولاية الفلوجة، "14 عملية استشهادية"، النبأ، العدد 36، 24/ 5/ 2016 [16 شعبان 1437]، ص 6.

(64) Oriana Pawlyk, "Diverting to Fallujah from Syrian Town was Right Call to Target ISIS, General Says," *Air Force Times*, 15/7/2016, accessed on 18/8/2021, at: https://bit.ly/2KdNtWU

ولمزيد من التفصيلات حول تلك العملية، ينظر:

Christiaan Triebert, "An Open Source Analysis of the Fallujah 'Convoy Massacre'(s)," *Bellingcat*, 6/7/2016, accessed on 15/4/2021, at: https://bit.ly/29nqLup

(65) Zelin, "New Video Message from the Islamic State."

الحديثة. كان "داعش" في وضعية الهجوم، مع أن عدد عناصره أقل بكثير، حيث بلغت نسبة القوى البشرية في أعلى التقديرات 75 إلى 1، وفي أدناها 10 إلى 1[66]. وكان التنظيم أقل تسليحًا بكثير أيضًا، حيث هاجم أساسًا باستخدام العربات المحوَّرة غير المدرعة والأسلحة الخفيفة وتكتيكات العبوات الناسفة المكثفة (بما في ذلك العربات المفخخة الانتحارية والسترات الناسفة الانتحارية). زِدْ على ذلك أن هجوم الموصل لم يفاجئ القوات النظامية؛ فقد كان لدى بغداد، وفقًا لما أورده تحقيق برلماني، معلومات استخبارية مسبقة حول هجوم وشيك على المدينة منذ أوائل أيار/مايو 2014[67]. وعلى الصعيد المحلي، توقعت كل من الشرطة والمخابرات العسكرية في نينوى هجومًا وشيكًا في حزيران/يونيو 2014. وإضافة إلى ذلك، بُتر رأس القيادة العسكرية لـ"داعش" في بداية المعركة؛ إذ نجحت وحدات الشرطة الاتحادية العراقية[68] في محاصرة عدنان البيلاوي (أبو عبد الرحمن البيلاوي)، رئيس المجلس العسكري لـ"داعش"، وكادت تعتقله، لكنه فجر نفسه باستخدام سترة ناسفة. كان جهاز استخبارات الشرطة الاتحادية العراقية يتّهم البيلاوي بتدبير الحملات العسكرية لـ"داعش" في نينوى والأنبار. وعلاوة على ذلك، لا يبدو أن البيلاوي كان يخطط للسيطرة على الموصل كلها. ووفقًا لفيلم

(66) في أعلى التقديرات، تشمل نسب القوى البشرية هذه الفرقة الثالثة للشرطة الاتحادية العراقية في الموصل والوحدات المساندة لها، التي قُدرت بـ 30,000 عنصر، إضافة إلى الفرقة الثانية في الجيش العراقي والوحدات المساندة لها التي قُدرت بـ 30,000 عنصر آخر. تعمل الفرقتان تحت قيادة عمليات محافظة نينوى. وكانت القوة المهاجمة الأولى لـ"داعش" في حدود 400 إلى 600 مقاتل. وفي مرحلة لاحقة من المعركة، انضمت إليها خلايا "داعش" داخل الموصل، وفي 8 حزيران/يونيو، وصلت تعزيزات من نحو 400-500 مقاتل من شرق سورية؛ وفي أدنى التقديرات زعم الفريق ركن مهدي الغراوي، القائد السابق للشرطة الاتحادية العراقية في نينوى، في تقرير أوردته رويترز أنه كان هناك 10,000 جندي فقط "فعليًا" في كل الفرق القتالية في الموصل. ينظر:
Ned Parker, Isabel Coles & Raheem Salman, "Special Report: How Mosul fell - An Iraqi General Disputes Baghdad's Story," *Reuters*, 14/10/2014, accessed on 18/8/2021, at: https://reut.rs/2GIXieC

(67) "التحقيق في سقوط الموصل بيد 'داعش' يُحمّل المالكي وقيادات أخرى المسؤولية"، **الوطن**، 19/ 8/ 2015، شوهد في 19/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2LUn03P

(68) كانت هذه عملية مشتركة بين جهاز استخبارات الشرطة الاتحادية وقوة الرد السريع التابعة لوزارة الداخلية العراقية.

وثائقي نشره تنظيم الدولة في 10 حزيران/ يونيو 2015 تحت عنوان "عام منذ فتح [الموصل]"، كانت الخطة الأولية تقتضي الاستيلاء على ناحيتين فقط من نواحي غرب الموصل. فمن بين نواحي الموصل الثماني، خطط "داعش" لاحتلال ربيعة والموصل الجديدة فحسب. واحتُلّت البقية نتيجة للتبديلات الاستراتيجية/ العملياتية خلال المعركة والتكتيكات المبتكرة ومثابرة مقاتلي "داعش" ووحشيتهم، ومزيج من عدم الكفاءة والارتباك والفوضى في صفوف القوات النظامية.

أ- هجوم أقرب إلى المعجزة

على غرار الفلوجة، استخدم تنظيم الدولة في الموصل طريقة عمل (SCCLC) السابقة. ففي البداية، نشر التنظيم ما لا يقل عن عشرين من تشكيلات المغاوير، كل واحد بحجم فصيلة صغيرة، بغية احتلال اثنتين من النواحي الغربية للموصل. ومن ثمّ، ركّز "داعش" معظم القوة البشرية والنارية في غرب الموصل، بينما استخدم هجمات تضليلية وقوات تخريبية في الشمال الشرقي. وفي 5 حزيران/ يونيو، بعد يوم واحد من تحييد البيلاوي، قصف مقاتلو "داعش" حي الزهور في شمال شرق الموصل بهدف التضليل، وبحلول منتصف ليلة السادس من حزيران/ يونيو، تقدمت ثلاث قوافل، يقل مجموعها عن 100 من شاحنات النقل الصغيرة والعربات المحوَّرة، تحمل كل منها 4 أو 5 مقاتلين، آتية من صحراء الجزيرة إلى شمال غرب الموصل[69]. تقدمت وحدات "داعش" بسرعة إلى منطقة ربيعة المستهدفة، كما هو مخطط، وخصوصًا إلى أحياء 17 تموز واليرموك والنهروان. وفي وقت متزامن تقريبًا، تعرّض المقران الاستخباريان في حي القاهرة الشمالي الشرقي إلى هجوم بغية تضليل القوات العراقية النظامية؛ الأمر الذي أثار الارتباك والفوضى في المقرين وحولهما. وتعطّلت الاتصالات بين القوات العراقية تدريجيًا، حتى أن الكتائب النظامية التابعة لقيادة عمليات نينوى بدت وكأنها تعمل على نحوٍ شبه مستقل بعضها عن بعض في شرق

---

(69) "إصدار لتنظيم الدولة في الموصل"، **الجزيرة**، 12/ 6/ 2015، شوهد في 19/ 8/ 2021، في:
https://bit.ly/3iWvhUa

الموصل وغربه. وفي هذه المرحلة، وسّع تنظيم "داعش" وحداته الصغيرة في الشرق، مُحدِثًا تبديلًا في الخطة العملياتية بهدف الوصول إلى الضفاف الشرقية لنهر دجلة. وردّت القوات النظامية العراقية بهجوم معاكس.

في 7 حزيران/ يونيو، تمكّنت القوات العراقية من استعادة بعض الزخم. وكادت تنجح بمساعدة الضربات الجوية في تطويق الشمال الغربي من مدينة الموصل، حيث تتركز وحدات "داعش". لكن كان للهجمات الجوية مفعول فقدان الدقة المتدرّج الكلاسيكي[70]. فهي لم تكن غير دقيقة في إصابة مقاتلي "داعش" فحسب، بل أودت أيضًا بحياة عشرات السكان المحليين عن طريق الخطأ[71]. قال شاهد عيان على الأحداث من سكان غرب الموصل: "كانت ردة الفعل على الأرض فورية. حكومة المالكي في بغداد لم [تكن] تتمتع بالشعبية، واعتُبرت وحدات الجيش والشرطة الاتحادية في الموصل طائفية وفاسدة. والآن الجيش يقتل السكان المحليين من السماء بطائرات الهليكوبتر الأميركية. ماذا تعتقد سوف يحصل؟"[72].

ردًّا على هجوم القوات العراقية المضاد، أغلق "داعش" محطة الكهرباء في حي اليرموك للحدّ من الأضرار. ولأجل الحصول على التعزيزات، عبرت حوالى 100 مركبة مسلحة وعربة محوَّرة من مناطق سيطرة "داعش" في شرق سورية في 8 حزيران/ يونيو. وتمكّن تنظيم "داعش" من التقدم إلى حي العريبي تحت قصف مدفعي وهجمات جوية عراقية كثيفة. وفي فترة ما بعد الظهر، ضربت عربة مفخخة انتحارية كبيرة يقودها مقاتل سعودي، هو أبو عمر الجزراوي، فندق الموصل الذي يستخدم مقرًا للعمليات في غرب الموصل[73].

---

(70) حول مفعول فقدان الدقة المتدرج وأثره في عمليات القوات النظامية، ينظر: الفصل الأول من هذا الكتاب.

(71) "How Did Extremists Take Over One of Iraq's Biggest Cities in Just Five Days?," *Niqash,* 10/6/2014, accessed on 18/8/2021, at: https://bit.ly/2YF18iQ

(72) شاهد من حي الربيع في غرب الموصل، مقابلة شخصية، الدوحة، 8/ 1/ 2019.

(73) "هكذا سيطر الدواعش على الموصل"، **جزايرس**، 12/ 6/ 2015، شوهد في 18/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2K8oBkz؛ "وثائق للرجل الثاني تجيب... كيف سيطر تنظيم الدولة على الموصل؟"، **قاسيون**، 5/ 6/ 2018، شوهد في 18/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2Zqxviv

وكانت الضربة بالغة الأهمية. قتل في الانفجار عدد من قادة الشرطة الاتحادية من اللواء الرابع، وأدّت مباشرة إلى فرار جماعي داخل وحدات الشرطة الاتحادية في الأحياء الوسطى والجنوبية الغربية من منطقة الموصل الجديدة. وعقب ذلك، انهارت الدفاعات تدريجيًا في غرب الموصل. تُرِكَ جنود الجيش وضباط الشرطة من دون أي خطة، أو نقطة تجمّع، وفروا حينما شاهدوا مقاتلي "داعش" يقتربون من مواقعهم.

بحلول 9 حزيران/ يونيو، سقطت الأحياء المجاورة، 17 تموز وربيعة في أيدي "داعش"، إضافة إلى مناطق غرب وجنوب غرب الموصل كلها تقريبًا. وباستخدام العربات المفخخة الانتحارية، اقتحم مقاتلو التنظيم قاعدة الفرقة الثالثة في حي الثورة من الجهات الأربع، بعد حصار استمر ثلاثة أيام. وفي صباح اليوم نفسه، شقّت وحدات "داعش" طريقها للاقتراب من البلدة القديمة. وبحلول نهاية اليوم، احتل "داعش" مبنى محافظة الموصل ومقرّ شرطة نينوى ومطار الموصل وقاعدة الغزلاني العسكرية التي تبعد ميلًا واحدًا. وتغلّب "داعش" أيضًا على المقاومة في الشرق، حيث تجمع العديد من الجنود الفارّين الذين اعتقدوا أن قادتهم تخلّوا عنهم[74]. وبحلول 10 حزيران/ يونيو 2014، كان "داعش" في طريقه إلى إحراز نصر غير مقصود في الموصل، ومن دون أن يخطط قادته لذلك مسبقًا[75]. أطلق التنظيم عملية مكثفة لتأمين الضواحي الجنوبية وتعطيل أي هجوم مضاد محتمل. وخوفًا من الضربات الجوية، اقتحم "داعش" القاعدة العسكرية الجوية في منطقة القيارة، جنوبي الموصل، واستولى عليها وعلى المطار العسكري فيها. وبحلول نهاية 10 حزيران/ يونيو 2014، كان قد سيطر على مدينة الموصل.

(74) بيرغيد سفانسون وريم نجمي، "حقائق مثيرة عن سقوط الموصل في يد "داعش" قبل-عام"، دويتشه فيله، 1/ 6/ 2015، شوهد في 18/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2KbDBy6

(75) وفقًا لفيلم وثائقي صدر عن تنظيم الدولة في 10 حزيران/ يونيو 2015 بعنوان "عام منذ الفتح"، كانت الخطة الأولية هي الاستيلاء على الأحياء الغربية من الموصل فحسب. ومن أصل ثماني مناطق في الموصل، كان تنظيم الدولة يخطط لاحتلال منطقتين فقط؛ الربيع والموصل الجديدة. ولمزيد من التفصيلات حول المخططات الأولية لـ"داعش"، بناءً على الوثائق التي تمت مصادرتها من مخبأ البيلاوي، ينظر: "وثائق للرجل الثاني تجيب... كيف سيطر تنظيم الدولة على الموصل؟".

ب- تنظيم الدولة في حالة الدفاع

في 16 تشرين الأول/أكتوبر 2016، أعلنت الحكومة العراقية برئاسة حيدر العبادي (2014-2018) عن عملية عسكرية لتحرير الموصل، أُطلق عليها اسم "قادمون يا نينوى". وفي 9 تموز/يوليو 2017، وصل العبادي إلى الموصل، ليُعلن الانتصار على تنظيم الدولة. لكنّ التنظيم ظلّ يقاتل في حي البلدة القديمة حتى آب/أغسطس 2017، وفي نهاية المطاف، خسر الموصل بعد ثلاث سنوات وشهرين من مكوثه فيها. وبالنظر إلى العوامل التقليدية التي تؤثر وقد تحسم نتائج المعركة، أي القوة الجوية والقوة النارية ونسب القوى البشرية، فضلًا عن أن القوات المتحالفة باتت ملمة بالتكتيكات المبتكرة لتنظيم الدولة (ومن ثمّ زوال عنصر المفاجأة وتداعياتها)، وكذلك حجم المدينة والتراجع الكبير في الدعم المحلّي للتنظيم[76]، ما عاد لدى تنظيم الدولة أي فرصة تقريبًا لتحقيق نصر استراتيجي يؤمّن بقاءه في الموصل.

واجه تنظيم الدولة ثلاثة تحديات قتالية حاسمة في الموصل: القدرات الجوية للقوات المحرِّرة، وقوتها البشرية الساحقة، وتراجع تأثير "الابتكارات التكتيكية" للتنظيم. فمن حيث القدرات الجوية، أسقط التحالف 39577 قنبلة في عام 2017[77]. وخلال معركة الموصل، "أسقطت طائرات التحالف أكثر من 500 من الذخائر الدقيقة التوجيه كل أسبوع – حتى أنها بلغت 605 قذائف في أسبوع واحد"، وفقًا للجنرال ماثيو إيسلر (Matthew Isler)، نائب القائد العام لسلاح الجو في قيادة القوات المشتركة – قائد العنصر الأرضي في عملية العزم الصلب[78]. وفي خضم معركة الموصل، أطلقت الطائرات العسكرية أكثر من

(76) أجرى المعهد العراقي للإدارة ودراسات المجتمع المدني استطلاعًا صغيرًا للرأي في مدينة الموصل. ووجد أنه في حزيران/يونيو 2014، لم تتجاوز نسبة الذين يعتقدون أن تنظيم الدولة يمثل وجهات نظرهم أو مصالحهم 10 في المئة. ينظر: منقذ داغر، "قتال "داعش": نحن نخسر معركة كسب القلوب"، **تقارير المستقلة** (المستقلة) (كانون الأول/ديسمبر 2015).

(77) منذ أن بدأت عمليات العزم الصلب في العراق وسورية في 8 آب/أغسطس 2014، نفّذت القوات الجوية للتحالف أكثر من نصف إجمالي 167912 طلعة جوية إبان معركة الموصل.

=(78) Stephen Losey, "With 500 Bombs a Week, Mosul Airstrikes Mark 'the Most Kinetic' Phase of

7000 قذيفة ضد مواقع تنظيم الدولة في كانون الثاني/ يناير وشباط/ فبراير 2017؛ وهو أكبر رقم في فترة شهرين منذ بدء عملية العزم الصلب في آب/ أغسطس 2014[79]. ومن حيث القوة البشرية، بقيت النسبة ساحقة ضد تنظيم الدولة، وتشير التقديرات الدنيا إلى 18 في مقابل 1، والتقديرات القصوى إلى 38 في مقابل 1 في أحياء مختلفة من المدينة[80]. وبالنظر إلى أن الموصل أكبر بسبع مرات من الفلوجة، ونحو خمس مرات من الرمادي، كان هناك انخفاض ملحوظ في نسبة المساحة لكل مقاتل؛ ما يُعزّز مفعول العوامل ضد تنظيم الدولة ويُقرّر نتيجة المعركة.

من الناحية التكتيكية، عملت ثلاثة صنوف من الابتكارات التكتيكية على إبطاء تقدم القوات النظامية العراقية والميليشيات المساندة لها وكلّفها الآلاف من القتلى خلال المعركة التي استمرت عشرة أشهر. كانت هذه هي تكتيكات العبوات الناسفة المكثفة (خصوصًا العربات المفخخة الانتحارية)، والاستخدام المكثف لتشكيلات المغاوير/ الانغماسيين وتكتيكات القنص. كما أدخل تنظيم الدولة أيضًا تكتيكات الاستخدام المكثف للطائرات من دون طيار/ المسيّرات في الموصل، بداية من تشرين الأول/ أكتوبر 2016. كان لتكتيكات المسيَّرات تأثير في معنويات القوات العراقية، مع أن الأضرار التي أوقعها في صفوفها كانت محدودة نسبيًا[81].

ISIS Air War So Far," *Airforce Times*, 28/3/2017, accessed on 18/8/2021, at: https://bit.ly/2MCwQXR; = Stephen Losey, "Airstrikes Against ISIS Hit All-time High," *Airforce Times*, 13/9/2017, accessed on 18/8/2021, at: https://bit.ly/2x7urwE

(79) Ibid.

(80) تستند التقديرات إلى مواد مفتوحة المصدر نُشرت خلال معركة الموصل وضواحيها التي استمرت عشرة أشهر، ينظر:

Tim Hume, "Battle for Mosul: How ISIS is Fighting to Keep its Iraqi Stronghold," *CNN*, 25/10/2016, accessed on 18/8/2021, at: https://cnn.it/2ZwnNeq; Isabel Coles, John Walcott & Maher Chmaytelli, "Islamic State Leader Baghdadi Abandons Mosul Fight to Field Commanders, U.S. and Iraqi Sources Say," *Reuters*, 8/3/2017, accessed on 18/8/2021, at: https://reut.rs/2ZuPeFD; "Irak: L'opération pour Reprendre Mossoul des Mains de l'EI est Lancée," *Le Monde*, 17/10/2016, accessed on 18/8/2021, at: https://bit.ly/31cW2bf

(81) Don Rassler, "The Islamic State and Drones: Supply, Scale and Future Threats," Combatting Terrorism Center at West Point, United States Military Academy (July 2018), accessed on 18/8/2021, at: https://bit.ly/3iV9jRu

من حيث تكتيكات العبوات الناسفة المكثفة، اعتمد تنظيم الدولة كثيرًا على استخدام العربات المفخخة الانتحارية. وبحسب وكالة أعماق، نفذ التنظيم 482 هجومًا بعربات مفخخة انتحارية في معركة الموصل، بين 19 تشرين الأول/ أكتوبر 2016 و12 تموز/ يوليو 2017[82]. ومع ذلك، فإن معدّل ثلاث عربات مفخخة انتحارية كل يومين لا يوضّح الصورة تمامًا؛ فقد بدأ تنظيم الدولة الشهر الأول من القتال (من 17 تشرين الأول/ أكتوبر إلى 17 تشرين الثاني/ نوفمبر) بـ 124 هجومًا بعربات مفخخة انتحارية، بواقع 4 عربات يوميًا، طوال 30 يومًا. وهذا هو أعلى معدل مسجل للعربات المفخخة الانتحارية يُستخدم في العراق وأماكن أخرى في العالم[83]. وبحلول الشهر الأخير من القتال[84] (بين 18 حزيران/ يونيو و17 تموز/ يوليو 2017)، أوردت نشرة **النبأ** 11 عملية فقط (نحو عملية واحدة كل ثلاثة أيام). كان عدد العمليات المنفذة بعربات مفخخة انتحارية ينخفض باستمرار، على الرغم مما شهده من ارتفاع في الشهر الخامس (80) والسادس (32) والسابع (44)[85]. أحدثت تكتيكات العبوات الناسفة المكثفة دمارًا كبيرًا، لكن تم التصدي بفاعلية للكثير من تكتيكات العربات المفخخة والعربات المفخخة الانتحارية بوساطة تكتيكات وأسلحة جديدة استخدمتها القوات العراقية النظامية. شمل ذلك التباعد

(82) يتضمن هذا الرقم مشاركة بعض من 110 انغماسيين مدرجة، كما هو موثق في نشرة **النبأ**، الأعداد 78 و79 و80 و81. وعلى غرار أرقام أخرى في قاعدة البيانات، هذه عينة مقدَّرة بالحد الأدنى. ووفقًا لأحد كبار الضباط في القيادة المركزية الأميركية، فجّر تنظيم الدولة في الموصل أكثر من 600 عربة مفخخة انتحارية، منها عربات كبيرة الحجم، بين تشرين الأول/ أكتوبر وكانون الأول/ ديسمبر 2016 خلال معركة الموصل. ويشير هذا التقدير إلى رقم أعلى. ينظر:
Mark Perry, "How Iraq's Army Could Beat ISIS in Mosul, but Lose the Country," *Politico Magazine*, 15/12/2016, accessed on 18/8/2021, at: https://politi.co/38r6v65

(83) المعدل الوحيد القابل للمقارنة هو في سورية. لمزيد من التفصيلات، ينظر: الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(84) باستثناء جيوب تنظيم الدولة التي حوصرت في حي البلدة القديمة واستمرت حتى آب/ أغسطس 2017.

(85) Hugo Kaaman, "Islamic State Statistics on its SVBIED Use from Late 2015 Through 2017, Including the Battle of Mosul," *Hugo Kaaman Open Source on SVBIEDs*, 18/8/2018, accessed on 18/8/2021, at: https://bit.ly/2YDYoSP

بين صفوف القوات النظامية المتقدمة، وتسيير قوات الإنذار المبكر/ فحص العربات المفخخة وتعزيز التنسيق بين وحدات التحكم الطرفية المشتركة في الهجوم على الأرض والقوات الجوية للتحالف، بغية توجيه ضربات سريعة إلى العربات المفخخة الانتحارية قبل أن تصل إلى أهدافها. وفيما يتعلق بتكتيكات الاستخدام المكثف لتشكيلات المغاوير/ الانغماسيين والقنص، أنشأ تنظيم الدولة فروعًا قتالية متعددة متخصصة في حرب الوحدات الصغيرة في المناطق الحضرية[86]. أظهرت هذه الوحدات القتالية - التي تعمل كتشكيلات من المغاوير والانغماسيين - درجة كفاءة في التنقل والقدرة على المناورة والفتك، أعلى نسبيًا مما لدى القوات العراقية التي كانت أبطأ وغير قادرة على الرد بسرعة على الوتيرة السريعة للحرب الحضرية في شوارع الموصل. جمعت وحدات تنظيم الدولة ما بين التمويه والتغطية والإخفاء والخداع، مع الاستخدام المكثف للتحصينات المزروعة بالعبوات الناسفة الدفاعية ومجمعات الأنفاق وقذائف الهاون الخفيفة والمتوسطة. وإجمالًا، خلال عشرة أشهر من القتال، زعمت نشرة **النبأ** الإخبارية أكثر من 110 عمليات نفذتها تشكيلات المغاوير أو الانغماسيين، إضافة إلى أكثر من 1629 عملية قنص[87].

3- جبهة الرمادي: أيار/ مايو 2015 - شباط/ فبراير 2016

شنّ تنظيم "داعش" هجمات متزامنة بهدف السيطرة على الرمادي والفلوجة في وقت مبكر من كانون الثاني/ يناير 2014، حتى قبل إنشاء تنظيم الدولة الإسلامية في تموز/ يوليو من ذلك العام. حظيت الرمادي بأهمية استراتيجية ورمزية لـ"داعش" باعتبارها عاصمة محافظة الأنبار وعقدة مفصلية على الطريق إلى بغداد. وفي كانون الثاني/ يناير 2014، استطاع الاستيلاء على عدد من مباني البلدية ومقرات الشرطة في أحياء مختلفة من البلدة. لكنه، على عكس الفلوجة،

(86) عيسى سميسم، "الانغماسيون: القوة الضاربة للتنظيمات الجهادية"، **العربي الجديد**، 22/ 12/ 2014، شوهد في 18/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2vkqPoO؛ "الانغماسيون سلاح تنظيم 'الدولة الإسلامية' الأكثر فتكًا"، **الخليج أونلاين**، 17/ 8/ 2014، شوهد في 18/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2T27FPs

(87) جمعها المؤلف وفريقه البحثي. نطاق العمليات مُدرَج في نشرة النبأ، الأعداد 61-112.

أخفق في الاستيلاء على الرمادي كليًّا. وفي تشرين الأول/ أكتوبر 2014، بدأت جولة أخرى من معركة الرمادي بعد انطلاق عملية العزم الصلب. ففي 16 تشرين الأول/ أكتوبر 2014، نشرت ولاية الأنبار سلسلة من الصور تُظهر وحدات تنظيم الدولة وهي تقوم بدوريات في أحياء الرمادي، في حين قدّرت تقارير أخرى أن حوالى 60 في المئة من أحياء الرمادي، شاملةً المناطق الجنوبية والغربية والشمالية، كانت إما متنازعًا عليها وإما يُسيطر عليها التنظيم(88).

ما بين تشرين الأول/ أكتوبر 2014 وأيار/ مايو 2015، شرع تنظيم الدولة في طريقة عمل كانت مستخدمة في الفلوجة والموصل (الإثخان والزحف، بناء التحالفات، التصفية - التمكين)(89). لكن كان تنفيذ المرحلة الثانية على وجه التحديد، أصعب في الرمادي، نظرًا إلى تاريخ المدينة مع أسلاف تنظيم الدولة. ولذلك فشلت مساعي "داعش"/ تنظيم الدولة في "بناء تحالفات". وكان هذا أحد أسباب مقاومة البلدة لهجمات التنظيم بعد كانون الثاني/ يناير 2014(90)؛ إذ كان للعديد من العشائر والأفراد في الرمادي ثارات سابقة مع تنظيم الدولة وأسلافه من التنظيمات، ويعود بعضها إلى عام 2005 وما قبله(91).

تصاعدت هجمات "الإثخان والزحف" في تشرين الأول/ أكتوبر 2014. وشنّ تنظيم الدولة حملة متواصلة من الهجمات بالعربات المفخخة/ الانتحارية، تضمّنت أكثر من 67 هجومًا في الأشهر القليلة التالية. وبحلول أواخر تشرين الثاني/ نوفمبر، باتت وحدات التنظيم على بعد نحو 160 ياردة

(88) Bill Roggio & Caleb Weiss, "Islamic State Photos Highlight Group's Grip on Ramadi," *FDD's Long War Journal*, 16/10/2014, accessed on 18/8/2021, at: https://bit.ly/2LY0EOT

(89) غسان العيساوي [الناطق باسم التحالف العشائري المناهض لتنظيم الدولة الإسلامية في الرمادي]، مقابلة مع قصي شفيق، **قناة العهد**، العراق، في: "سر سقوط مدينة الرمادي قصي شفيق"، يوتيوب، 27/ 8/ 2017، شوهد في 18/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2MKOHvR؛ الفريق رشيد فليح [قائد الحشد الشعبي في الأنبار]. مقابلة مع قصي شفيق، **قناة العهد**، العراق، في: المرجع نفسه.

(90) مقابلة مع قصي شفيق، **قناة العهد**، العراق، في: المرجع نفسه.

(91) المرجع نفسه. كذلك، ينظر:
Carter Malkasian, "Anbar's Illusions: The Failure of Iraq's Success Story," *Foreign Affairs*, 24/6/2017, accessed on 18/8/2021, at: https://fam.ag/2MD9r8y; Khalid al-Ansary & Ali Adeeb, "Most Tribes in Anbar Agree to Unite Against Insurgents," *The New York Times*, 19/9/2018, accessed on 18/8/2021, at: https://nyti.ms/2H9n6AE

(نحو 146 مترًا) من وسط الرمادي، لكنّ القوات النظامية العراقية والميليشيات العشائرية الداعمة لها، نجحت في صدّها والدفاع عن مركز المدينة. وفي أوائل أيار/ مايو تمكّن التنظيم من حشد مقاتلين من بلدات أخرى في "ولايتي" الأنبار وصلاح الدين المجاورتين ومن شرق سورية عبر بادية الجزيرة لتجديد الهجوم على الرمادي[92]. وقعت المعركة الحاسمة للسيطرة على الرمادي في الفترة 14-17 أيار/ مايو 2015. ففي ليلة 14 أيار/ مايو، شنّ التنظيم هجومه على وسط المدينة من الاتجاهات الأربعة، باستخدام ما لا يقل عن 13 عربة مفخخة انتحارية مدرعة وعربة مفخخة انتحارية ضخمة، و12 تشكيلًا من تشكيلات المغاوير والانغماسيين[93]. سبق أن تعرّض الجيش العراقي والميليشيات المناهضة للتنظيم إلى هجمات أقوى، شملت أكثر من 20 عربة مفخخة انتحارية مدرعة، غير أن حرب الاستنزاف العنيفة التي شنّها التنظيم بعد كانون الثاني/ يناير 2014 أثخنتهم[94]. وفي 15 و16 أيار/ مايو 2015، واصل التنظيم هجومه بلا هوادة، مع التركيز على المجمع الحكومي الرئيس وقيادة عمليات الأنبار، جنوب الفرات وجنوب شرقه.

فضلًا عن التكتيكات المعروفة التي استُخدمت في وقت سابق في الفلوجة والموصل، استفاد تنظيم الدولة من تكتيكات تستخدم الجرافات الأمامية المدرعة. وفي معارك أخرى، استخدم التنظيم هذه الجرافات لإحداث ثغرات في التحصينات، مثل الحواجز الخرسانية أو السواتر الترابية، بما يتيح مرور عربات مفخخة انتحارية مدرعة و/ أو غير مدرعة والوصول إلى الأهداف وضربها وتدميرها. لكن في معركة وسط مدينة الرمادي في أيار/ مايو 2015،

---

(92) قدّر دلف الكبيسي، مسؤول في محافظة الأنبار، في مقابلة معه، وصول 500 عربة محوّرة من شرق سورية ووسط العراق إلى الأنبار بين أواخر نيسان/ أبريل وأوائل أيار/ مايو 2015. ينظر: مناف العبيدي، "قصة سقوط الرمادي"، **الشرق الأوسط**، 26/6/2015، شوهد في 18/8/2021، في: https://bit.ly/2yC1BUC

(93) لواء سابق في الجيش العراقي؛ "سر سقوط مدينة الرمادي قصي شفيق"؛ هشام الهاشمي (مستشار أمني سابق للحكومة العراقية)، مقابلة مع قصي شفيق، **قناة العهد**. ينظر أيضًا:
Patrick Martin, Genevieve Casagrande & Jessica Lewis McFate, "ISIS Captures Ramadi," Institute for The Study of War, 18/5/2015, pp. 1-14, accessed on 18/8/2021, at: https://bit.ly/2VWIWTT

(94) العبيدي.

حوَّر تنظيم الدولة الجرافات الأمامية المدرعة وحوَّلها إلى عربات مفخخة انتحارية مدرعة لمهاجمة وحدات مقر قيادة الجيش العراقي في أحد المباني المهجورة وسط المدينة وحوله(95). كان المبنى المكوّن من ثماني طبقات مُحاطًا بحزامين من الحواجز الخرسانية لدرء هجوم أي عربات مفخخة انتحارية. ولأجل كسب الوقت، قام المفجِّر الانتحاري - في الجرافة المحوَّرة إلى عربة مفخخة انتحارية - بالطَّرْق على الحواجز الخرسانية وزعزعة طبقتيها والعبور، ثم تفجير الجرافة داخل المبنى. كرر التنظيم في أيام القتال الثلاثة هذا التكتيك مع تعديلات طفيفة - أربع مرات على الأقل - في المناطق والمواقع التي تسيطر عليها القوات النظامية العراقية والميليشيات المحلية المتحالفة معها. وفي 17 أيار/مايو 2015، لم تعد القوات النظامية تتحمل المزيد، وبدأت بالانسحاب. وفي اليوم نفسه، صرح المتحدث باسم محافظ الأنبار بأن الرمادي سقطت في أيدي تنظيم الدولة الإسلامية.

أ- في حالة الدفاع: تحرير الرمادي المكلف

صعّد التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة والقوات العراقية الحملة لأجل تحرير الرمادي، بداية من تموز/يوليو 2015. وبعد ستة أشهر تقريبًا، حُرِّرت الرمادي من قبضة تنظيم الدولة، لكن بتكلفة باهظة: تدمير نحو 80 في المئة من المدينة. كان أحد أسباب الدمار الواسع أن التنظيم أنشأ خلال الأشهر الستة من احتلاله خطوطًا دفاعية قوية. لكن بقيت نسبة القوى البشرية في غير مصلحته، وراوحت التقديرات بين 16 إلى 1، و25 إلى 1(96).

---

(95) Aaron Y. Zelin, "Al-Furqan Media Presents a New Video Message from the Islamic State: And They Gave Zakah'," *Jihadology*, 17/6/2015, accessed on 18/8/2021, at: https://bit.ly/2T3NvEF

(96) التقدير الأولي كان نحو 1200 مقاتل من تنظيم الدولة في تشرين الأول/أكتوبر. وبحلول الأسبوع الأخير كان هناك نحو 250 مقاتلًا. ينظر:

Falih Hassan, Sewell Chan & Helene Cooper, "Celebrating Victory Over ISIS, Iraqi Leader Looks to Next Battles," *The New York Times*, 30/12/2015, accessed on 18/8/2021, at: https://nyti.ms/2Zf7kdz;

رائد الحامد، "معركة الرمادي: مكاسب التحالف وتكتيكات تنظيم الدولة"، **تقارير**، مركز الجزيرة للدراسات، 13/2/2016، ص 1-8، شوهد في 18/8/2021، في: https://bit.ly/3xSRoz3

من الناحية التكتيكية والعملياتية، بنى التنظيم دفاعًا متعدد المستويات، باستخدام العبوات الناسفة و"مصائد المغفلين" (الفخاخ المتفجرة) ومواقع القنص المتشابكة وشبكات الأنفاق تحت الأرض وما بين المباني. أتاحت الأنفاق لتشكيلات المغاوير والانغماسيين تغيير مواقعهم بسرعة، من دون أن يكتشفهم الجنود العراقيون أو مسيّرات المراقبة. وبرع التنظيم في استخدام مبتكر للعبوات الناسفة كحقول ألغام دفاعية؛ فقد زرع العبوات الناسفة على الطريق الرئيسة في الرمادي والمناطق المحيطة بها، ثم صوّب الرشاشات وقذائف الهاون نحو حقول المتفجرات لحمايتها من محاولات قوات التحالف نزعها والتخلّص منها[97].

بحلول شباط/ فبراير، بدأت المتغيرات الحاسمة نفسها، التي واجهها تنظيم الدولة في الموصل، تفعل فعلها في الرمادي: القدرات الجوية للقوات المحرِّرة وقوتها البشرية الساحقة، وتراجع تأثير "الابتكارات التكتيكية" للتنظيم. كان سلاح الجو عاملًا رئيسًا في هزيمة التنظيم في الرمادي، حتى إن المتحدث الرسمي باسم عملية العزم الصلب قال إنه مثّل 80 في المئة من أسباب استعادة المدينة من قبضة التنظيم[98]. أتاحت الضربات الجوية تقدم قوات العمليات الخاصة العراقية[99] والميليشيات المتحالفة معها، إلى جانب وحدات الجيش العراقي الأخرى التي أدّت دورًا محدودًا نسبيًا[100]. وإجمالًا، نفّذ التحالف أكثر من 800 غارة جوية في الرمادي من تموز/ يوليو 2015 إلى أواخر شباط/ فبراير 2016[101]. آنذاك، باتت الابتكارات التكتيكية لتنظيم الدولة معلومة ومفهومة جزئيًا؛ ما أفقدها عنصر المفاجأة وجعلها محدودة التأثير. فعلى سبيل

(97) الكولونيل ستيف وارين، المتحدث باسم وزارة الدفاع الأميركية في بغداد، ينظر:
Paul Blake, "Ramadi Assault: How a Small Change in Tactics Helped Iraqi Forces," *BBC*, 22/12/2015, accessed on 18/8/2021, at: https://bbc.in/2YK3tW0

(98) Nancy A. Youssef & Shane Harris, "How ISIS Actually Lost Ramadi," *Daily Beast*, 30/12/2015, accessed on 18/82021, at: https://bit.ly/2MCUALw

(99) تُعرف أيضًا باسم "قوات مكافحة الإرهاب" (تعمل تحت إشراف جهاز مكافحة الإرهاب)، و"الفرقة الذهبية".

(100) Youssef & Harris.

(101) لتحديثات عملية العزم الصلب للضربات الجوية، ينظر:
"Operation Inherent Resolve: Targeted Operations to defeat ISIS: Airstrike Updates."; Youssef & Harris.

المثال، دُمِّر العديد من حقول العبوات الناسفة المحمية باستخدام تكتيك مضاد جديد: حبل متفجر متصل بصاروخ، يُحدث ممرًا/ ثغرة عبر حقل المتفجرات، ما يتيح للقوات النظامية التقدم بسرعة في ذلك الممر[102]. كما دُمِّرت العشرات من العربات المفخخة والعربات المفخخة الانتحارية والجرافات الأمامية المدرعة وما شابه ذلك بوساطة الغارات الجوية للتحالف، كما هو مُدرَج في نشرات الضربات الصادرة عن عملية العزم الصلب[103].

إجمالًا، ومن خلال النظرة العامة السابقة، إلى الجبهات الثلاث في الفلوجة والموصل والرمادي، يظهر بعض أنماط القتال الواضحة. فعلى المستوى الكلي، استطاع "داعش"/ تنظيم الدولة النهوض مرة أخرى، ونجح في تحقيق اختراقات عسكرية عدة في العراق بسبب التعبئة العسكرية الناجحة التي سهَّلتها بيئة اجتماعية - سياسية قمعية وعثرات عمليات مكافحة التمرد/ مكافحة الإرهاب. وعلى المستويين المتوسط والجزئي، أتاحت قدرة التنظيم على الابتكار من الناحية التكتيكية والتبديل العملياتي والاستراتيجي (بين الإرهاب وحرب الغوار وأساليب الحرب التقليدية) تحقيق انتصارات عملياتية خارقة تقريبًا، حتى حينما كان خصومه يتفوّقون عليه عددًا وعُدّة وعتادًا، ولا يملك قوة جوية ولا أنظمة دفاع جوي ملائمة. لكنّ النصر الاستراتيجي ظلّ بعيد المنال؛ نظرًا إلى القوة البشرية الهائلة والقوة النارية والقوة الجوية والإلمام المتزايد بالابتكارات التكتيكية التي يستخدمها التنظيم.

ثانيًا: كيف يقاتل "داعش"/ تنظيم الدولة في العراق؟ تحليل جبهات القتال

أوضحنا آنفًا أن دولة العراق الإسلامية/ "داعش"/ تنظيم الدولة، نجحت في تحقيق مفاجآت عسكرية كبرى في العراق، باستخدام أساليب قتالية مُبتكرة. وأدّى المزج بين التكتيكات الإبداعية والتبديلات الاستراتيجية

---

(102) Blake.

(103) "Operation Inherent Resolve: Strike Release," U.S Department of Defence, accessed on 18/8/2021, at: https://bit.ly/335e3u5

(ما بين الإرهاب وحرب الغوار والحرب التقليدية) إلى انتصارات عملياتية مفاجئة على المديين القصير والمتوسط. يُحلّل المبحث التالي بعض الأنماط التكتيكية والعملياتية التي يستخدمها "داعش"/ تنظيم الدولة في العراق، ويعتمد التحليل جزئيًا على منشورات التنظيم وبياناته. كما يعتمد على مسح كمي ونوعي لتفصيلات العمليات المسلحة التي نفّذها "داعش"/ تنظيم الدولة في الفلوجة والموصل والرمادي بين أواخر عام 2013 وأواخر 2019.

1- الفلوجة: تبديلات تكتيكية

يُبيّن تحليل التقارير الإعلامية لـ"داعش"/ تنظيم الدولة بشأن جبهات القتال في الفلوجة أن التنظيم اعتمد أساسًا على ثلاث عشرة فئة من التكتيكات، في محاربة القوات النظامية والتنظيمات المسلحة المناهضة لـ"داعش" في المدينة. وخلال معركة الفلوجة، بين كانون الأول/ ديسمبر 2013 وكانون الثاني/ يناير 2014، لم يُصدر "داعش" تقارير متواصلة عن تكتيكاته في نشرة النبأ الإخبارية وغيرها من المنافذ/ النشرات الإعلامية. ويرجع ذلك، جزئيًا، إلى نهج "بناء التحالف" الذي طبّقه التنظيم على المستوى العملياتي في هذه المرحلة. لكنّ قاعدة بيانات الإرهاب العالمي أبلغت عن أكثر من 115 هجومًا، لم يُعلن عنها خلال معركة كانون الثاني/ يناير 2014 وبعدها[104]. وعلى أي حال، خلال معركة الفلوجة في كانون الثاني/ يناير 2014، كان 18 تشكيلًا من تشكيلات المغاوير تقاتل القوات النظامية في المدينة وحولها، منها ما لا يقل عن ستة تشكيلات تنتمي إلى "داعش". وبين 30 كانون الأول/ ديسمبر 2013 و4 كانون الثاني/ يناير 2014، لم يستخدم "داعش" العبوات الناسفة سلاحًا رئيسًا في ساحة المعركة، بل اعتمد مقاتلوه أكثر على التحالفات التكتيكية مع التنظيمات المسلحة الأخرى[105]، وعلى مهاجمة القوات العراقية النظامية والشرطة بوساطة تشكيلات المغاوير والمدفعية والعربات المحوَّرة والمدافع

(104) ينظر قاعدة بيانات الإرهاب العالمي (GTD) في العراق لعام 2014، في:
Global Terrorism Database (GTD), accessed 1/12/2017, at: https://bit.ly/2Yq6yz9

(105) للحصول على قائمة بهذه التنظيمات، ينظر المبحث "جبهة الفلوجة: كانون الثاني/ يناير 2014 – حزيران/ يونيو 2016" في هذا الفصل من الكتاب.

الآلية المضادة للطائرات المستخدمة أساسًا ضد الأهداف الأرضية. وبحسب أحد التقديرات، استخدمت تشكيلات "داعش" خلال المعركة قذائف الهاون الخفيفة والمتوسطة ثماني مرات على الأقل، والمدافع الآلية المضادّة للطائرات خمس مرات على الأقل[106].

خلال معركة الفلوجة في عام 2016، تغيّرت كثيرًا التكتيكات المستخدمة، كما يتضح من العيّنة المدرجة في الجدول (2-2).

الجدول (2-2)

التكتيكات التي استخدمها تنظيم الدولة في الفلوجة في عام 2016

التكتيك	مرات الاستخدام
عربات مفخخة انتحارية	45
قناصة	23
صواريخ غير موجّهة	17
صواريخ موجّهة مضادة للدروع	16
أنظمة دفاع جوي محمولة	13
مدفعية	13
عبوات ناسفة تحت المباني	11
تشكيلات مغاوير	8
تشكيلات مغاوير انتحارية (انغماسيون)	8
مدافع آلية مضادة للطائرات	5
عبوات ناسفة	4
عربات مفخخة	2
اغتيالات عن قرب	1
المجموع	166

المصدر: من إعداد الباحث، استنادًا إلى قاعدة بيانات "أساليب حرب الدولة الإسلامية": "Islamic State Ways of Warfare," Database (ISWD-Fallujah16). بعض هذه التكتيكات مستمدة من نشرة **النبأ**، الأعداد 62-112.

(106) لواء سابق في الجيش العراقي.

بحلول 29 كانون الأول/ ديسمبر 2016، وفي خصوص معركة الفلوجة، كشفت نشرة النبأ وغيرها من وسائل الإعلام التابعة لتنظيم الدولة عن 45 استخدامًا لتكتيكات العربات المفخخة، أو العربات المفخخة الانتحارية، و23 لتكتيكات القنص، و17 هجومًا بالصواريخ غير الموجّهة، و16 لتكتيكات الصواريخ الموجّهة المضادّة للدروع، و13 عملية باستخدام أنظمة دفاع جوي محمولة. وكانت التغييرات التكتيكية والعملياتية واضحة؛ فقد تحوّل التنظيم من الاعتماد على تحالفات (سياسية) تكتيكية قصيرة الأجل مع تنظيمات سُنّية مسلحة إلى الاعتماد على العربات المفخخة الانتحارية، في 27 في المئة من الهجمات التي نقلتها تقارير وسائل الإعلام. وشملت الفئة الثانية للتكتيكات القنص، فقد استُخدمت في 14 في المئة من العمليات التي زعمها التنظيم في معركة الفلوجة في عام 2016. تبع ذلك تكتيكات تتضمّن صواريخ غير موجّهة وصواريخ موجّهة مضادّة للدروع (10 في المئة لكل منهما)، ثم أنظمة دفاع جوي محمولة ومدفعية (8 في المئة لكليهما). واستخدم التنظيم في الفلوجة طرائق قتال مختلفة في عام 2016، مقارنة بعام 2014. ونسبيًا، قاتل على نحوٍ مميز، مقارنة بجبهات الموصل والرمادي.

2- الموصل: ابتكارات تكتيكية وتبديلات استراتيجية

أوضحنا أعلاه أن معركة الموصل زوّدتنا بتبصّرات فريدة حول كيفية تطوير تنظيم الدولة أساليبه القتالية، في المناطق الحضرية المزدحمة، بين حزيران/ يونيو 2014 وتشرين الأول/ أكتوبر 2016 - تموز/ يوليو 2017. كان "داعش" قبل هذا التاريخ قد استخدم تكتيكاته التقليدية في الإرهاب الحضري والاستنزاف/ حرب الغوار "الإثخان والزحف"، بغية خفض الروح المعنوية للقوات النظامية العراقية في الموصل[107]. وبتعبيرات تنظيم الدولة، هذه التكتيكات "تمهد الطريق

(107) بعض تكتيكات حرب الغوار موصوفة بالتفصيل في أربع مقالات نشرتها النبأ التابعة لتنظيم الدولة، الأعداد 179، 180، 181، 182. ينظر أيضًا:

Craig Whiteside & Vera Mironova, "Adaptation and Innovation with an Urban Twist: Changes to Suicide Tactics in the Battle for Mosul," *Military Review* (November-October 2017), pp. 78-85, accessed on 19/8/2021, at: https://bit.ly/2Xv85UM

للتمكين"[108]. وكما توضح مقالة نشرها التنظيم في النبأ عن بعض أساليبه وطرق عمله في حرب الغوار، كان الهدف إلحاق الضرر وخفض الروح المعنوية وتدمير خطوط الاتصالات والإمداد بين الجيش ووحدات الشرطة الاتحادية في مختلف أحياء الموصل والمناطق المحيطة بها[109]. وبهذه الطريقة، تُعزَل كل وحدة وتكون مشغولةً بالدفاع عن نفسها، حيث تعجز عن تقديم الدعم إلى الوحدات الأخرى. وتصبح البيئة خطرة جدًا، حيث لا يمكن نقل القوات بين مناطق الموصل، بسبب احتمال وجود كمائن لتشكيلات المغاوير/ الانغماسيين[110]. وفي إطار الإثخان والزحف في طريقة عمل (SCCLC)، وتمامًا قبل معركة الموصل في 4 حزيران/ يونيو 2014، نفّذ التنظيم ما لا يقل عن 6 هجمات بعربات مفخخة انتحارية مكثفة، وعشرة اغتيالات لضباط رفيعي المستوى، وتسع هجمات بتشكيلات المغاوير، وهجمتين بتشكيلات الانغماسيين، مازجًا بذلك بين تكتيكات إرهاب المدن وحرب الغوار.

اعتمد التنظيم، في معركة الدفاع عن الموصل، أساسًا، على 15 نوعًا من التكتيكات في المعركة التي استمرت عشرة أشهر، كما هو موضح في الجدول (3-2).

الجدول (3-2)

التكتيكات التي استخدمها تنظيم الدولة في الموصل

(تشرين الأول/ أكتوبر 2016 - تموز/ يوليو 2017)

التكتيك	مرات الاستخدام
قنّاصة	1629
عربات مفخخة انتحارية	482

يتبع

(108) ينظر: "إسقاط المدن موقتًا: طُرق عمل للمجاهدين"، النبأ، العدد 180 (27 شعبان 1440هـ [3/ 5/ 2019])، ص 9.

(109) المرجع نفسه.

(110) المرجع نفسه.

تابع

مدافع آلية مضادّة للطائرات	112
تشكيلات مغاوير انتحارية (انغماسيون)	110
صواريخ موجّهة مضادّة للدروع	71
تشكيلات مغاوير	44
أنفاق	41
عبوات ناسفة تحت المباني	34
عبوات ناسفة	33
صواريخ غير موجّهة	32
مدفعية	25
أنظمة دفاع جوي محمولة	23
اغتيالات عن قرب	21
عربات مفخخة	8
المجموع	**2665**
مُسيّرات	+200

المصدر: من إعداد الباحث، استنادًا إلى قاعدة بيانات "أساليب حرب الدولة الإسلامية" (ISWD-Mosul1617). بعض هذه التكتيكات مستمد من نشرة النبأ، الأعداد 62-112.

لا تشمل الهجمات المذكورة التي أوردتها نشرة النبأ الإخبارية التكتيكات المعتمدة على المُسيّرات أو الهجمات المباشرة بالمُسيّرات. وعلى أي حال، شنّ التنظيم أكثر من 200 هجوم، باستخدام أنواع مختلفة من المُسيّرات، كما وثّقتها مصادر مفتوحة أخرى ومقاطع فيديو دعائية للتنظيم[111]. لكن كان القنص أكثر التكتيكات استخدامًا كما أُبلغ عنها في ساحة المعركة، واستخدمه

(111) حول حملة المُسيّرات، ينظر: Rassler.

ينظر أيضًا:

Ben Sullivan, "The Islamic State Is Pioneering a New Type of Drone Warfare," *Vice*, 2/2/2017, accessed on 19/8/2021, at: https://bit.ly/3xpTFTp; Don Rassler, Muhammad Al-`Ubaydi & Vera Mironova, "The Islamic State's Drone Documents: Management, Acquisitions, and DIY Tradecraft," Combatting Terrorism Centre at West Point, 31/1/2017, accessed on 19/8/2021, at: https://bit.ly/3nnxaK4; Ben Sullivan, "The Islamic State Conducted Hundreds of Drone Strikes in Less Than a Month," *Vice*, 21/2/2017, accessed on 19/8/2021, at: https://bit.ly/3gJd0ZR; Zelin, "New Video Message from the Islamic State."

التنظيم على نطاق واسع في معركة الموصل (2016-2017)، تليه العربات المفخخة الانتحارية (تكتيكات معتمدة على العربات المفخخة الانتحارية أو تتقدّمها عربات مفخخة انتحارية). وفي الواقع، تميّزت معركة الموصل بأكبر قدر من استخدام العربات المفخخة الانتحارية سلاحًا ميدانيًا في ساحة المعركة في التاريخ[112]. وكما هو مُفصّل أعلاه، استخدم التنظيم، في الأيام الـ100 الأولى من الهجوم لتحرير الموصل، أكثر من 270 عربة مفخخة انتحارية، في محاولة لإبطاء تقدم القوات المحررة وإلحاق أكبر قدر ممكن من الأضرار بها. كانت الهجمات الأولية مدمرة جدًا للقوات النظامية العراقية، بما في ذلك "الفرقة الذهبية"، وهي قوات النخبة الأكثر كفاءة في مكافحة التمرد في العراق. لكنّ القوات العراقية أظهرت قدرة سريعة على التكيّف، من خلال تحصين المواقع باستخدام السواتر الترابية وحواجز الطرق المؤقتة[113]. كما عملت هذه القوات على تدمير أجزاء من جسور دجلة الخمسة، لاعتراض تدفّق العربات المفخخة الانتحارية من غرب الموصل إلى شرقها، ووضِعت دبابات أبرامز إم 1 عند تقاطعات الطرق. ساعد هذا التموضع في تدمير الكثير من العربات المفخخة الانتحارية بوساطة طلقات المدافع الرئيسة في هذه الدبابات. واعتمدت القوات النظامية العراقية بشكل متزايد على تكتيك إجهاض هجمات العربات المفخخة الانتحارية: ضربات جوية لإحداث حُفَر في الطرق التي تشتبه القوات في أن العربات المفخخة الانتحارية قد تسلكها. واجهت وحدات تنظيم الدولة بعض هذه الإجراءات باستخدام أكثر من عربة مفخخة انتحارية في كل هجوم، حيث تخترق العربة (أو أكثر) الأولى أي حاجز دفاعي أو حاجز طريق، وتستهدف العربة (أو أكثر) التالية الهدف أو الأهداف. واستخدم التنظيم أيضًا المُسيّرات غير القتالية المزوّدة بكاميرات لتجاوز حواجز الطرق وتوجيه

(112) هوغو كامان، "كيف أصبحت المركبات المفخخة سلاحًا ميدانيًا"، ورقة مقدمة في المؤتمر السنوي الثاني لوحدة الدراسات الاستراتيجية "ميليشيات وجيوش: تطورات الأداء القتالي والسياسي للحركات والمؤسسات المسلحة"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 22-24/4/2020.

(113) صُنع بعضُها من عربات مدنية مهجورة، أو حتى من أجزاء من عربات مفخخة مدمرة وجدران على شكل حرف T.

العربات المفخخة الانتحارية نحو الأهداف، باستخدام البث المباشر للفيديو والصوت. وعلى الرغم من أن التنظيم استخدم العربات المفخخة الانتحارية بكثافة، فإنه لم ينشر على نطاق واسع العبوات الناسفة الثابتة وحقول الألغام الكثيفة في مناطق الموصل الحضرية. ولعلّ ذلك يعود إلى الوجود الكثيف للمدنيين في الموصل، مقارنة بالرمادي شبه المهجورة.

إضافة إلى العدد الهائل من العربات المفخخة الانتحارية التي استُخدمت، كانت معركة الموصل "الأولى" أيضًا في مجال آخر: الاستخدام الأكثر كثافة للمُسيّرات في جبهة القتال الذي لم يصل إلى مستواه، أي تنظيم مسلح دون الدولة في العالم. وبحسب إحدى الروايات، نفّذ تنظيم الدولة أكثر من 300 مهمة بالمُسيّرات في شهر واحد خلال معركة الموصل[114]. وأوضح الجنرال ريموند توماس، رئيس قيادة العمليات الخاصة الأميركية، أن تنظيم الدولة المتكيّف "يتمتع بالتفوق التكتيكي في المجال الجوي في ظل التفوق الجوي التقليدي [الأميركي]". وكثيرًا ما أوقف هذا التفوق الجوي الأميركي التقليدي أي هجوم على القوات البرية الأميركية من طائرات معادية، منذ 15 نيسان/ أبريل 1953 خلال الحرب الكورية. لكنّ تنظيم الدولة غيّر ذلك باستخدام مُسيّرات متوافرة تجاريًا، تُحلّق على ارتفاع أقل من 3500 قدم تحت السيطرة الجوية الأميركية مباشرة. لم تُقدّم وسائل الإعلام التابعة للتنظيم إحصاءات شاملة لنشاطات المُسيّرات خلال معارك الموصل. لكن في خضمّ المعركة، وخلال الأيام العشرين الأولى من شباط/ فبراير 2017، نشرت وسائل الإعلام التابعة للتنظيم 113 صورة لهجمات بالمُسيّرات شنّها التنظيم[115]. وفي يوم واحد في كانون الأول/ ديسمبر 2016، استخدم التنظيم 70 من المُسيّرات بالتزامن تقريبًا، وفي ظل التفوق الجوي الأميركي التقليدي؛ ما أدى إلى توقف مؤقت في جهود التحرير التي تبذلها القوات العراقية[116].

---

(114) لم تُستخدم كل هذه المُسيّرات في القتال المباشر، وخُصّص بعضها للمراقبة أو الدعاية أو لتوجيه العربات المفخخة.

(115) Sullivan, "The Islamic State Conducted".

(116) David B. Larter, "SOCOM Commander: Armed ISIS Drones were 2016's 'Most Daunting Problem," *Defense News*, 16/5/2017, accessed on 26/4/2021, at: https://bit.ly/2KoaYg4

استخدمت وحدات تنظيم الدولة في الأساس مزيجًا من مُسيّرات رباعية الأجنحة، ومُسيّرات ثابتة الأجنحة متوافرة في السوق. وكانت أنواع الذخائر الأربع الرئيسة التي تُسقطها أو تُطلقها مُسيّرات التنظيم، عادة، هي العبوات الناسفة وقذائف عيار 40 ملم وقنابل يدوية وقذائف آر بي جي (RPG)[117]. كما استخدم التنظيم المُسيّرات فخاخًا تعمل عمل العبوات الناسفة. فعلى سبيل المثال، خلال معركة الموصل، بدا أن إحدى المُسيّرات التابعة للتنظيم تحطّمت بالقرب من موقع لقوات البشمركة. وحينما عمل مقاتلو البشمركة على تفكيكها، كانت حزمة البطارية هي عبوة ناسفة مقنّعة، فانفجرت وقتلت اثنين منهم[118]. لكن لم تكن مُسيّرات التنظيم فتّاكةً، مقارنة بأنظمة الأسلحة الأخرى، مثل العربات المفخخة الانتحارية وغيرها من تكتيكات العبوات الناسفة المكثفة وتشكيلات الانغماسيين والقناصة. لذلك استخدم تنظيم الدولة المُسيّرات فخاخًا تكتيكية، بالتزامن مع العربات المفخخة الانتحارية وتشكيلات الانغماسيين. فعلى سبيل المثال، كانت ضربات المُسيّرة تُستخدَم لصرف انتباه الجنود العراقيين على الأرض عن خطر أكبر ناجم عن اقتراب عربة مفخخة انتحارية ستنفجر، مُسبّبة أضرارًا أكبر[119]. وحينما نشرت الولايات المتحدة في الموصل أنظمة تشويش مضادة للمُسيّرات في الخطوط الأمامية، انخفض نسبيًا العدد الإجمالي لهجمات التنظيم الناجحة بها[120].

3- الرمادي: عناد وأنفاق

حُرِّرت الرمادي - أو بالأحرى، ما بقي منها - في شباط/ فبراير 2016، ومع ذلك شنّ تنظيم الدولة هجمات متواصلة هناك على مدار العام. ويُبيّن

(117) قائد سابق في البشمركة، مقابلة شخصية، براغ، شباط/ فبراير 2017. ينظر أيضًا:
Nick Waters, "Types of Islamic State Drone Bombs and Where to Find Them," *Bellingcat*, 24/5/2017, accessed on 19/8/2021, at: https://bit.ly/2qpmjp1

(118) Michael Schmidt & Eric Schmitt, "Pentagon Confronts a New Threat From ISIS: Exploding Drones," *The New York Times*, 12/10/2016, accessed on 19/8/2021, at: https://nyti.ms/2Z8fg0b

(119) قائد سابق في البشمركة، مقابلة شخصية.

(120) المرجع نفسه؛ الفريق (المتقاعد) تيري وولف، مقابلة شخصية، براغ، شباط/ فبراير 2017.

الجدول (2–4) عيّنة من فئات التكتيكات التي استخدمها التنظيم في الرمادي خلال عام 2016. شُنّ 77 هجومًا، كُشف عنها في الفترة 1 آذار/مارس– 29 كانون الأول/ ديسمبر 2016، أي بعد تحرير المدينة وانتصار القوات النظامية العراقية وحلفائها. نُفّذت أغلبية هجمات ما بعد التحرير الـ 77، إما بالعبوات الناسفة وإما بالصواريخ الموجهة المضادة للدروع. ووقع هجوم واحد مركّب في آذار/ مارس 2016 شُنّ باستخدام 4 من تشكيلات الانغماسيين و2 من تشكيلات المغاوير و3 عربات مفخخة انتحارية.

الجدول (2–4)

التكتيكات التي استخدمها تنظيم الدولة في الرمادي في عام 2016

التكتيك	مرات الاستخدام
عبوات ناسفة مكثفة	26
عربات مفخخة انتحارية مكثفة	17
تشكيلات مغاوير	15
عبوات ناسفة تحت المباني	14
مدفعية	14
صواريخ غير موجهة	13
صواريخ موجهة مضادة للدروع	11
تشكيلات مغاوير انتحارية (انغماسيون)	11
قناصة	6
اغتيالات عن قرب	6
عربات مفخخة مكثفة	3
المجموع	136

المصدر: من إعداد الباحث، استنادًا إلى قاعدة بيانات "أساليب حرب الدولة الإسلامية" (ISWD-Ramadi16).

قاتل تنظيم الدولة في الرمادي بأسلوب هجومي ودفاعي، اختلف بعض الشيء، مقارنة بأماكن أخرى. فمن الناحية الهجومية، كانت عملية العزم الصلب قد بدأت، وبات التحالف المناهض لتنظيم الدولة معتادًا نسبيًا على التكتيكات السابقة التي استخدمها التنظيم. وأثبتت حرب الاستنزاف العنيفة التي شنّها التنظيم في أيار/مايو 2015 وما قبله، فاعليتها، ولا سيما عبر الهجمات المستمرة التي شنّتها تشكيلات المغاوير والانغماسيين والقناصة. واستُخدمت هذه التكتيكات دفاعيًا أيضًا، جنبًا إلى جنب مع العربات المفخخة الانتحارية المدرعة والعربات المحوَّرة (المزوّدة بمدافع رشاشة ثقيلة عيار 12,7 ملم ومدافع آلية مضادّة للطائرات عيار 23 ملم)، كما يظهر في مقطعي فيديو دعائيين عن معارك الرمادي، تحت عنوان "عزم الكُماة 1" و"عزم الكُماة 2". واستخدم التنظيم أيضًا أكثر من 30 عربة مفخخة انتحارية مدرعة في المعركة الهجومية للسيطرة على الرمادي في أيار/مايو 2015. وخصص بعض هذه العربات لاختراق الدفاعات العراقية، بالاقتران مع تكتيكات تسلسل الاختراق لقوات مشاة البحرية النظامية: الضغط، التضليل، التأمين، السحق، الانقضاض؛ المختصَر بـ(SOSRA). عمل التنظيم في معركة الرمادي في عام 2015 على المزج بين تكتيكات الإرهاب والأساليب التقليدية لمشاة البحرية الأميركية[121].

من الناحية الدفاعية، أُخلي أكثر من 80 في المئة من الرمادي بحلول الوقت الذي بدأت فيه القوات العراقية وحلفاؤها بترتيبات التحرير. ونتيجة لذلك، بات في استطاعة التنظيم زرع المدينة بمئات العبوات الناسفة الثابتة المخفية. ولا تعكس العيّنة من 26 عملية بالعبوات الناسفة التي كشفت عنها نشرة **النبأ** (الأعداد من 12 إلى 61)، على نحوٍ كافٍ، حجم استخدام العبوات الناسفة الثابتة وكثافتها في الرمادي في عام 2016. وقدّرت مصادر في الجيش العراقي أن أكثر من 150 عبوة ناسفة أُزيلت من المدينة بعد تحريرها. وأفادت

(121) لواء سابق في الجيش العراقي.

مصادر أخرى أن التنظيم زرع آلاف العبوات الناسفة والفخاخ/ مصائد المغفلين في المدينة[122].

كذلك لم تذكر نشرة النبأ حجم حرب الأنفاق وشدّتها التي استخدمها تنظيم الدولة في الرمادي. ففي أثناء العملية الهجومية، حفر مقاتلو التنظيم شبكة من أكثر من 20 نفقًا، متصلة بعضها ببعض ومستقلة بعضها عن بعض، في إطار جهودهم للسيطرة على المدينة قبل أيار/مايو 2015 وما بعده. وشملت هذه الأنفاق القصيرة (82 ياردة = نحو 75 مترًا)، مثل الأنفاق التي حفرت من حي الحوز إلى مقر قيادة الشرطة في المجمع الحكومي الشديد الحراسة، وكذلك الأنفاق الطويلة[123] التي تجاوز طولها 1650 ياردة (نحو 1509 أمتار) في الرمادي، مثل النفق الذي حفر تحت منزل حامد الحيس (رئيس مجلس إنقاذ الأنبار)[124]. وكان المنزل يُستخدَم مقرًّا عملياتيًّا للتنسيق بين القوات النظامية العراقية وميليشيات العشائر السُنّية التي تقاتل تنظيم الدولة في الرمادي[125]. وزرع التنظيم عشرات العبوات الناسفة التي يُقدّر وزنها بالطن تحت المنزل وفجّره.

استُخدمت الأنفاق في الرمادي لزرع العبوات الناسفة أو إيصالها، وكذلك لإيصال تشكيلات المغاوير والانغماسيين والأسلحة. ودُعِّمت الجدران في معظم أنفاق الرمادي، وجُهّز بعضها بالكهرباء وأنظمة التهوئة. ولاحقًا، في حالة الدفاع، أتاح هذا الأمر لمقاتلي التنظيم الاختباء واتّقاء الضربات الجوّية والتحرك من دون أن تكتشفهم عمليات المراقبة من فوق والانسحاب من اشتباكات القتال القريب عند الضرورة. وإجمالًا، منحت حرب الأنفاق

(122) Colonel Steve Warren, "Department of Defense Press Briefing by Col. Warren via Teleconference from Baghdad, Iraq," U.S. Department of Defence, 29/12/2015, accessed on 19/8/2021, at: https://bit.ly/2MzO5ZG; Susan Jones, "Ramadi liberated, But Booby Trapped," *CNS News*, 11/2/2016, accessed on 19/8/2021, at: https://bit.ly/2Glgg56; "Iraq: British Contractor Killed Clearing Mines in Ramadi," *Sky News*, 22/8/2016, accessed on 19/8/2021, at: https://bit.ly/2GJXJVX

(123) "أخبار الآن ترصد استخدام "داعش" الأنفاق للتسلل إلى مدينة الرمادي في الأنبار"، يوتيوب، 26/ 2/ 2015، شوهد في 19/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2yBGdyl

(124) أحد التحالفات القبلية العربية السُنّيّة المسلحة التي تقاتل تنظيم الدولة الإسلامية في الأنبار.

(125) عمر الجنابي، "أنفاق الموت... سلاح 'الدولة' الجديد في العراق"، **الخليج أونلاين**، 16/ 3/ 2015، شوهد في 19/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2Z5YAXi

ومتاهاتها، في حالتي الدفاع والهجوم، مزايا تكتيكية أساسية لمقاتلي التنظيم المتمركزين في الرمادي. ومثّلت الأنفاق أيضًا مشكلة مزعجة للجيش العراقي النظامي الذي افتقر إلى التكنولوجيا الموثوقة اللازمة للتحرّي عن المسارات تحت الأرض ورسم خرائط لها؛ ما جعل عمليات الوحدات الصغيرة أشدّ تعقيدًا.

ثالثًا: مستقبل تمرد تنظيم الدولة في العراق

في آذار/ مارس 2019، أعلنت إدارة ترامب عن هزيمة تنظيم الدولة الإسلامية، بعد حملة استمرت خمس سنوات، تضمنت بعضًا من أعنف معارك المدن منذ الحرب العالمية الثانية. كان الإعلان متفائلًا أكثر من اللازم، وأشد ملاءمة للاستهلاك المحلي في حملة انتخابية منه للتعبير عن الحقائق على الأرض في العراق وأماكن أخرى. ففي منتصف عام 2018، قدّرت كل من وكالة الاستخبارات العسكرية الأميركية، ومجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، أن تنظيم الدولة لا يزال يحتفظ بما يصل إلى 30,000 مقاتل في العراق وسورية فقط[126]. ونفّذ التحالف، حتى بعد تحرير الفلوجة والموصل والرمادي وغيرها من البلدات والقرى، 13331 ضربة في العراق بين آب/ أغسطس 2017 ومنتصف عام 2019[127].

---

(126) على الرغم من أن قوة المهام المشتركة - عملية العزم الصلب، قدّرت أن عدد مقاتلي تنظيم الدولة قد انخفض إلى 1000 مقاتل في كانون الأول/ ديسمبر 2017. ينظر:
"Less Than 1,000 IS Fighters Remain in Iraq and Syria, Coalition Says," *BBC*, 14/8/2018, accessed on 19/8/2021, at: https://bbc.in/31fAL0A; Office of the Inspector General, *Overseas Contingency Operations: Operation Inherent Resolve and Operation Pacific Eagle- Philippines Report to the United States Congress: 1 April 2018 - 30 June 2018*, U.S. Department of Defense, 6/8/2018, at: https://bit.ly/30tPR7D;

الأمم المتحدة، مجلس الأمن، "رسالة مؤرخة 16 تموز/ يوليو 2018 موجّهة إلى رئيس مجلس الأمن، من رئيس لجنة مجلس الأمن العاملة بموجب القرارات 1267 (1999) و1989 (2011) و2253 (2015) بشأن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" وتنظيم القاعدة وما يرتبط بهما من أفراد وجماعات ومؤسسات وكيانات"، 27/ 7/ 2018، شوهد في 19/ 8/ 2021، في:
https://bit.ly/3ASeGqO

(127) *Combined Joint Task Forces Operation Inherent Resolve*, U.S. Defence Department, accessed on 19/8/2021, at: https://bit.ly/31iDarE

للمقارنة، في عام 2010، حين اعتُبرت دولة العراق الإسلامية - سلف تنظيم الدولة - مدمَّرة تقريبًا، كان قد بقي لديها 1000 مقاتل على الأكثر. وهذا لم يمنع عودتها بقوة والسيطرة على الفلوجة والموصل والرمادي ومدن وقرى عراقية أخرى بعد نحو أربع سنوات. وفي عام 2019، وبافتراض دقة التقديرات، لم يكن تنظيم الدولة أقوى بنحو 30 مرة من حيث القوة البشرية فحسب[128]، بل كان أيضًا أكثر خبرة في التبديلات الاستراتيجية والابتكارات التكتيكية والفنون العملياتية للحرب وتجنيد المقاتلين المحليين والأجانب. وقُدّر تجنيد التنظيم للمقاتلين الأجانب بمعدل 50 شخصًا شهريًا في عامي 2017-2018[129]، مقارنةً بمتوسط خمسة مقاتلين أجانب شهريًا في عامي 2006-2007، كانت تُجنّدهم دولة العراق الإسلامية وأسلافها. وبصفة عامة، تُظهر القدرات العملياتية الحالية لتنظيم الدولة أنه لم يُدمَّر كليًّا. لقد بقي تنظيم الدولة منظمةً عسكرية لا تزال قادرة على تنفيذ عمليات مستمرة من الإرهاب الحضري وحرب الغوار.

لكنّ التنظيم في العراق تدهور بالتأكيد؛ بفعل عملية العزم الصلب وعمليات القوات العراقية النظامية وغير النظامية وحلفائها. ففي الفترة ما بين كانون الثاني/ يناير 2018 - أيار/ مايو 2019، أعلن تنظيم الدولة مسؤوليته عن 28 هجومًا فقط، باستخدام العربات المفخخة والدرّاجات المفخخة، أي بمتوسط هجومين شهريًا. غطت هذه العمليات الإرهابية العراق، من نينوى في الشمال إلى بابل في الجنوب، وشملت هجماتٍ في بغداد. ويُعدّ هذا انخفاضًا كبيرًا في هجمات العربات المفخخة الانتحارية عن متوسط اثنتين يوميًا في عام 2016، ونحو ثلاث يوميًا خلال حملة "هدم الأسوار" (تموز/ يوليو 2012 - تموز/ يوليو 2013). وبحلول آذار/ مارس 2020، بعد عام من إعلان الرئيس

---

(128) بافتراض أن تقدير وكالة الاستخبارات العسكرية الأميركية المذكور أعلاه صحيح.

(129) "Operation Inherent Resolve and Other Overseas Contingency Operations: Lead Inspector General Report to the United States Congress, October 1, 2018 - December 31, 2018," *Report*, Department of Defence office of Inspector General, 4/2/2019, p. 21, accessed on 19/8/2021, at: https://bit.ly/3gaRLiD; "Foreign Fighters Continue to Join ISIS in Syria, US Joint Chiefs Chair Says," *Defense Post*, 16/10/2018, accessed on 19/8/2021, at: https://bit.ly/2Mx3vhr

ترامب عن هزيمة تنظيم الدولة الإسلامية، أعلن التنظيم مسؤوليته عن 1146 هجومًا في سبع محافظات عراقية، من أصل 19، أي بمتوسط إجمالي مستمر يبلغ ثلاث عمليات مسلحة يوميًا، مدة 365 يومًا[130]. وهذا يمثل زيادة إجمالية ومؤشرًا يدعو إلى القلق.

كان تدهور تنظيم الدولة مكلفًا من حيث الدم والمال. وصف الفريق ستيفن تاونسند، قائد قوة المهام المشتركة-عملية العزم الصلب معركة الموصل في عامي 2016-2017 بأنها "أهم معركة حضرية منذ الحرب العالمية الثانية"[131]. تكبد أفراد "الفرقة الذهبية" التابعة لجهاز مكافحة الإرهاب العراقي معدلات إصابة بلغت 60 في المئة في معركة تحرير الموصل في عامي 2016-2017[132]. وقُتل جميع قادة الكتائب الأربع عشرة في الفرقة الذهبية في المعارك ضد تنظيم الدولة. وتكبّدت البشمركة الكردية العراقية ما لا يقل عن 2000 ضحية والقوات النظامية العراقية أكثر من 10,000 ضحية خلال الحملة ضد تنظيم الدولة في العراق[133]. وبحلول آذار/مارس 2018، بعد تحرير الموصل، كانت تكاليف عملية العزم الصلب قد بلغت 23,5 مليار دولار أميركي[134].

فيما يخص المستقبل، استطاع تنظيم الدولة في العراق، وأسلافه من التنظيمات، إعادة بناء قدراتهما العسكرية بعد أن كانا على وشك الانهيار. واستطاع التنظيم أن يُبدّل استراتيجيًا بين أساليب الحرب التقليدية وحرب

(130) المحافظات المستهدفة هي الأنبار ونينوى وكركوك وصلاح الدين وديالى وبغداد وبابل.

(131) "Department of Defense Briefing by Gen. Townsend via Telephone from Baghdad, Iraq," U.S. Department of Defense, 28/3/2017, accessed on 19/8/2021, at: https://bit.ly/2yz1hFY; Jonathan Marcus, "Mosul: Have Combat Changes Increased Civilian Casualties?," *BBC*, 29/3/2017, accessed on 19/8/2021, at: https://bbc.in/2YiIUV0

(132) David M. Witty, "Iraq's Post-2014 Counter-Terrorism Service," *Policy Analysis*, Policy Focus 157, Washington Institute for Near East Policy, 2/10/2018, accessed on 19/8/2021, at: https://bit.ly/3k99GHw

(133) "Press Conference by Special Presidential Envoy McGurk in Erbil, Iraq," U.S. Department of State, 4/9/2017, accessed on 19/8/2021, at: https://bit.ly/3gB4sEt

(134) "Cost of War Through March 31, 2018," Federation of American Scientists (March 2018), accessed on 19/8/2021, at: https://bit.ly/2LCsPhX

الغوار والإرهاب لتجنّب الإبادة. ومنذ عام 2006 فصاعدًا، تمكّن التنظيم من الابتكار من الناحية العملياتية والتكتيكية لتحقيق العديد من الاختراقات ضد أعداء أقوى منه. شملت هذه الابتكارات تكتيكات معدلة ومُحدَّثة وأصلية في الإرهاب الحضري وحرب الغوار والحرب العسكرية التقليدية. وبداية من أيار/ مايو 2017، بدّل تنظيم الدولة استراتيجيته مرة أخرى للتركيز على حرب الغوار والإرهاب. ولذلك عمل على تفكيك وحدات هياكله القائمة وبعثرة قواته في المناطق الريفية والنائية، بما في ذلك المناطق التي بنى فيها مجمعات أنفاق تحت الأرض. ويستخدم التنظيم شبكات الأنفاق الحالية في الأرياف مستودعاتٍ للأسلحة والمواد الغذائية، وهي تساعده أيضًا في تنفيذ استراتيجيات حرب الغوار والإرهاب(135). فعلى سبيل المثال، في 18 كانون الأول/ ديسمبر 2017، ضبطت القوات النظامية العراقية في نفق تحت الأرض في المطيبيجة، بالقرب من حدود محافظتي ديالى وصلاح الدين، متفجرات تكفي لتجهيز 50 عربة مفخخة(136).

وفيما يخص التبديل إلى أساليب حرب الغوار، أطلق تنظيم الدولة في 31 أيار/ مايو 2019 حملة باسم "غزوة الاستنزاف"، تهدف إلى إرهاق القوات العراقية وتدمير إرادتها القتالية والاحتفاظ بالأراضي مؤقتًا وليس بصفة دائمة. تمثل الحملة تعديلًا طفيفًا على طريقة عمل "الإثخان والزحف". وفيما يخص تكتيكات الإرهاب الحضري، استهدف تنظيم الدولة، باستخدام العربات المفخخة، في عام 2019، الفلوجة والموصل والرمادي ومدينة كركوك وتكريت. ولا يزال التنظيم يحتفظ بالقدرة على تصنيع العربات المفخخة في العراق؛ ما يشير إلى أن شبكاته التصنيعية لم تدمرها كليًّا عملية العزم الصلب. ففي 2 حزيران/ يونيو 2019، نشرت "ولاية العراق" التابعة لتنظيم الدولة

---

(135) Derek Henry Flood, "From Caliphate to Caves: The Islamic State's Asymmetric War in Northern Iraq," Combating Terrorism Center at West Point Sentinel, *CTC Sentinel*. vol. 11, no. 8 (September 2018), pp. 30-34, accessed on 12/9/2021, at: https://bit.ly/3k2cXcL

(136) "المتفجرات التي عُثر عليها في المطيبيجة تكفي لتفخيخ 50 سيارة"، **تلفزيون السومرية**، 18/ 12/ 2017، شوهد في 12/ 9/ 2021، في: https://bit.ly/3944pfn

شريطًا مُصوّرًا[137]، يُظهر مداهمة ليلية، قادها قائد التنظيم، المُكنّى عبد العظيم العراقي[138]، استهدفت اجتماعًا في منزل زعيم ميليشيات عشائرية. كان من بين الحاضرين ضباط من الجيش العراقي. وقد قُتل كل الحاضرين تحت تهديد السلاح بمسدسات كاتمة للصوت وبنادق هجومية من طراز أي كي – 47 (AK-47) [كلاشينكوف] وكان موقع العملية مهمًا: قضاء الكرمة، شمال شرق الفلوجة. ولا يزال التنظيم حتى إنجاز هذا البحث يشنّ غارات إرهابية في الفلوجة بعد عدة سنوات من تحريرها. وينبغي لنا عدم تفسير هذه الهجمات باعتبارها مجرد علامة على اليأس والاحتضار، بل إنها استراتيجية "صمود" تهدف إلى معاقبة/ تصفية قادة الميليشيات المحلية والموالين السُنّة لبغداد، وإرهاب السكان وإجبارهم على الاستسلام، وإثخان/ إنهاك القوات المناهضة للتنظيم في العراق، سواء أكانت نظامية أم غير نظامية.

أخيرًا، على المستوى الكلي، يُرجَّح أن يتأثر مستقبل تنظيم الدولة في العراق بالتدمير الذي لحق بالمدن والبلدات، نتيجة لمعارك التحرير أساسًا وعدم صلاحية السكن في أجزاء واسعة من الموصل والرمادي والفلوجة وغيرها. ويُرجَّح أن يستغلّ تنظيم الدولة مثل هذه البيئة. وقد يؤدي تدمير هذه المراكز الحضرية إلى مزيد من الاغتراب والتهميش للسكان المحليين (العرب السُنّة أساسًا). ومن ثمّ، يحظى التنظيم هناك بفرصة لتجنيد الأفراد ونشر التطرف على أساس طائفي.

---

(137) كان هذا أول فيديو ينشره تنظيم الدولة من الفلوجة منذ نيسان/ أبريل 2017.

(138) بحسب الفيديو، شُنَّت الغارة في 12 تشرين الثاني/ نوفمبر 2018. ينظر:
Aaron Y. Zelin, "New Video Message from the Islamic State: 'Then They Will Be Overcome - Wilayat al-Iraq, Al-Fallujah'," *Jihadology*, 2/6/2019, accessed on 25/9/2019, at: https://bit.ly/2yD04O0

الفصل الثالث

يفجّر ويتمدد
كيف يقاتل تنظيم الدولة في سورية؟

"الرقة مهمة جدًا بالنسبة لهم [داعش]. إنهم [مقاتلو "داعش"] لن يتركوها".
(أبو حمزة، قائد المنطقة الشرقية في أحرار الشام، كانون الثاني/ يناير 2014)[1].

"استخدام العبوات الناسفة والمتفجرات أكثر كثافة [في الرقة] من المدن الأخرى [...] بما في ذلك مدن الموصل والرمادي والفلوجة في العراق".
(العقيد ريان ديلون، المتحدث باسم عملية العزم الصلب، 17 تشرين الأول/ أكتوبر 2017)[2].

"في غضون خمسة أشهر، [مشاة البحرية] أطلقوا 35,000 قذيفة مدفعية على أهداف 'داعش' في الرقة، وهذا أكثر مما فعلته أي كتيبة أخرى من مشاة البحرية أو الجيش منذ حرب فيتنام".
(جون تروكسيل، مستشار أول لرئيس هيئة الأركان المشتركة، الجيش الأميركي، 6 شباط/ فبراير 2018)[3].

---

(1) أبو سعيد، مقاتل من أحرار الشام، مقابلة شخصية، نقلًا عن: حمزة المصطفى، "تنظيم الدولة الإسلامية في سورية: النشأة والبيئة"، في: عزمي بشارة (محرر)، **تنظيم الدولة المكنّى "داعش": الجزء الثاني: التشكل والخطاب والممارسة** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018)، ص 301.

(2) Alex Horton, "ISIS Fighters Booby-trapped Corpses, Toys and a Teddy Bear in Besieged Raqqa," *The Washington Post*, 18/10/2017, accessed on 19/8/2021, at: https://wapo.st/33X7aMQ

(3) Shawn Snow, "These Marines in Syria Fired more Artillery than any Battalion since Vietnam," *Marine Corps Time*, 7/2/2018, accessed on 19/8/2021, at: https://bit.ly/3yi4Fmt

أولًا: تكتيكات محسَّنة في سياق مضطرب
"الوثبة" من العراق إلى سورية

في 23 كانون الثاني/ يناير 2012، أُعلن عن تشكيل جبهة النصرة لأهل الشام، في بيان دعائي مثير عبر شريط مصوّر[4]. حدد الفاتح أبو محمد الجولاني (أحمد حسين الشرع)[5]، قائد جبهة النصرة، أهدافها وأساليبها داخل الثورة السورية المسلحة ضد نظام حكم بشار الأسد. وأغفل هذا الشريط ذكر بعض التفصيلات المهمة. الأول أن التنظيم هو جبهة مقرّها سورية، تتبع دولة العراق الإسلامية[6]، شُكِّلت بناءً على أوامر أبو بكر البغدادي ورئيس مجلسه العسكري في ذلك الوقت، حجي بكر. وثمة تفصيل آخر مهم يتعلق بالجولاني، القائد المُعلَن لجبهة النصر، فقد كان الرجل "الوالي" السابق لولاية نينوى في دولة العراق الإسلامية، وعُرف بالاسم الحركي "أوس الموصلي"[7].

---

(4) "إعلان تشكيل جبهة النصرة في بلاد الشام لقتال بشار الأسد"، **ديلي موشن** (كانون الأول/ ديسمبر 2011)، شوهد في 19/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2QFP6Ra

(5) بحسب قضية في محكمة الجنايات بدمشق وبتهمة الإرهاب، فإن الاسم الحقيقي لأبي محمد الجولاني هو محمد حسين الشرع. ينظر: محمد منار حميجو، "نتيجة ادعاءات شخصية من متضررين إضافة إلى الحق العام ... أحكام غيابية بالإعدام على 'الجولاني' و'البويضاني' و'الشمير' وعشرات الإرهابيين"، **الوطن**، 11/ 12/ 2018، شوهد في19/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3yqHQgu؛ وتزعم مصادر أخرى أن اسم الجولاني الحقيقي هو "أحمد حسين الشرع" أو "أسامة العبسي". ينظر: "الجولاني قريب فاروق الشرع .. درس الفقه على يد عالم دمشقي في المزة"، **عنب بلدي**، 28/ 7/ 2016، شوهد في 19/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/34ypU4V

(6) نفت قيادة جبهة النصرة باستمرار أي انتماء إلى القاعدة ودولة العراق الإسلامية حتى نيسان/ أبريل 2013.

(7) مقابلة مع موسى الغنامي عبر تلفزيون **دار الإيمان**، ينظر: "كواليس الثورة – الحلقة الثانية والأربعون – الخلاف بين النصرة و'داعش'"، يوتيوب، 21/ 5/ 2016، شوهد في19/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2XyabkN

عبَر الجولاني الحدود العراقية – السورية (من محافظة نينوى إلى محافظة الحسكة)، في وقت متأخر من إحدى ليالي آب/ أغسطس 2011، بعد خمسة أشهر من اندلاع الثورة السورية ضد نظام الأسد(8)، رافقه خمسة من عناصر دولة العراق الإسلامية(9).

كان الهدف الاستراتيجي الأولي لطاقم دولة العراق الإسلامية هو الاستيلاء على أكبر قدر ممكن من الأراضي والموارد في سورية، ثم استخدامها لأهداف متعددة، من بينها شن حرب استنزاف في العراق. لم تكن هذه الخطة جديدة داخل التيار الجهادي العام. ففي التسعينيات، كانت لدى الجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا خطة مماثلة في أثناء الحرب الأهلية

(8) Rania Abouzeid, "The Jihad Next Door: The Syrian Roots of Iraq's Newest Civil War," *Politico Magazine*, 23/6/2014, accessed on 19/8/2021, at: https://politi.co/3giuwDo

(9) تتكوّن هذه العناصر الخمسة من سوريَين هما صالح حماة وأنس خطاب؛ وأردنيَين هما إياد الطوباسي (أبو جُليبيب) ومصطفى الصالح (أبو أنس الصحابة)، وفلسطيني هو أبو عمر الفلسطيني. أمّا ميسرة الجبوري (أبو ماريا القحطاني)، القيادي في دولة العراق الإسلامية، فاستقرّ في دير الزور منذ عام 2009، ولم يكن ضمن المجموعة التأسيسية التي قَدِمَت إلى سورية، خلافًا لما أورده بعض التقارير، بل انضم إليهم لاحقًا. وللتوضيح ينبغي عدم الخلط بين صالح حماة وصالح الحموي. كان الأول (المعروف أيضًا باسم أبو محمد الحموي) عنصرًا في دولة العراق الإسلامية وأحد مؤسسي جبهة النصرة قبل طرده منها، ليصبح لاحقًا من أكبر منتقدي جبهة النصرة ودولة العراق الإسلامية والتنظيمات التي خلّفتها. أمّا الثاني (الاسم الحقيقي هو عاطف التركاوي)، فهو طبيب أسنان وناشط في مجال المساعدات الإنسانية. ينظر: "'جبهة النصرة' تفصل القيادي 'أس الصراع في الشام' بشكل نهائي"، **عربي 21**، 15/ 7/ 2015، شوهد في 19/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2RxjhdK؛ "'النصرة' تفصل أحد مؤسسيها، وحسابات ومواقع تخلط بينه وبين 'صالح الحموي'"، **زمان الوصل**، 16/ 7/ 2015، شوهد في 19/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/34DRAoT؛

يخلط العديد من المصادر الإنكليزية والعربية بين الشخصين. أما إياد الطوباسي، فهو أحد العناصر السابقة في دولة العراق الإسلامية، وهو شقيق زوجة أبو مصعب الزرقاوي، مؤسس تنظيم القاعدة في العراق وغيره من أسلاف تنظيم الدولة الإسلامية. أما مصطفى الصالح، فكان أحد المسؤولين عن التجنيد والدعم اللوجستي في دولة العراق الإسلامية. وأما ميسرة الجبوري، فهو عراقي وكان من عناصر دولة العراق الإسلامية، وأصبح لاحقًا نائب قائد جبهة النصرة، ومن ثم العدو اللدود لـ"داعش". كان سابقًا على خلاف مع دولة العراق الإسلامية واستقر في سورية منذ عام 2009، وافتتح متجر بقالة في دير الزور.

الجزائرية، وأشارت إليها الجماعة باسم "الوثبة"[10]. كانت وثبة الجماعة الإسلامية المقاتلة الليبية كارثية من حيث التخطيط والتنفيذ، لكن وثبة دولة العراق الإسلامية لم تكن كذلك. فما بين آب/ أغسطس 2011 ونيسان/ أبريل 2013، أنشأت المجموعة الصغيرة من عناصر دولة العراق الإسلامية تنظيمين من أكثر التنظيمات العسكرية فاعلية على مسرح المسلحين السوريين: "داعش" وجبهة النصرة، ما أثّر في الصراعات المسلحة في سورية والعراق وأماكن أخرى.

طوّرت جبهة النصرة، بمساعدة دولة العراق الإسلامية، قدراتها القتالية بسرعة، وانتقلت من الاعتماد على العبوات الناسفة الثابتة والعربات المفخخة/ الانتحارية المستخدمة، أساسًا في عمليات الإرهاب الحضري، إلى إتقان المزج بين حرب الغوار/ الثورية وتكتيكات الحرب التقليدية[11]. وفي 8 نيسان/ أبريل 2013، أعلن البغدادي، قائد دولة العراق الإسلامية، عبر بيان صوتي، أن جبهة النصرة جزء من تنظيمه وأنه يُدمج المجموعتين تحت اسم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" "داعش"، المُشكّلة حديثًا[12].

أشعل إعلان البغدادي هذا سلسلة من ردات الفعل السريعة، بما في

(10) اعتقدت الجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا أن التحالف مع الجهاديين الجزائريين (خصوصًا الجماعة الإسلامية المسلحة) يمنحها عمقًا استراتيجيًا. فإذا ما أُطيح بالنظام الجزائري، أو إذا كانت أجزاء من شرق الجزائر تحت سيطرة الجماعة الإسلامية المسلحة، فسيكون للجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا حدود متّصلة، يمكن عبرها شن هجمات على نظام القذافي في ليبيا. استخدم أعضاء في هذه الجماعة - أجرينا معهم مقابلات في دراسة سابقة - مصطلح "الوثبة" لوصف انتقال المقاتلين المدربين من أفغانستان إلى الجزائر، وهي دولة تشترك في حدود يبلغ طولها 610 أميال مع ليبيا. وعلى الرغم من أن "الوثبة" بدت صحيحة استراتيجيًا على الورق، فقد ثبت في النهاية أنها كارثة على الجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا. كانت "وثبة" دولة العراق الإسلامية تجاه سورية أكثر نجاحًا. ينظر:
Omar Ashour, "Post-jihadism: Libya and the Global Transformations of Armed Islamist Movements," *Terrorism and Political Violence*, vol. 13, no. 3 (2011), p. 382.

(11) Craig Whiteside, "New Masters of Revolutionary Warfare: The Islamic State Movement (2002-2016)," *Perspective on Terrorism*, vol. 10, no. 4 (August 2016), pp. 4-18.

(12) الشام تعادل بأضيق المعاني "بلاد الشام" بالمعنى التاريخي: سورية والأردن وفلسطين ولبنان. أي، تُعادل "سوريا الكبرى". وللاطلاع على البيان الصوتي، ينظر: "كواليس الثورة - الحلقة الثانية والأربعون - الخلاف بين النصرة و'داعش'".

ذلك رفض الجولاني السريع للاندماج في 9 نيسان/ أبريل 2013[13]، عبر بيان صوتي، وإعلانه الولاء للقاعدة[14]، وانشقت أغلبية مقاتلي جبهة النصرة وانضمت إلى "داعش"، وحصل تدخل فاشل من قيادة القاعدة لاحتواء التنافس، ومن ثم نشبت سلسلة أعمال عدائية وحشية بين مقاتلي "داعش" والموالين الباقين لجبهة النصرة خلال عامي 2013 و2014[15]. وفي 5 شباط/ فبراير 2014، أعلنت القيادة العامة للقاعدة أنه لا توجد أي روابط تنظيمية بينها وبين "داعش"، وأنها غير مسؤولة عن أيٍّ من أفعال هذا التنظيم. وفي 23 شباط/ فبراير 2014، اغتال تنظيم "داعش" "مبعوث" القاعدة المزعوم في سورية محمد بهايا (أبو خالد السوري) في عملية معقدة، شارك فيها خمسة من مقاتلي التنظيم، يرتدون سترات ناسفة[16].

لم تمنع الحرب الفوضوية بين "داعش"/ تنظيم الدولة وجبهة النصرة هذه التنظيمات من أن تُصبح جهات فاعلة عسكرية رئيسة في الحرب الأهلية السورية، مع سيطرة مشتركة أو منع الدخول إلى مناطق قُدِّرت في عام 2015 بأكثر من 50 في المئة من الأراضي السورية[17]. وفي الفترة 2012-2020،

---

(13) المرجع نفسه.

(14) المرجع نفسه.

(15) لمزيد من التفصيل، ينظر: حسن أبو هنية ومحمد أبو رمان، **تنظيم الدولة الإسلامية: الأزمة السنية والصراع على الجهادية العالمية** (عمّان: مؤسسة فريدريش إيبرت، 2015)؛
Hassan Hassan, "Two Houses Divided: How Conflict in Syria Shaped the Future of Jihadism," *CTS Sentinel*, vol. 11, no. 9 (October 2018), accessed on 20/8/2021, at: https://bit.ly/34AbkK4

(16) قُتل محمد بهايا (أبو خالد السوري أو أبو عمير الشامي) في غرفة عمليات حلب على يد مجموعة من الانغماسيين التابعين لتنظيم الدولة الإسلامية. أحمد أبازيد، "أبو خالد السوري: الجيل الأول في مواجهة الانحراف الأخير"، **زمان الوصل**، 26/ 2/ 2015، شوهد في 14/ 4/ 2020، في: https://bit.ly/3eeCJpv؛ "مقتل القيادي الجهادي أبو خالد السوري بهجوم في حلب"، **بي بي سي عربي**، 24/ 2/ 2014، شوهد في 20/ 8/ 2021، في: https://bbc.in/34wZ90K؛ "بالصور ... أبو خالد السوري من حلب الولادة إلى حلب النهاية"، **تحت المجهر**، 24/ 2/ 2014، شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2Vpg5lK

(17) Kareem Shaheen, "ISIS 'Controls 50% of Syria' After Seizing Historic City of Palmyra," *The Guardian*, 21/5/2015, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/2XxZcI4

للاطلاع على خريطة توضح خسائر تنظيم الدولة ومكاسبه من الأراضي، ينظر:
"Islamic State Losses between January 2015 and 3 April 2017," *Business Wire*, 19/4/2017, accessed on 21/8/2021, at: https://bwnews.pr/34B0iED

استطاع سليلو دولة العراق الإسلامية (جبهة النصرة، و"داعش"، وتنظيم الدولة)، الصمود في سورية وتوسيع نطاقهم الجغرافي والإقليمي وتحسين قدراتهم العسكرية التكتيكية وتكثيف عدد عملياتهم ومدّ زمن فتراتها، وتمديد النطاق الإقليمي وتطوير جودة الدعاية والاتصالات. وحدث البقاء والتمدد على الرغم من الدعم الشعبي المحدود نسبيًا لكلا التنظيمين[18]، وغياب رعاية مباشرة من إحدى الدول، مقارنة بالدعم الروسي والإيراني لقوات النظام والدعم التركي والخليجي والأميركي لمختلف قوى المعارضة. صحيح أن نظام الأسد انتهج سياسة انتقائية ومتقطعة، قوامها "التواطؤ والتصادم" مع دولة العراق الإسلامية و"داعش" وتنظيم الدولة، قبل الحرب في سورية وفي أثنائها، لكنّ هذه السياسة لا تفسِّر، مهما بعُد بنا الخيال، الصعود العسكري لهذه التنظيمات.

يقدم هذا الفصل لمحةً عامة عن ولادة "داعش"/ تنظيم الدولة وحشده العسكري في سورية بداية من 9 نيسان/ أبريل 2013. ويهدف إلى توضيح كيفية تمكّن "داعش"/ تنظيم الدولة تدريجيًا من تطوير قدراته القتالية، ومن ثمّ فاعليته القتالية والعسكرية في سورية. ثم يركز الفصل على وصف جبهات القتال وتحليلها في محافظة الرقة بين عامي 2013 و2019. كانت مدينة الرقة أول "عاصمة" للتنظيم، ويمكن القول إن تنظيم الدولة أظهر قدراته القتالية القصوى في سورية في أثناء احتلاله المحافظة ودفاعه عن "عاصمته". وعلى أي حال، شهدت جبهات القتال في الرقة مستويات عالية من الفاعلية العسكرية لتنظيم الدولة ومجموعة واسعة من تكتيكاته. وفي الواقع، حينما قررت وحدات من المعارضة المسلحة السورية إزالة التنظيم في الرقة أو تدميره في 2 كانون الثاني/ يناير 2014، تلقت التحذير التالي: "إذا لم تكن المعركة مُتقنَة التخطيط، وإذا لم يكن النصر مضمونًا، فلا تقاتلوهم (وحدات "داعش"). الرقة مهمة جدًا

(18) ما بين عامي 2012 و2020، تأرجح إلى حدّ كبير الدعم الشعبي لجبهة النصرة والتحالفات التي تقودها (جبهة فتح الشام وهيئة تحرير الشام).

بالنسبة إليهم. إنهم [مقاتلي "داعش"] لن يتركوها"[19]، بذلك حذّر أبو حمزة، قائد أحرار الشام في المنطقة الشرقية (الحسكة ودير الزور)[20].

يستند هذا الفصل جزئيًا إلى مقابلات مع ثوار، وجنود سوريين، قاتلوا ضد تنظيم الدولة في محافظات سورية هي: الرقة ودير الزور واللاذقية وحلب وحمص وحماة ودمشق وريف دمشق. كما يعتمد على وثائق وإصدارات سمعية وبصرية وصور أنتجها "داعش"/ تنظيم الدولة الإسلامية في سورية. أنتجت أغلبية هذه الإصدارات ثلاث "ولايات" من أصل عشر "ولايات" لـ"داعش"/ تنظيم الدولة الإسلامية، مقرّها سورية، أُعلن عن تشكيلها بين عامي 2014 و2018. والولايات الثلاث هي ولاية الرقة، ولاية الخير (دير الزور)، وولاية حلب[21]. يعتمد الفصل أيضًا على وثائق رسمية صادرة عن حكومة الولايات المتحدة، وعملية العزم الصلب، ومواد أخرى مفتوحة المصدر.

يتألف الفصل من خمسة مباحث. يُلقي المبحث التالي نظرة عامة على الحشد العسكري لـ"داعش"/ تنظيم الدولة في سورية منذ تأسيسه في نيسان/ أبريل 2013. ويُلخّص المبحث الثالث تفصيلات جبهات القتال في محافظة الرقة ضمن أطر زمنية محددة. ويحلل المبحث الرابع كيفية قتال تنظيم الدولة الإسلامية في سورية، باستخدام البيانات والملاحظات من جبهات القتال في الرقة وغيرها، مثل محافظتي دير الزور وحلب. وأخيرًا، يتفكّر المبحث الختامي (الخامس) في مستقبل تمرد تنظيم الدولة في سورية بعد خسارة الرقة ومناطق أخرى، وعودته/ تبديله إلى تكتيكات حرب الغوار والإرهاب أساسًا.

---

(19) أبو سعيد.

(20) ترد أدناه تفصيلات أكثر بشأن معركة كانون الثاني/ يناير 2014 في مدينة الرقة.

(21) "الولايات" العشر هي البركة (الحسكة)، الخير (دير الزور)، الرقة، حمص/ البادية، حلب، إدلب، حماة، دمشق، الساحل (اللاذقية وطرطوس)، حوران (أو جيش خالد بن الوليد). كما أعلن التنظيم عن ولاية الفرات في مناطق من سورية والعراق. وبحلول تموز/ يوليو 2018، أعاد تنظيم الدولة تنظيم كل "ولاياته" ودمجها، ردًا على خسائره من الأراضي وسلسلة من الهزائم التكتيكية والعملياتية.

ثانيًا: تشكيل القوة
نظرة عامة إلى الحشد العسكري لتنظيم الدولة في سورية

أثار الحشد العسكري لتنظيم الدولة في سورية الذهول، حتى عند مقارنته بما حشده في العراق بعد تدمير التنظيم تقريبًا بحلول عام 2010، ثم صعوده من جديد ليحتلّ عسكريًا ثاني أكبر مدينة بعد أربع سنوات في عام 2014. لكنّ مسار تشكيل القوة في سورية كان مختلفًا؛ ففي سورية، وخلافًا للسياسات الأمنية على المستويين الجزئي والمتوسط في العراق (وفي ليبيا)[22]، سهّلت سياسات نظام الأسد بين عامي 2003 و2011، وعلى نحوٍ انتقائي، وجود شبكات الدعم اللوجستي لتنظيم "دولة العراق الإسلامية" وأسلافه ولغيره من التنظيمات المسلحة المناهضة للولايات المتحدة في العراق[23]. وفي أُطر زمنية مختلفة، اتّخذ نظام الأسد أيضًا، على نحوٍ انتقائي، إجراءات صارمة ضد بعض هذه الشبكات واعتقل كثيرًا من أعضائها. ومع ذلك، كان لتنظيم "دولة العراق الإسلامية" شبكة قائمة بالفعل وبيوت آمنة قبل العام 2011، لكن قدراته كانت محدودة، مقارنة بالشبكة التي بناها بعد العام 2011، في سورية، ثم في العراق.

تغيّر الوضع بسرعة بعد اتّباع استراتيجيا من خمسة أركان لحشد قوة عسكرية وتشكيلها. وللتبسيط، نشير إلى هذه الاستراتيجيا بالاختصار (iALLTR)[24]. فقد سعت دولة العراق الإسلامية/ جبهة النصرة (نجحت أحيانًا ولم تنجح أحيانًا أُخرى) بين عامي 2011 و2013 للتالي:

(22) على المستوى الكلي، يجادل هذا الكتاب بأن السياسات القمعية والفاسدة والطائفية التي انتهجتها أنظمة القذافي والأسد ومبارك والسيسي، وكذلك حكومة المالكي في العراق، خلقت بيئات مِضيافة لـ"داعش" والتنظيمات ذات التفكير المماثل، أتاحت لها الوجود والتمدّد والبقاء. للحصول على تحليل معمق على المستوى الماكرو، ينظر: عزمي بشارة، **تنظيم الدولة المكنّى "داعش": الجزء الأول: إطار عام ومساهمة نقدية في فهم الظاهرة** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018).

(23) استمرت سياسة "التواطؤ والاصطدام" الانتقائية خلال الحرب الأهلية السورية.

(24) اختصارًا للاستخبارات (Intelligence)، والاستيعاب (Absorb)/ التجنيد (Recruit)، والنهب (Loot)، والقيادة (Lead)، والنقل (Transfer).

- جمع المعلومات الاستخبارية (Intelligence)[25]: بالنظر إلى أن نسبة واسعة من مقاتلي جبهة النصرة - دولة العراق الإسلامية/ "داعش" كانت من غير السكان المحليين[26]. وبالنظر إلى أن أصول التنظيم ومجموعته التأسيسية أتت من العراق، فإنه تعيّن على التنظيم بناء قدرات استخبارية محلّية لرسم خريطة للمناطق المستهدفة والتنظيمات المحلية.

- الاستيعاب/ التجنيد (Absorb/Recruit): استيعاب التنظيمات والفصائل القائمة والمماثلة في التفكير العاملة في سورية وتزويد وحداتها بالمقاتلين عبر التجنيد الفردي والجماعي للشباب.

- النهب (Loot): نهب أجزاء من ترسانات كل من نظام الأسد والمعارضة المسلحة، وتعديلها وتحويلها وتحديثها.

- القيادة (Lead): قيادة هذه العمليات الاستخبارية والاستيعابية والتجنيد والنهب وغيرها، بالاعتماد على تجارب قادة دولة العراق الإسلامية وآخرين من مناطق القتال في الخارج.

- النقل (Transfer): نقل الخبرات العملياتية ونشر المعرفة بالابتكارات التكتيكية، وأساليب تبديل استراتيجيات الحرب والمهارات العسكرية الهجينة من العراق إلى سورية.

بدأت دولة العراق الإسلامية بجمع المعلومات الاستخبارية في أوائل نيسان/ أبريل 2011، لكن أسلاف التنظيم امتلكوا تجارب ومعلومات مهمة حول المشهد السياسي والعسكري والجهادي السوري، منذ وقت مبكر من

(25) يُظهر تحليل كل المقابلات الإحدى والعشرين (مع قادة ومقاتلين وجنود سوريين من مختلف التنظيمات التي حاربت تنظيم الدولة)، في هذا الفصل التي أجراها المؤلف، امتلاك دولة العراق الإسلامية/ "داعش"/ تنظيم الدولة قدرات استخبارية قوية. وهذه إحدى الخلاصات القليلة التي يتفق عليها جميع من جرت مقابلتهم.

(26) يشمل غير المحليين كلًا من غير السوريين والمقاتلين من خارج المحافظات المنتشرين فيها. وعادة ما يكون كلا النوعين غير مطّلع على الجغرافيا/ الطبوغرافيا وخرائط القوة القبلية والعشائرية والاجتماعية.

عام 2004[27]. وفي مرحلة لاحقة، في عامي 2013 و2014، تطوّرت هذه القدرات أكثر. جمع قادة "داعش" معلومات استخبارية عن العائلات القوية والشخصيات البارزة ضمن الثوار وزعماء القبائل/ العشائر المؤثرين والبيانات الطوبوغرافية، وحتى عن "التصرّفات غير الأخلاقية" للمحسوبين على الثوار في المناطق المستهدفة والمُحرّرة من قوات الأسد[28]. اتّبعت المنظمة الأسلوب الشهير بزواج عناصرها السرّيّين من العائلات/ العشائر المؤثرة لكسب الولاءات وجمع المعلومات الاستخبارية[29].

من حيث القوة البشرية، كان لدى جبهة النصرة، المرتبطة سرًّا آنذاك مع دولة العراق الإسلامية، حوالى 30 مقاتلًا بإمرتها في آب/ أغسطس 2011. وخلال ذلك الشهر، التقى أبو محمد الجولاني بزهران علوش (1971-2015)، مؤسس جيش الإسلام[30]، في جبال القلمون[31]. طلب الرجل الذي أرسله قادة دولة العراق الإسلامية من علوش أن ينضم إليه في إطار تنظيم جديد. وحينما سُئل عن عديد قوته البشرية، أجاب الجولاني، بحسب ما زُعم، أن لديه 30 مقاتلًا فقط[32]. رفض علوش العرض؛ إذ كان تحت إمرته بالفعل حوالى 300 مقاتل[33]. واظبت الدولة الإسلامية في العراق - جبهة النصرة على محاولة استيعاب التنظيمات المسلحة القائمة ولم يُثنِها عن ذلك حجمها الصغير في سورية. اتصلت قيادة جبهة النصرة

---

(27) ينظر مثلًا:

Charles R. Lister, *The Syrian Jihad: Al-Qaeda, the Islamic State and the Evolution of an Insurgency* (New York: Oxford University Press, 2015), pp. 37-39.

(28) Christoph Reuter, "Secret Files Reveal the Structure of Islamic State," *Hufington Post*, 18/4/2015, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/3mn9nvC

(29) Ibid.

(30) جيش الإسلام تنظيم إسلامي سُنّي سلفي مسلح، أصبح أحد أكثر التنظيمات المسلحة السورية فاعليةً. عمل أساسًا في جنوب سورية، وكان معقله في منطقة الغوطة الشرقية الاستراتيجية القريبة من العاصمة دمشق قبل أن يخسرها أمام قوات النظام وحلفائها.

(31) قائد سابق في جيش الإسلام، مقابلة شخصية، إسطنبول، 7/ 11/ 2016.

(32) المرجع نفسه.

(33) المرجع نفسه. لم يكن علوش يعلم خلفية الجولاني وما يمثله حينها. شن جيش الإسلام بقيادة علوش حربًا ضد "داعش" في جنوب سورية بداية من أواخر عام 2013.

بحسان عبود (أبو عبد الله الحموي) قائد أحرار الشام، وبعبد القادر صالح (حجي مارع) قائد لواء التوحيد. وكان الاثنان من أكبر تنظيمات المعارضة المسلحة العاملة في شمال - وسط وشمال - غرب سورية. لكنّ محاولات الاستيعاب التي قامت بها جبهة النصرة فشلت كلها. وهذا ما سوف يؤدي لاحقًا إلى أعمال عدائية وحشية بين هذه الأطراف. ومع ذلك، وبحلول صيف 2012، ضاعفت جبهة النصرة قوتها البشرية نحو 100 مرة، أساسًا من خلال تجنيد الأفراد والفصائل، بدلًا من العمل على استيعاب التنظيمات الكبيرة. ويشير بعض التقديرات إلى أرقام تفوق ذلك. فقد راوحت القوة البشرية لجبهة النصرة بين 6000 و10,000 رجل في تشرين الثاني/ نوفمبر 2012، وفقًا لقائد في الجيش السوري الحر[34]. وفي نيسان/ أبريل 2013، قرر قائد دولة العراق الإسلامية، أبو بكر البغدادي، "دمج" جبهة النصرة ودولة العراق الإسلامية، لتُصبح الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش". رفض الجولاني الاندماج؛ ونتيجة لذلك، فقدت جبهة النصرة معظم قوتها البشرية وأكثر من نصف أراضيها وترساناتها ومبانيها ومعسكراتها ومواردها القيمة الأخرى في سورية لمصلحة "داعش" الناشئ حديثًا[35]. وبحلول منتصف عام 2014، قدّرت وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية أن القوة البشرية لتنظيم الدولة تراوح بين 20,000 و31,000 مقاتل[36]. لكنّ هذا التقدير شمل كلًا من العراق وسورية. وفي كانون الثاني/ يناير 2020، نشر المرصد السوري لحقوق الإنسان دراسة زعمت أن عدد قتلى مقاتلي تنظيم الدولة في سورية وحدها، بلغ 37707 مقاتلين[37]. ومن المُرجّح أن يكون هذا الرقم

(34) David Ignatius, "Al-Qaeda Affiliate Playing Larger Role in Syria Rebellion," *The Washington Post*, 30/11/2012, accessed on 19/5/2021, at: https://wapo.st/3ynM4VV

لكن مصادر أخرى، أُجريت معها مقابلات، تضع رقمًا أقل من نصف هذا التقدير في ذلك الوقت.

(35) زعم أحد قادة الجيش السوري الحر، للمؤلف، أن حوالى 90 في المئة من المقاتلين الأجانب التابعين لجبهة النصرة انضموا إلى "داعش" بعد إعلان البغدادي في نيسان/ أبريل 2013.

(36) Jim Sciutto, Jamie Crawford & Chelsea J. Carter, "ISIS Can 'Muster' between 20,000 and 31,500 Fighters, CIA Says," *CNN*, 12/9/2014, accessed on 21/8/2021, at: https://cnn.it/34x1Jns

(37) "Around 585,000 People Have Been Killed Since the Start of the Syrian Revolution, Calling for Freedom and Democracy," Syrian Observatory for Human Rights, 4/1/2020, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/2xvxTDw

في الطرف الأقصى لأعلى التقديرات[38]. فإذا ضممنا تقديرات الأعضاء الناجين في مخيم الهول ومعتقلات أخرى[39]، والوحدات العاملة لتنظيم الدولة في سورية في عام 2020 (ولاية الشام، ولا سيما في البادية/ صحراء حمص)[40]، فهذا يعني أنه كان لدى تنظيم الدولة حوالى 50,000 عضو في سورية وحدها. وهذا يتجاوز بكثير كل التقديرات الأخرى للقوة البشرية لـ"داعش"/ تنظيم الدولة في سورية.

استمر "داعش" بين نيسان/ أبريل 2013 وحزيران/ يونيو 2014 فحسب، قبل أن يصبح تنظيم الدولة الإسلامية. وخلال تلك الفترة، لم تكن تصدر تقارير شاملة عن عملياته في سورية في الإحصاءات السنوية للتنظيم، على غرار تلك الخاصة بدولة العراق الإسلامية/ "داعش" في العراق[41]. لكن بين عامي 2013 و2020، أبلغ "داعش"/ تنظيم الدولة في سورية عن عمليات تقليدية و/ أو حرب الغوار و/ أو إرهاب في كل المحافظات السورية الأربع عشرة. وبحلول نهاية عام 2019، كان التنظيم قد سيطر على مناطق، أو منع قوات أخرى، من دخولها والسيطرة عليها في 13 محافظة سورية من أصل 14 (أي كلها باستثناء طرطوس). جرى ذلك على الرغم من أن نسبة المساحة، لكل مقاتل، منخفضة

(38) تميل قوات سوريا الديمقراطية، والمنظمات المنضوية في إطارها، مثل وحدات حماية الشعب ووحدات حماية المرأة والمؤسسات المدنية ذات الصلة بها، إلى تضخيم عدد مقاتلي "داعش"/ تنظيم الدولة وغيرهم من الجهاديين. يجب مراجعة التقديرات ومقارنتها، نظرًا إلى الحرب الأهلية السورية ومرارتها ودمويتها وتحيّزاتها، وتأثير ذلك في مجالات البحث العلمي.

(39) ينظر على سبيل المثال:

Aaron Y. Zelin, "Wilayat al-Hawl: 'Remaining' and Incubating the Next Islamic State Generation," *Policy Analysis*, no. 70, The Washington Institute for Near East Policy (October 2019), pp. 1-19, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/3j6uWyh

(40) ينظر مثلًا المقابلة مع اللواء أليكس غرينكويتش، نائب قائد التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة لهزيمة "داعش"، حيث قدّر أن مخيم الهول وحده يضم 20,000 مشتبه في انتمائه إلى "داعش". ينظر:

Lara Seligman, "In Overflowing Syrian Refugee Camps, Extremism Takes Root," *Foreign Policy*, 29/7/2019, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/2V7M76B

(41) لمزيد من التفصيلات، راجع مبحث "الصعود من الرماد: التطور العسكري لتنظيم الدولة في العراق"، في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

جدًا، وعلى الرغم أيضًا من أن القوتين، البشرية والنارية، محدودتان نسبيًا. وبحلول عام 2014، كانت لدى "داعش"/ تنظيم الدولة في سورية ترسانة مركبة، تخص الحرب التقليدية والمغاويرية والإرهابية، أتاحت له السيطرة على أراضٍ، أو منع دخول أراضٍ، بلغت نحو 50 في المئة من الأراضي السورية في عام 2015[42]. كانت ترسانة التنظيم هذه أكثر ترسانات الأسلحة تطورًا من حيث النوعية والكمية، مقارنة بما لديه في أي مكان آخر، باستثناء العراق.

من حيث القدرات التقليدية، داهم تنظيم الدولة باستمرار القواعد العسكرية ومخازن الأسلحة التابعة للنظام، بما في ذلك قاعدة الفرقة 17 العسكرية، وقاعدة اللواء 93 العسكرية، وقاعدة الطبقة العسكرية (كلها في الرقة)، ومستودع أسلحة عياش (في دير الزور)، وغيرها من المستودعات الرئيسة (في دير الزور وحمص، وخصوصًا في تدمر)[43]. وبحلول نهاية عام 2015، كان تنظيم الدولة قد نهب واستولى على أكثر من 200 دبابة في سورية[44]. وشملت هذه ما لا يقل عن 79 دبابة تي - 55، و25 دبابة تي - 62، و19 دبابة تي - 72[45]. وامتلك التنظيم أكثر من 60 من العربات المدرعة وعربات المشاة في ترسانته التقليدية في سورية[46]. عدّل "داعش"/ تنظيم الدولة في ورش محلية خاصة به الكثير من هذه الدبابات وعربات المُشاة التي استولى عليها. وحظيت بأهمية خاصة

(42) Lucy Draper, "ISIS Controls over 50 % of Syria After Taking Palmyra," *The Guardian*, 21/5/2015, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/2VrrTnp

(43) يظهر ذلك في التقارير المصورة لتنظيم الدولة وإصدارات الفيديو الدعائية لولاية الخير. سلسلة الإصدارات تحت عنوان "على أبواب الملاحم".

(44) يعتمد التقدير المتحفظ على صور ومقاطع فيديو للأسلحة نشرتها المكاتب الإعلامية لسبع من الولايات السورية التابعة لـ"داعش"/ تنظيم الدولة، إضافة إلى منشورات تنظيم الدولة/ "داعش" بين نيسان/ أبريل 2013 وكانون الأول/ ديسمبر 2014. بحلول نهاية عام 2015، كان التنظيم قد نهب وشغّل نحو 200 دبابة في سورية.

(45) ينظر على سبيل المثال الدبابات وقطع المدفعية عيار 130 ملم المنهوبة من اللواء 93 فحسب في عين عيسى (محافظة الرقة). ينظر: "مسرَّب من اللواء 93 بالرقة بعد سيطرة تنظيم الدولة عليه"، يوتيوب، 7/ 8/ 2014، شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3ds0JEZ

(46) أغلبية عربات قتال المُشاة المسجلة هي من طراز بي إم بي-1 السوفياتية الصنع (برمائية مجنزرة). عُدِّل بعضها وحُدِّث بمدفع رشاش ثقيل من طراز دوشكا.(DShK) (12,7 ملم).

ورشتا العمل في محافظة الرقة (بالقرب من قاعدة الطبقة الجوية العسكرية) وفي محافظة دير الزور (منشأة المدرعات المجنزرة)[47]؛ حيث قامت هاتان الورشتان بأعمال إصلاح وتعديل وتحديث مواصفات عدة، شملت أساسًا الدبابات السوفياتية والروسية الصنع وعربات المُشاة القتالية وغيرها من القطع المدرعة والمدفعية التقليدية. تضمّنت المواصفات المعدّلة تحديث الدروع أو تعديلها، إضافة إلى الأسلحة الرئيسة والثانوية لعربات المشاة القتالية بي إم بي – 1 (BMP- 1)، ودبابات تي – 55، وتي–62، وحتى دبابات تي – 72 الأكثر تطورًا نسبيًا[48]. كما حوّلت ورش تنظيم الدولة الشاحنات إلى منصات أسلحة. ومن الأمثلة على ذلك تركيب مدفع هاوتزر عيار 122 ملم دي – 30 (D-30) على شاحنة تويوتا مسطحة. ومن الأمثلة الأخرى تركيب برج عربة بي إم بي – 1 على تويوتا لاند كروزر.

امتلك "داعش"/ تنظيم الدولة أكثر من 120 قطعة مدفعية في سورية[49]. راوحت بين هاونات خفيفة من عيار 60 ملم ومدافع هاوتزر إم198 عيار 155 ملم[50]. عرض التنظيم أكثر من 50 قاذفة صواريخ متعددة غير موجهة في النشرات الإعلامية لولاياته في سورية[51]. وشملت هذه العشرات من صواريخ غراد بي إم – 1 (BM-I) Grad السوفياتية الصنع (122 ملم) وصواريخ

(47) أ. و، 17/ 9/ 2017.

(48) المرجع نفسه.

(49) المرجع نفسه.

(50) استولى التنظيم على كثير من الدبابات وقطع المدفعية من اللواء 93 المدرع، وفوج المدفعية 21، والفرقة 17 قوات خاصة، خلال تموز/ يوليو وآب/ أغسطس 2014. كما استولى على أسلحة أخرى من قاعدة الطبقة الجوية في "الهجوم الشمال الشرقي" الواسع النطاق في صيف 2014، حيث هاجمت قوات تنظيم الدولة منشآت عسكرية للنظام في شمال شرق سورية (خاصة الرقة والحسكة وحلب). ينظر:
"Jihadists Capture Key Base from Syrian Army," *Morocco Today*, 8/8/2014, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/2JZJw8C; Abdullah Suleiman Ali, "Showdown Begins between Syrian Army, Islamic State," *Al-Monitor*, 25/7/2014, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/2xspPDI

(51) Ibid.

تايب -63 (Type-63) الصينية الصنع (107 ملم)[52]. وكما هي الحال في الأماكن الأخرى، امتلكت ولايات "داعش"/ تنظيم الدولة في سورية قدرات دفاع جوي محدودة متنقلة وقصيرة المدى. لكنّ التنظيم عرض أكثر من 100 مدفع مضاد للطائرات من أنواع مختلفة، راوحت بين عشرات المدافع الرشاشة الثقيلة كي بي ڤي (KPV) (14,5 ملم) ومدافع تايب-63 (37 ملم) وأي زد بي إس-60 (AZPS-60) (57 ملم). عرضت ولاية الرقة التابعة لتنظيم الدولة في تقاريرها المصوّرة ما لا يقل عن أربعة مدافع ذاتية الحركة، مضادة للطائرات، من طراز زد يو-23، وشيلكا زد إس يو-23 (Shilka ZSU-23)، مزوّدة بأربعة مدافع آلية. كان السلاح المضاد للطائرات الأكثر شيوعًا في ترسانة "داعش"/ تنظيم الدولة في سورية هو الزد يو-23 (23 ملم). فقد عُرض أكثر من 50 مرة في الولايات السورية التابعة لـ"داعش"/ تنظيم الدولة، بما في ذلك ولايات الرقة وحلب والبركة (الحسكة) والخير (دير الزور). وأخيرًا، امتلك تنظيم الدولة في سورية عددًا غير مؤكد من أنواع مختلفة من أنظمة الدفاع الجوي المحمولة، شملت صواريخ طراز إس أي-7 السوفياتي القديم (عائلة ستريلا Strela)، والصواريخ الأكثر تقدمًا الموجهة بالأشعة تحت الحمراء إس-16 (S-16)، وإس-18 (عائلة إيغلا Igla)[53]، وصواريخ إف إن-6 (FN-6) الصينية الصنع، وإتش تي-16 (HT-16) الكورية الشمالية[54]. واستولى التنظيم (ولاية حماة) أيضًا على نظام صواريخ أرض-جو إس أي-3 جي أي أو (GAO SA-3)[55] خلال هجوم معقّد على اللواء 66 للجيش السوري في محافظة حماة.

فيما يتعلق بالقوات الجوية، تمكّن تنظيم الدولة من الاستيلاء على أكثر

---

(52) العديد من هذه الصواريخ، ومن بينها صواريخ موجّهة مضادة للدروع، ومدافع رشاشة ثقيلة وأسلحة ثقيلة أخرى، نُهبت من الفوج 121 (في الميلبية) في محافظة الحسكة في تموز/ يوليو 2014.

(53) نُهبت من مطار الطبقة العسكري في الرقة في آب/ أغسطس 2014.

Jeremy Bender, "ISIS Just Looted Advanced Weaponry from a Crucial Assad Regime Air Base in Syria," *Business Insider*, 25/8/2014, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/3a88cGy

(54) Ibid.

(55) الاسم المتداول في حلف الناتو لأنظمة S-125 Neva/Pechora السوفياتية الصنع. أبو قتيبة، قائد سابق في الجيش السوري الحر، مقابلة شخصية، غازي عنتاب، 12/ 11/ 2018.

من 15 طائرة مقاتلة واعتراضية من طراز ميغ-21 (MIG-21)، عرضها أساسًا المكتب الإعلامي لولاية الرقة. ونهب التنظيم أيضًا عددًا غير معروف من صواريخ جو-جو من طراز أي أي-2 (AA-2)، استُخدمت لاحقًا في القتال البري باعتبارها أحد أشكال العبوات الناسفة المطوّرة والمُحدّثة[56]. وبحسب قائد المجلس العسكري في الرقة، التابع للمعارضة السورية، العقيد الطيار معتز رسلان، تمكن تنظيم الدولة من إجراء طلعتَي استطلاع جوي، على الأقل، قصيرة المدى، على علو منخفض، في محافظة الرقة باستخدام طائرتي ميغ[57]. ومع أن التنظيم جنّد في صفوفه طيارين وطواقم صيانة سوريين وغير سوريين، فإنه لم يمتلك القدرة على شن غارات جوية، لكنه حاول ذلك؛ إذ أجبر مقاتلو تنظيم الدولة في ولاية الرقة بعض السجناء الذين كانوا من طاقم الصيانة الأرضي في قاعدة الطبقة الجوية على القيام بمهمات صيانة في أيلول/ سبتمبر 2014[58]. لكن تم التخلي عن كل طائرات الميغ أو تدميرها في مرحلة لاحقة.

إضافة إلى القدرات التقليدية، امتلكت ولايات تنظيم الدولة في سورية بحلول أواخر عام 2014 ترسانة حرب غوار متطوّرة، ما عكس تعاظم قدراتها، وثّق مركز أبحاث تسليح النزاع 562 قطعة سلاح و11816 وحدة ذخيرة تابعة لتنظيم الدولة في سورية بين تموز/ يوليو 2014 وتشرين الثاني/ نوفمبر 2017[59]. وتضمّنت هذه العينة 18 نوعًا من الأسلحة، كلها شائعة الاستخدام في تكتيكات حرب الغوار وعملياتها. وشملت العيّنة مسدسات وبنادق هجومية ومدافع رشاشة خفيفة ومتوسطة وثقيلة وبنادق قنص وقاذفات

(56) نُهبت من مطار الطبقة العسكري في الرقة. وعادةً ما يقع خلط بين صاروخ أي أي-2 (التسمية الخاصة بحلف الناتو لصاروخ فيمبل كي-13 "Vympel K-13" جو-جو السوفياتي الصنع) والصاروخ الأميركي سايدويندر أي آي إم-9 (AIM-9 Sidewinder)، نظرًا إلى التشابه في المظهر. تمكّن تنظيم الدولة من استخدام صواريخ جو-جو في القتال البري أساسًا على شكل عبوات ناسفة أو مكونات فيها.

(57) أحمد العربي، "'تنظيم الدولة' ينفذ طلعات جوية في الرقة"، **الجزيرة نت**، 28/ 10/ 2014، شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2yTGu3i

(58) المرجع نفسه.

(59) "Weapons of the Islamic State: A Three-Year Investigation in Iraq and Syria," Conflict Armament Research (December 2017), pp. 183-184, 189.

قنابل يدوية وقاذفات صواريخ غير موجّهة[60]. لكنّ هذه العيّنة لا تصل بأي حال من الأحوال إلى مستوى القائمة الشاملة لترسانة التنظيم في سورية. فقد نهب تنظيم الدولة الإسلامية من الفرقة 17 وحدها أكثر من 30 مدفع هاون خفيفًا ومتوسطًا، وأكثر من 100 رشاش ثقيل (من عيار 12,7 ملم و14,5 ملم) ومئات من قذائف آر بي جي، وأكثر من 3000 بندقية كلاشينكوف هجومية، وأكثر من 1000 مسدس ومئات من كواتم الصوت[61]. وأخيرًا، عرضت ولايات الرقة والبركة وحمص (البادية) التابعة لتنظيم الدولة في سورية أنواعًا مختلفة من الصواريخ الموجّهة المضادة للدروع، منها صواريخ كونكورس (Konkurs) السوفياتية الصنع، الموجّهة بالأسلاك، وصواريخ كورنِت (Kornet) الأكثر تطوّرًا وتكلفة والموجّهة بأشعة الليزر، إضافة إلى عدد كبير من أنظمة الصواريخ الموجّه المضادة للدروع من طراز ميتيس-إم (Metis-M).

فيما يتعلق بقدرات الإرهاب، كان لدى دولة العراق الإسلامية نحو خمس سنوات من الخبرة في تصنيع العبوات الناسفة وحرب العبوات الناسفة المكثفة، حينما أرسلت إلى سورية الجماعة التي أسست جبهة النصرة في آب/ أغسطس 2011[62]، حيث نقلت دولة العراق الإسلامية إلى جبهة النصرة خبراتها في الإنتاج الصغير للأحزمة والسترات الانتحارية للأفراد، وتركيب المتفجرات في سيارات الركاب والدراجات النارية لإنتاج العربات المفخخة/ الانتحارية والدراجات المفخخة/ الانتحارية في ورش صغيرة. ومن جانبها، طوّرت جبهة النصرة قدراتها الخاصة في ابتكار تكتيكات

(60) Ibid., p. 184.

(61) ضابط سابق في الجيش السوري، مقابلة شخصية، بيروت، 6/ 12/ 2017؛ جواد س، قائد سابق في لواء الحق، مقابلة شخصية، إسطنبول، 7/ 10/ 2016؛ "منها راجمات صواريخ ومدافع ... 'الدولة' يستعرض مجددًا حجم 'غنائم' الفوج 121"، **زمان الوصل**، 28/ 7/ 2014، شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2xvLzP5

(62) للاطلاع على خلفية حل كل الوحدات التكتيكية غير المفخخة في دولة العراق الإسلامية، بما في ذلك وحدات القنص وتشكيلات المغاوير، وتركيز كل الموارد على بناء وحدات تكتيكية للتفخيخ (العبوات الناسفة)، ينظر المبحث "الصعود من الرماد: التطور العسكري لتنظيم الدولة في العراق"، في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

الإرهاب الحضري وتحويلها إلى تكتيكات فعالة في جبهات القتال. اعتمدت جبهة النصرة، ثم "داعش"/ تنظيم الدولة، على العربات المفخخة الانتحارية باعتبارها أسلحة في جبهات القتال، وابتكرت أيضًا أنواعًا مختلفة من العربات المفخخة، راوحت بين سيارات ألعاب الأطفال التي يتم التحكم فيها لاسلكيًا، وعربات مدرعة ومدفعية ذاتية الحركة لإيصال المتفجرات إلى الهدف. وعلى غرار ولايات تنظيم الدولة في أماكن أخرى، عملت هذه الأشكال المختلفة من العربات المفخخة في سورية على نحوٍ يشبه الصواريخ الموجّهة والمدفعية في التكتيكات العسكرية التقليدية، إضافة إلى استخدامها الأكثر شيوعًا في تكتيكات الإرهاب. ونهب تنظيم الدولة أيضًا أكثر من 1000 مسدس وأكثر من 300 كاتم للصوت من الفرقة 17 في الرقة في تموز/ يوليو 2014، بعد الاستيلاء عليها من قوات النظام في عملية شبيهة بالحرب الخاطفة. استُخدم الكثير من هذه "المسدسات الصامتة" في عمليات اغتيال نُفّذت في مناطق الثوار ومناطق النظام.

كما هي الحال في بلدان أخرى، طوّر تنظيم الدولة في سورية ركن "نقل المعرفة" في استراتيجيته بوساطة عدد من القادة والمنصات، بما في ذلك معسكرات التدريب. حُدِّد أكثر من 20 معسكر تدريب مؤقتًا في سورية بحلول أواخر عام 2014[63]. وبحلول منتصف عام 2015، كان لدى التنظيم ما لا يقل عن تسعة معسكرات رئيسة في سورية، تُدرِّس مزيجًا من تكتيكات الحرب التقليدية وحرب الغوار والإرهاب. تقع كل هذه المعسكرات التسعة تقريبًا في شمال وشمال شرق سورية؛ في محافظة الرقة (بالقرب من سلوك) وريف دير الزور ومحافظة حلب (بالقرب من تادف)[64].

(63) Bill Roggio & Caleb Weiss, "More Jihadist Training Camps Identified in Iraq and Syria," *FDD's Long War Journal*, 23/11/2014, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/3oBq8lJ

(64) أبو قتيبة، قائد سابق في الجيش السوري الحر والجبهة الشامية، مقابلة شخصية، غازي عنتاب، 12/11/2018.

إجمالًا، وفي غضون عامين تقريبًا، تحوّلت المجموعات[65] التي كانت تابعة للدولة الإسلامية في العراق وخلفائها في سورية، جبهة النصرة و"داعش"، من مجموعات صغيرة بحجم فصيلة مكوّنة من 30 مقاتلًا في منتصف عام 2011 إلى تنظيمين عسكريين، يمتلكان قدرات الحرب التقليدية وحرب الغوار والإرهاب بحلول منتصف عام 2013. وبعد إنشاء تنظيم الدولة في حزيران/ يونيو 2014، وسّع التنظيم سيطرته على الأراضي/ قدراته على منع دخول الأراضي، وطوّر هجماته المدرعة التقليدية وتكتيكات الحصار والحرب في المناطق الحضرية، وطوّر عمليات القناصة، وكذلك الدعم الناري بالصواريخ والمدفعية خارج مدى الرؤية. كما نجح التنظيم في تأمين تحركات لوجستية واسعة النطاق بين "ولاياته" السورية والعراقية. ونجح أيضًا في سورية في استخدام المُسيّرات بغرض الرصد الأمامي والمراقبة والاستطلاع والدعاية والقتال، وغيرها من المهمات. واستخدم تنظيم الدولة كل هذه القدرات والتطويرات الهجينة في قتال جميع الفاعلين المسلحين التابعين للدولة، والفاعلين المسلحين دون الدولة في سورية، ولإرهاب قطاعات واسعة من السكان المحليين، من السُنّة وغير السُنّة. ونجح التنظيم في احتلال، أو منع دخول، أو فرض النفوذ في حوالى 50 في المئة من الأراضي السورية، قبل أن تُحرَّر منه الأغلبية العظمى من هذه المناطق من خلال جهود عسكرية مشتركة (ومتضاربة في الكثير من الأحيان) للفاعلين المسلحين التابعين للدولة (قوات النظام وحلفائه النظاميين) والفاعلين المسلحين دون الدولة بحلول عام 2019.

ثالثًا: العاصمة والمحافظة: جبهات الرقة (نيسان/ أبريل 2013 - تشرين الأول/ أكتوبر 2017)

في 4 آذار/ مارس 2013، نجح تحالف من تنظيمات المعارضة السورية المسلحة في طرد قوات النظام من مدينة الرقة. وباتت المدينة أول عاصمة إقليمية تُحرَّر من قوات الأسد. ضمّ هذا التحالف وحدات من فصائل عدة في

(65) إضافة إلى جبهة النصرة و"داعش"، هناك فروع أخرى أصغر، موالون وحلفاء تكتيكيون (متحوّلون) لـ"داعش"/ تنظيم الدولة في سورية، من جند الأقصى في الشمال إلى جيش خالد بن الوليد في الجنوب.

الجيش السوري الحر، ومن أحرار الشام وجبهة النصرة. لكن التحالفات لم تدم طويلًا في المدينة. فقد أُسّست الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" بعد نحو شهر من التحرير، في محاولة لدمج دولة العراق الإسلامية مع جبهة النصرة في سورية. رفضت قيادة جبهة النصرة الاندماج. ومنذ نهاية نيسان/ أبريل 2013، حوّلت أغلبية مقاتلي جبهة النصرة المتمركزة في الرقة ولاءها إلى "داعش"، ومنهم أمير المدينة أبو سعد الحضرمي[66]. وفي غضون أسبوع تقريبًا، استوعب "داعش" فصائل من جبهة النصرة وغيرها، وجنّد أيضًا مقاتلين وفصائل من تنظيمات أخرى[67]، عبر مزيج من الاختراق المُسبق والدعاية المكثفة والحوافز الانتقائية ومنظومة استخبارات وإدارة معلومات، أفضل مما لدى الثوار السوريين. وحُدِّثت قدرات "داعش" في الرقة من لا شيء تقريبًا، إلى واحد من أقوى التنظيمات عسكريًا في المدينة.

1- في الهجوم: تمدد تنظيم الدولة في الرقة

كان على "داعش"، كي يحتل المدينة ومحافظة الرقة كلها، القتال ضد كل قوات الثوار وقوات النظام، في الرقة، في معركة من ثلاث مراحل. استهدفت المرحلتان الأوليان الثوار أساسًا، ما بين أيار/ مايو وأيلول/ سبتمبر 2013، وفي كانون الثاني/ يناير 2014. واستهدفت المرحلة الثالثة أساسًا قوات النظام في صيف 2014. وبحلول أيلول/ سبتمبر 2014، احتل تنظيم الدولة الإسلامية المحافظة كلها، بمزيج من تكتيكات الإرهاب وحرب الغوار والحرب التقليدية، على الرغم من أن العدد والعدة والعتاد كانت لغير مصلحته في البداية، قياسًا على قوات الثوار اللامركزية وقوات النظام المركزية نسبيًا.

خلال المرحلة الأولى من المعركة، اتّبع "داعش" في الرقة طريقة عمل مشابهة لتلك التي استخدمها لاحقًا تنظيم الدولة في درنة بين كانون الثاني/ يناير

(66) المصطفى، "تنظيم الدولة الإسلامية في سورية"، ص 299.

(67) شملت فصائل من الجيش السوري الحر وأحرار الشام، إضافة إلى جبهة النصرة. كما جنّد التنظيم جنود الأسد المتمركزين في الرقة، واشترى الأسلحة منهم.

وحزيران/ يونيو 2015[68]. لكن طريقة العمل هذه في حالة الرقة كانت ناجحة. أطلق "داعش"/ تنظيم الدولة حملة إرهابية متواصلة في الرقة، اختارت بعناية أهدافها بين أيار/ مايو وآب/ أغسطس 2013، حيث خطف التنظيم واغتال العشرات من قادة المجتمع المدني وصنّاع الرأي وقادة الثوار المحليين[69]. وفي 13 آب/ أغسطس 2013، تمكن تنظيم الدولة من تدمير مقر لواء أحفاد الرسول - أحد الألوية المتحالفة مع الجيش السوري الحر، ومقرّه في الرقة - بعد اختراق تحصيناته الأمنية باستخدام عربة مفخخة سرية[70]. وتبع ذلك تفجير ثلاث عربات مفخخة أخرى في مواقع أخرى لهذا اللواء والجيش السوري الحر في المدينة. وبعد ذلك بيوم، انسحب لواء أحفاد الرسول، وهو أحد التنظيمات المسلحة الرئيسة في المحافظة، من مدينة الرقة. استمر "داعش" في "الزحف" على أحياء أخرى من مدينة الرقة و"إثخان" الوحدات المسلحة الأخرى للثوار. واعتقل التنظيم أميره السابق في مدينة الرقة، أبو سعد الحضرمي، في أيلول/ سبتمبر 2013[71]. وبذلك استطاع التنظيم، بصفة استباقية، بتر وإفشال محاولة لتشكيل تحالف مناهض لـ"داعش" في الرقة، مؤلف من وحدات مسلحة لخمسة تنظيمات وفصائل مختلفة[72]. وبحلول أيلول/ سبتمبر 2013، أصبح "داعش" التنظيم المسلح الأكثر سيطرة في الرقة، من خلال الاعتماد على نحوٍ

(68) لمزيد من التفصيلات، ينظر: الفصل الرابع من هذا الكتاب.

(69) من بين المخطوفين عبد الله الخليل رئيس المجلس المحلي لمحافظة الرقة (تأسس عبر الانتخابات بعد تحريرها من النظام)، وفراس الحاج الناشط المدني البارز، والأب باولو دالوليو القس اليسوعي الذي انتقد السياسات الوحشية لنظام الأسد، وغيرهم. لم يمثل هؤلاء الضحايا أي تهديد عسكري مباشر لـ"داعش". مثّلوا زعماء محتملين فحسب، قد يتمكنون من حشد المدنيين ضد "داعش".

(70) للحصول على تفصيلات حول الاختراق ووصف شاهد عيان للعمليات، ينظر: إبراهيم درويش، "قصة سقوط الرقة بيد الجهاديين... خيانات وإعدامات ثم ممارسات قاسية"، **القدس العربي**، 16/ 6/ 2015، شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2XyNrBi

(71) كان الحضرمي قياديًا في جبهة النصرة، اختار الاصطفاف إلى جانب "داعش" في انشقاق نيسان/ أبريل 2013. وأصبح أمير "داعش" في مدينة الرقة. وبسبب العديد من الخلافات والاشتباكات مع أمير "داعش" في محافظة الرقة، أبو لقمان، انشق الحضرمي وانضمّ إلى جبهة النصرة وأصبح قائدها في مدينة الرقة. أعدمه "داعش" في كانون الثاني/ يناير 2014، في أثناء انتصاره في معركة مدينة الرقة.

(72) هذه التنظيمات هي أحرار الشام وجبهة النصرة وثلاثة فصائل تعمل تحت مظلة الجيش السوري الحر في شمال شرق سورية (كتائب أحفاد الرسول ولواء ثوار الرقة ولواء المنتصر بالله).

شبه حصري على تكتيكات الإرهاب الحضري وعمليات التسلل والاختراق والعملاء المزدوجين الشبيهة بالعمليات السرّية للأجهزة الاستخبارية التقليدية.

في الأجزاء المحررة كافة من شمال سورية ووسطها، من اللاذقية إلى دير الزور، استخدم "داعش" تكتيكات إرهابية مماثلة لتلك المستخدمة في الرقة. وارتكب التنظيم سلسلة متتالية من الاغتيالات والخطف والتفجيرات في عام 2013، ضد قوات الثوار، سعيًا لـ "إثخانهم" وترهيبهم حتى يخضعوا له، ثمّ "الزحف" إلى مناطقهم. كان لهذه التكتيكات تأثير مماثل، كما في الرمادي ودرنة[73]. ودفعت كل فصائل الثوار تقريبًا في الشمال، وبعض الجنوب، إلى حشد قواها ضد "داعش" بحلول كانون الثاني/يناير 2014. ضمّ الهجوم المنسق في كانون الثاني/يناير 2014 وحدات من عدة فصائل من الجيش السوري الحر (بما في ذلك لواء التوحيد الذي بلغ قوامه 10,000 عضو في أكبر قوة عددية له ثم تشظى وانهار بعد ذلك)، وكذلك وحدات من أحرار الشام وجيش الإسلام وجبهة النصرة. أجبرت الهجمات المنسقة نسبيًا وحدات "داعش" على التراجع عن معظم مواقعها الشمالية الغربية في أجزاء من محافظات اللاذقية وإدلب وحلب وحماة. ونتيجة لذلك، انسحبت ثلاثة أرتال كبرى لـ"داعش" عبر ريف محافظة حلب الشرقي في اتجاه محافظة الرقة. انسحب أول رتل عبر الأتارب في وسط - غرب حلب، وضمّ وحدات "داعش" التي قاتلت في اللاذقية وإدلب وحلب. وانسحب الرتل الثاني عبر خناصر في وسط - جنوب حلب. وانسحب الرتل الثالث عبر أقصى جنوب حلب. ضمّ الرتل الثالث المنسحب كلًّا من أبو بكر البغدادي (القائد السابق للدولة الإسلامية في العراق/ "داعش"/ تنظيم الدولة، وأبو أيمن العراقي (القائد السابق لوحدات اللاذقية)، وأبو محمد العدناني (المتحدث السابق باسم تنظيم الدولة).

شهدت الرقة، في مساء 2 كانون الثاني/يناير 2014، لقاءً بين قادة محليين من أحرار الشام (أبو حيدرة)، وجبهة النصرة (أبو العباس)، ولواء ثوار الرقة (أبو

(73) ينظر: الفصل الثاني عن العراق، والفصل الرابع عن ليبيا، من هذا الكتاب.

عيسى) التابع للجيش السوري الحر. وضع القادة خطة معركة لإزالة "داعش" أو تدميره في المدينة[74]. وحينما نشبت المرحلة الثانية من المعركة في الرقة في 4 كانون الثاني/ يناير 2014، كانت قوة "داعش" البشرية في المحافظة كلها تراوح بين 1500 و2000 مقاتل (بهدف السيطرة على نحو 7500 ميل مربع)[75]. وفي مدينة الرقة، كان لدى "داعش" نحو 500 مقاتل[76]. وقدِّر مجموع قوات أحرار الشام وجبهة النصرة والوحدات الباقية من فصائل الجيش السوري الحر في المدينة بأكثر من 2500 مقاتل[77]. ومن ثمّ، فاقت "داعش" بنسبة 5 إلى 1، قبل وصول تعزيزاته. تركزت الأغلبية العظمى من القوة البشرية لـ"داعش"، نحو 4 تشكيلات مغاوير، كل منها بحجم فصيلة، في وسط المدينة وحول شارع تل أبيض. وتركّزت وحدات أحرار الشام وبقية مقاتلي "لواء ثوار الرقة" في أحياء الرقة الغربية، بينما تركّزت وحدات جبهة النصرة شرق المدينة[78]. بدأت جبهة النصرة والأحرار والجيش السوري الحر الهجوم المنسق في 4 كانون الثاني/ يناير 2014 على المواقع الستة الرئيسة لـ"داعش" في وسط الرقة[79]. وأدى التفوق العددي وعنصر المفاجأة إلى تراجع كل تشكيلات "داعش" إلى مبنى محافظة الرقة والشوارع المحيطة به، بحلول 6 كانون الثاني/ يناير 2014. كما تراجعت وحدات قليلة، بحجم طواقم، إلى شمال المدينة. بدا أن "داعش"، في هذه المرحلة، يخسر وينهزم في معركة الرقة في عام 2014.

---

(74) أبو سعيد.

(75) المصطفى، "تنظيم الدولة الإسلامية في سورية"، ص 301؛ سعد س، مقاتل سابق في الجيش السوري الحر في الرقة ودير الزور، مقابلة شخصية، غازي عنتاب، تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.

(76) المصطفى؛ سعد س؛ أبو الحارث، قائد سابق في جيش الإسلام - الشمال، مقابلة شخصية، غازي عنتاب، تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.

(77) أبو الحاث؛ وائل عصام، "'القدس العربي' تروي أسباب سقوط الرقة بشكل مفاجئ بيد الدولة الإسلامية ... العلاقة بين جبهة النصرة و'داعش' في المدينة ... من حلف متين إلى حرب لا تلين"، **القدس العربي**، 30/ 1/ 2014، شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2SWRU09

(78) أ. و، قائد سابق في الجيش السوري الحر في الرقة، مقابلة شخصية، إسطنبول، 9/ 10/ 2016. ينظر أيضًا: وائل عصام، "قائد جبهة النصرة لـ'القدس العربي': مقاتلو 'داعش' كانوا ينادوننا عبر أجهزة اللاسلكي 'أحرار الشام انسحبوا وتركوكم'"، **القدس العربي**، 31/ 1/ 2014، شوهد في 14/ 4/ 2020، في: https://bit.ly/3ejZKay

(79) أ. و، قائد سابق في الجيش السوري الحر في الرقة؛ عصام، "قائد جبهة النصرة لـ'القدس العربي'".

لكنّ تطورين مهمين غيّرا مصير "داعش" في هذه المعركة (الرقة عام 2014). أولًا، وصلت تعزيزات إلى "داعش" قوامها نحو 30 عربة نقل محوَّرة وسيارة دفع رباعي في الساعات الأولى من يوم 8 كانون الثاني/ يناير 2014[80]. تكوّن هذا الرتل غير النظامي من مقاتلي "داعش" المنسحبين من محافظات إدلب وحلب ودير الزور. واستطاعت القافلة بطريقة ما - عن طريق الخداع أو التسلل أو الاختراق - عبور نقاط التفتيش التابعة لجبهة النصرة في شرق المدينة من دون قتال[81]. مكّن وصول التعزيزات الهجومَ المضاد المستمر على مواقع أحرار الشام غرب المدينة[82]. وبحلول 9 كانون الثاني/ يناير 2014، انتصر "داعش" في وسط مدينة الرقة وغربها. وانسحبت وحدات أحرار الشام والجيش السوري الحر شمالًا نحو بلدة تل أبيض الشمالية بالقرب من الحدود التركية. وفي الجوار، كان "داعش" قد استوعب سابقًا بعض فصائل الجيش السوري الحر العاملة في شمال محافظة الرقة، مثل "لواء" الحمزة و"كتيبة" صواعق الرحمن[83]. تمركز الفصيلان في مواقع استراتيجية في ريف الرقة، ونصبا كمينًا لوحدات أحرار الشام الفارّة من مدينة الرقة، بمساعدة بعض وحدات "داعش" المنسحبة من ريف حلب الشرقي. وقع الكمين قرب منطقة القنطري على بعد 30 ميلًا شمال مدينة الرقة. سُمع أحد قادة "داعش" التونسيين عبر جهاز لاسلكي يأمر مقاتليه بـ "عدم أخذ سجناء من الصحوات"[84]. وبعد ذلك، استغلّ "داعش" زخم هجومه المضاد لاقتحام بلدة تل أبيض واحتلالها، والاستيلاء على المزيد من الأراضي في محافظة الرقة.

---

(80) عصام، "'القدس العربي' تروي أسباب سقوط الرقة بشكل مفاجئ".

(81) المصادر غير واضحة بشأن كيفية مرورهم. يجادل معظم الذين قابلناهم حول هذا الموضوع بأن ذلك كان مؤامرة بين جبهة النصرة و"داعش" (قاتل جميع من قابلناهم تقريبًا ضد التنظيمين). لكنّ نظرية المؤامرة لا تفسر القتال الذي دار بين جبهة النصرة و"داعش" في الأحياء الشرقية لمدينة الرقة والطبقة بعد ذلك، وكذلك إعدام سجناء الجبهة على يد "داعش".

(82) تمكّن ما لا يقل عن اثنين من تشكيلات الانغماسيين من التسلل إلى مواقع أحرار الشام في وقت متأخر من ليلة 10 كانون الثاني/ يناير والساعات الأولى من 11 كانون الثاني/ يناير.

(83) أبو سعيد.

(84) أبو صالح، طبيب في أحرار الشام، كان شاهد عيان على المعركة، مقابلة شخصية، أجرى المقابلة فريق البحث المساعد في 25/ 2/ 2015، نقلًا عن: المصطفى، "تنظيم الدولة الإسلامية في سورية"، ص 300.

بالعودة إلى الأحياء الشرقية لمدينة الرقة، فاجأ هجوم "داعش" المضاد وصلابة عناصره فصائل الثوار السوريين، على الرغم من التحذيرات السابقة. كان هذا هو التطور الثاني الذي ساعد في تغيير حظوظ "داعش" في مدينة الرقة. وفي نهاية المطاف، ركّز التنظيم هجومه المضاد على قوات جبهة النصرة في وقت متأخر من ليلة 8 كانون الثاني/يناير 2014. وفي عرضٍ للقوة، أعلن "داعش" أنه أعدم أمير الرقة المعتقل أبو سعد الحضرمي الذي كان قد انضمّ إلى جبهة النصرة (بعد انشقاقه سابقًا عن "داعش")، وحاول الحضرمي تنظيم حملة مقاومة ضد "داعش" في الرقة. وبعد أربعة أيام من القتال في الأحياء الشرقية للمدينة وضواحيها، تراجعت وحدات جبهة النصرة إلى الجنوب، ثم إلى الجنوب الغربي في اتجاه مدينة الطبقة. دمّرت جبهة النصرة، خلافًا لأحرار الشام، كل أسلحتها الثقيلة، ومنها دبابتان من طراز تي-55 وعدة مدافع هاون ثقيلة (120 ملم)، حتى لا تقع في أيدي مقاتلي "داعش"[85].

بحلول 13 كانون الثاني/يناير 2014، بات تنظيم "داعش" يسيطر نسبيًا على مدينة الرقة، ويواصل هجومه لاحتلال بقية المحافظة[86]. وكما فعل في شمال محافظة الرقة، استغلّ التنظيم زخم هجومه المضاد في الجنوب الغربي. وطارد جبهة النصرة إلى الطبقة، واقتحم حاجزها الرئيس بعربة مفخخة انتحارية، واخترق على ما يبدو وحدات جبهة النصرة في الطبقة بمفرزة أمنية (عملاء سرّيين لـ"داعش")[87]. بدأت وحدات جبهة النصرة بالانسحاب من الطبقة، وسرعان ما تبعتهم وحدة من الجيش السوري الحر من لواء أويس

---

(85) أبو رجب، مقاتل سابق في الجيش السوري الحر، قاتل ضد "داعش"/تنظيم الدولة في إدلب وحلب والرقة، مقابلة شخصية، إسطنبول، 9/ 10/ 2016. ينظر أيضًا: عصام، "'القدس العربي' تروي أسباب سقوط الرقة".

(86) بقيت المقاومة المناهضة لـ"داعش" في الرقة حتى أواخر آذار/ مارس 2014. فعلى سبيل المثال، في 2 شباط/ فبراير 2014، اغتيل خمسة من مقاتلي "داعش" الجرحى في مستشفى الرقة الوطني. وفي 3 شباط/ فبراير 2014، شن لواء ثوار الرقة التابع للجيش السوري الحر هجومًا منسقًا على أربع نقاط تفتيش لـ"داعش" في المدينة. أبو منصور، مقاتل سابق في الجيش السوري الحر (لواء ثوار الرقة)، مقابلة شخصية، إسطنبول، تشرين الثاني/ نوفمبر 2018.

(87) المرجع نفسه.

القرني[88]. وفي جنوب شرق محافظة الرقة، احتلّ "داعش" بلدة الكرامة من دون قتال[89]. واحتل التنظيم أيضًا بلدة معدان في أقصى الجنوب الشرقي من ريف الرقة، بعد مقاومة من مقاتلي أحرار الشام هناك. لكنّهم استسلموا لقوات "داعش"، بعد أن حاصر التنظيم البلدة وقصفها عدة ساعات. وبحلول 15 كانون الثاني/ يناير 2014، انتصر "داعش" انتصارًا حاسمًا على كل فصائل الثوار في محافظة الرقة.

2- استهداف النظام

كانت المرحلة الثالثة من معركة محافظة الرقة ضد قوات النظام. عزّز "داعش" سيطرته النسبية على معظم المحافظة، واستولى على أسلحة الثوار وذخائرهم ومواردهم، ونقل بعض الأسلحة المنهوبة من حملاته في العراق، وبعد ذلك انتقل إلى استهداف مراكز قوة النظام العسكرية المُحكمة في محافظة الرقة، وهي: المقر الرئيس والقاعدة العسكرية للفرقة 17 قوات خاصة، في شمال مدينة الرقة[90]، ومقر اللواء 93 مدرع في عين عيسى، والقاعدة العسكرية الجوية في مدينة الطبقة.

في وقت متأخر من ليلة 23 تموز/ يوليو 2014، بدأ "داعش" (بات تنظيم الدولة بدايةً من 29 حزيران/ يونيو 2014) باستهداف الفرقة 17، القاعدة العسكرية التي تبلغ مساحتها ميلين مربعين، وتضمّ مقرات 12 كتيبة، وتقع شمال مدينة الرقة[91]. قسّم تنظيم الدولة القوة المهاجمة المكونة من حوالى 300 مقاتل لستة تشكيلات، من فصائل وسرايا صغيرة من المغاوير

---

(88) المرجع نفسه. ينظر أيضًا: عبد المجيد العلواني، "بعد انسحابات و'خيانات' ... ثوار الرقة يستعيدون 50 % من المدينة"، أورينت نت، 13/ 1/ 2014، شوهد في 21/ 8/ 2021، في:
https://bit.ly/34KMrM5

(89) كانت هذه البلدة تُعدّ من معاقل "داعش" في محافظة الرقة قبل عام 2014.

(90) الفوج 121 مدفعية، وهو فوج يتبع الفرقة 17، تعرّض للهجوم بداية من 24 تموز/ يوليو 2014. لكنه يقع في جوار الميلبية في محافظة الحسكة خارج (لكن بالقرب من) محافظة الرقة.

(91) ضابط سابق في الجيش السوري.

والانغماسيين وتشكيلات مدرعة ومدفعية[92]. كان قد تبقى من القوات الخاصة في الفرقة نحو 800 ضابط وجندي، وتنظيم الدولة في حالة هجوم، ومن ثمّ مالت النسبة العددية إلى غير مصلحته قليلًا، بواقع 2,5 إلى 1. ومع أن التنظيم كان يفرض حصارًا شاملًا على الفرقة، باستخدام 15 دبابة على الأقل[93]، فإن وحدات منه حاولت في البداية اقتحام القاعدة من ثلاث جهات فقط. هاجمت عربتان مفخختان انتحاريتان الفرقة من الجنوب والجنوب الشرقي، وأعقبت ذلك محاولتا تسلل فاشلتان من تشكيلات الانغماسيين. ويرجع هذا الفشل إلى المقاومة القوية والمدافع الآلية المضادة للطائرات (23 ملم) والمدافع الرشاشة الثقيلة التي أطلقت نيرانها من مناطق مرتفعة[94]. ثمّ قصفت الأطراف الغربية للفرقة بالمدفعية الثقيلة، ومن المحتمل أن تكون مدافع ميدان عيار 130 ملم من طراز تايب-59 (Type-59) ومدافع هاون متوسطة (82 ملم). وفي الشمال الشرقي، حيث لم يكن هناك هجوم، تمكّن نحو 30 إلى 40 مقاتلًا من تنظيم الدولة من التسلل إلى الفرقة في الساعات الأولى من يوم 24 تموز/ يوليو 2014[95]. وهذا ما أفضى إلى بداية نهاية المعركة، مع أن عدد المتسللين قليل نسبيًا، وشنّت طائرات النظام نحو ثلاث عشرة غارة جوية على مواقع التنظيم في الرقة[96].

---

(92) غطت وسائل الإعلام التابعة لتنظيم الدولة أجزاء من المعركة في فيلم وثائقي دعائي باللغة الإنكليزية، بعنوان "لهيب الحرب: الآن بدأ القتال"، صدر في 17 أيلول/ سبتمبر 2014 عن مركز الحياة الإعلامي. ادّعى فيه قائد في التنظيم أن "عشرات فقط من مقاتلي التنظيم" هاجموا الفرقة 17. لكن أربعة من قادة الجيش السوري الحر قاتلوا في محافظة الرقة، وأجرى المؤلف مقابلات معهم، قدّروا العدد بنحو 300 مقاتل، مقسّمين بين ستة تشكيلات. ينظر: "جنود الفرقة (17) يحفرون قبورهم بأيديهم قبل إعدامهم في 'لهيب الحرب'"، **زمان الوصل**، 22/ 6/ 2014، شوهد في 21/ 8/ 2021، في:
https://bit.ly/2Xx4kw8

(93) "تنظيم الدولة يُعلن السيطرة على الفرقة 17"، **زمان الوصل**، 25/ 7/ 2014، شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2XB0LF1

(94) ضابط سابق في الجيش السوري.

(95) المرجع نفسه.

(96) المرجع نفسه؛ وسيم نصر، "تفاصيل المواجهة المفتوحة بين تنظيم الدولة الإسلامية والجيش السوري"، **فرانس 24**، 28/ 4/ 2014، شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3a6gSgK؛ "بالفيديو: سيطرة الدولة الإسلامية على الفرقة 17 بريف الرقة"، **جي بي سي الإخبارية**، 27/ 7/ 2014، =

تمكّن التشكيل المتسلل بحجم فصيلة من إحداث الفوضى داخل الفرقة بوساطة تفجير عربتين مفخختين انتحاريتين يقودهما انتحاريان سعوديان (أبو صهيب وأنس خطاب)، في الساعات الأولى من 24 تموز/يوليو 2014[97]. كما تمكّنت وحدات تنظيم الدولة من الاستيلاء على مباني "كتيبة الكيمياء" ومصنع السكر، ويقعان على أرض مرتفعة، واستُخدمت هذه المواقع للقنص والقصف بالمدفعية الخفيفة[98]. استمر القتال حتى نهاية اليوم، وبحلول ليلة 24 تموز/يوليو 2014، كان من الواضح أن تنظيم الدولة قد انتصر. ففي غضون يومين فقط من القتال العنيف، استولى التنظيم على الفرقة 17 قوات خاصة التي كانت قد صمدت بصلابة أمام هجمات فصائل المعارضة المسلحة طوال أكثر من عام[99].

استغلّ تنظيم الدولة زخم انتصاره على الفرقة 17 والفوج 121 مدفعية القريب في الميلبية (جنوب محافظة الحسكة)، والروح المعنوية العالية لمقاتليه وكمية الأسلحة الكبيرة والنوعية التي استولى عليها من الفرقة والفوج، فطوّر هجومه للسيطرة على بقية محافظة الرقة. ففي ليلة 6 آب/أغسطس 2014، هاجم التنظيم اللواء 93 في عين عيسى - نحو 30 ميلًا شمال مدينة الرقة. وكان مئات الجنود الفارين من الفرقة 17 قد وصلوا إلى اللواء، أو ما زالوا في الطريق إليه. ووقع بعضهم، وهو في الطريق إلى الشمال، في كمين لوحدات تنظيم الدولة[100].

= شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3b9Zd8W؛ "تنظيم الدولة يسيطر على الفرقة 17 في الرقة"، **الجزيرة نت**، 25/ 7/ 2014، شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3b39ns5

(97) "الدولة الإسلامية تقتحم الفرقة 17 في الجيش النظامي بالرقة واشتباكات بين جبهة النصرة وفصائل معارضة في الشمال والجنوب"، **النهار**، 25/ 7/ 2015، شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3adPJsl

(98) "تنظيم الدولة يسيطر على الفرقة 17 بالرقة"، **الخليج أونلاين**، 25/ 7/ 2014، شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2Rz7Bam

(99) من المؤكد أن هجمات المعارضة المسلحة والحصار أضعفا المقاومة داخل الفرقة 17، وأن تنظيم الدولة استفاد من ذلك.

(100) نصر، "تفاصيل المواجهة المفتوحة بين تنظيم الدولة الإسلامية والجيش السوري".

كان لدى التنظيم أسلحة ثقيلة كافية لخوض معركة برية تقليدية – منها عدد من دبابات تي-55 وتي-62، وقطع مدفعية 130 ملم وقطع أخرى من عيار أقلّ – لكنّه بدأ الهجوم على اللواء بثلاث عربات مفخخة انتحاريَة من ثلاث جهات(101). وعلى شاكلة الهجوم على الفرقة 17، تبع تفجير هذه العربات تقدم سريع لتشكيلات المغاوير وإحدى وحدات التسلل(102). لم يعدّل التنظيم خطة المعركة الهجومية التي نفّذها ضد الفرقة 17 كثيرًا، على الرغم من توافر القوتين البشرية والنارية. لكن الخطة المكررة نجحت على أي حال. وحينما بدا النصر الواضح لوحدات التنظيم على اللواء 93، قُتل ما يقدر بـ 36 جنديًا نظاميًا و15 من مقاتلي تنظيم الدولة في المعركة(103). واستولى التنظيم على أكثر من 12 دبابة تي-55 وأكثر من عشر قطع مدفعية من عيار 130 ملم(104).

بات مطار الطبقة العسكري الهدف التالي والأخير لتنفيذ الخطة الاستراتيجية لاحتلال محافظة الرقة. والمطار هو القاعدة الجوية الوحيدة لقوات النظام في الرقة وآخر معقل لها في المحافظة. تبلغ مساحة القاعدة نحو ثمانية أميال مربعة، بالقرب من مدينة الطبقة، مع مرافق تشمل ملاجئ

---

(101) ضابط سابق في الجيش السوري؛ قائد سابق في الجيش السوري الحر في الرقة، مقابلة شخصية، إسطنبول، 9/ 10/ 2016.

(102) ضابط سابق في الجيش السوري؛ قائد سابق في الجيش السوري الحر في الرقة، مقابلة شخصية، إسطنبول، 9/ 10/ 2016.

(103) "'داعش' يسيطر على اللواء 93 بريف الرقة"، **الجزيرة نت**، 7/ 8/ 2014، شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3hCKV6R؛ "سوريا: تنظيم الدولة الإسلامية يسيطر على مقر اللواء 93"، المرصد السوري لحقوق الإنسان، 8/ 8/ 2014، شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3ve8mrr

(104) "Jihadists Capture Key Base from Syrian Army," *The Daily Star*, 8/8/2014, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/3eeSkp3;

"ناشطون سوريون: 'داعش' تقتحم مقر اللواء 93 للجيش بالرقة وعشرات القتلى بصفوف الجنود"، **سي إن إن بالعربية**، 7/ 8/ 2014، شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://cnn.it/2xjPSwZ؛ "تنظيم الدولة الإسلامية يسيطر على اللواء 93 بالرقة بسوريا"، يوتيوب، 7/ 8/ 2014، شوهد في 26/ 3/ 2020، في: https://bit.ly/3a2vzRO

للطائرات ومخازن عتاد تتسع لـ 55 طائرة في أقصى حد[105]. في 10 آب/ أغسطس 2014، بدأ نحو 500 مقاتل من تنظيم الدولة بمناوشات مع القاعدة الجوية التي حوصر فيها على نحوٍ فوضوي ومتقطع أكثر من 1000 جندي وضابط[106].

اندلع القتال العنيف ما بين 19 و24 آب/ أغسطس 2014. ففي 19 آب/ أغسطس 2014، صعّد تنظيم الدولة هجومه بعربتين مفخختين انتحاريتين في مقدمته، أعقبهما تقدم تشكيلات عدة من المغاوير والانغماسيين، كل منها بحجم فصيلة صغيرة[107]. ووقع على الأقل تفجيران باستخدام سترتين انتحاريتين خلال ذلك الهجوم، لكن محاولة الاختراق باءت بالفشل[108]. نبّه هذا التصعيد من جديد كلًّا من نظام الأسد والقوى الدولية إلى خطورة الوضع. وفي الأيام الأربعة التالية، شنّت قوات النظام هجومًا مضادًّا بـ 15 غارة جوية على مواقع تنظيم الدولة[109]. وزُعم أن قوات النظام تلقت المساعدة من الاستخبارات الأميركية بشأن مواقع تنظيم الدولة. قال ضابط سوري سابق، شارك في القتال ضد تنظيم الدولة: "مرر الأميركيون الإحداثيات إلى المؤسسات الأمنية العراقية والروسية"[110]. وتمكّنت وحدات تنظيم الدولة، بعد ثلاث محاولات تسلل فاشلة أخرى، من تحقيق الاختراق بعد هجوم خامس تقدّمته عربة مفخخة انتحارية. ونجحت الوحدات في اختراق القاعدة الجوية أول مرة في وقت

(105) "أربع معلومات عن مطار الطبقة العسكري في الرقة"، عنب بلدي، 27/ 3/ 2017، شوهد في 14/ 4/ 2020، في: https://bit.ly/2RDkiB3

(106) تُقدّر مصادر مقرّبة من النظام الرقم بنحو 1400 ضابط وجندي. ينظر: "عسكريون يكشفون حقائق جديدة عن سقوط مطار الطبقة ويؤكدون وجود تنسيق بين النظام و'تنظيم الدولة'"، **السورية**، 27/ 2/ 2016، شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3gnmtVD؛ "أربع معلومات عن مطار الطبقة العسكري في الرقة".

(107) أ. و، 9/ 10/ 2016؛ ضابط سابق في الجيش السوري.

(108) المرجع نفسه.

(109) المرجع نفسه.

(110) ضابط سابق في الجيش السوري؛ ينظر أيضًا:
"US Gives Syria Intelligence on jihadists: Sources," *The Daily Star* (Lebanon), 26/8/2014, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/2wGuiCo

متأخر من ليلة 23 آب/ أغسطس 2014، وكان ذلك أساسًا عبر الاستخدام المتتالي للعربات المفخخة الانتحارية وتشكيلات الانغماسيين[111]. وقع ما لا يقل عن 14 تفجيرًا، باستخدام سترات ناسفة انتحارية وعربات مفخخة انتحارية، خلال المعركة التي استمرت أربعة أيام[112]. وبحلول نهاية 24 آب/ أغسطس 2014، بات تنظيم الدولة في وضعية المنتصر في معركة قاعدة الطبقة الجوية، وكذلك في معركة محافظة الرقة[113].

3- دفاعات مبتكرة وهجمات مضادة: صمود تنظيم الدولة في الرقة

نُفِّذت محاولات عدة لاستعادة محافظة الرقة، قبل العملية التي قادها التحالف الدولي لتحرير المحافظة في تشرين الثاني/ نوفمبر 2016. شملت هذه المحاولات حملة حزيران/ يونيو 2016 الفاشلة لقوات النظام المعروفة باسم "إلى الرقة". جاءت الحملة في توقيت جيد، تزامن مع حملة أخرى هدفت إلى تحرير بلدة منبج والمناطق المحيطة بها من قبضة تنظيم الدولة، نفّذتها قوات التحالف وقوات سوريا الديمقراطية "قسد" (بين أيار/ مايو وآب/ أغسطس 2016). لكنّ تنظيم الدولة فاجأ الجميع، واستطاع القتال على جبهتين مختلفتين في شمال حلب ووسط الرقة وجنوبها، بقوى بشرية محدودة. انتهت حملة النظام نهاية كارثية، على الرغم من التوقيت الجيد والعوامل المفيدة الأخرى، وانتصر في نتيجتها تنظيم الدولة في الرقة.

أظهرت الحملة نقاط ضعف عدة في قوات الأسد؛ فقد عانى الجيش النظامي مزيجًا من الإنهاك، وضعف الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع، ومحدودية التنسيق المشترك بين مختلف تشكيلات الأسلحة، وعدم القدرة

---

(111) "التنظيم يحسم معركة مطار الطبقة، والنظام يقر بخسارته، والصدمة تلجم المؤيدين"، زمان الوصل، 24/ 11/ 2014، شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3b7MG6f

(112) المرجع نفسه؛ أ. و؛ ضابط سابق في الجيش السوري.

(113) Sylvia Westall, "Hundreds Dead as Islamic State seizes Syrian Air Base: Monitor," *Reuters*, 24/8/2014, accessed on 21/8/2021, at: https://reut.rs/3a9c8qD;

وسيم نصر، "تداعيات سقوط مطار الطبقة العسكري بقبضة تنظيم الدولة الإسلامية"، فرانس 24، 29/ 8/ 2014، شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2V5EJZu

على شنّ الهجوم المضاد أو الارتجال، والتشظّي السريع لوحداته تحت وقع الهجمات المضادة العنيفة لتنظيم الدولة. كان التنظيم في وضع أفضل قليلًا نسبيًا في كل العوامل المذكورة، على الرغم من أنه أضعف في مجالات عدة أخرى، أبرزها القوة البشرية والقوة النارية والقوة الجوية والدفاع الجوي والدعم الشعبي وعدم وجود رعاية مباشرة من إحدى الدول. لكنّ حملة "إلى الرقة" كانت مفيدة على أي حال، حتى بفشلها؛ فالأسابيع الثلاثة من القتال، في حزيران/ يونيو 2016، عرّت تنظيم الدولة في ولاية الرقة، وكشفت النقاب عن بعض ابتكاراته التكتيكية وخططه العملياتية الدفاعية.

انطلقت عملية ناجحة نسبيًا بقيادة التحالف لتحرير محافظة الرقة في 6 تشرين الثاني/نوفمبر 2016 في بلدة عين عيسى، بالقرب من القاعدة العسكرية للواء 93. ولم تصل العملية إلى مدينة الرقة، على بعد 30 ميلًا فقط، إلّا بعد سبعة أشهر، في حزيران/ يونيو 2017. كانت معركة انتزاع مدينة الرقة من تنظيم الدولة المرحلة الأخيرة من حملة أكبر، أطلق عليها اسم "عملية غضب الفرات"، وكان هدفها الاستراتيجي عزل المدينة وتحريرها بعد الاستيلاء على المحافظة كلها وانتزاعها من قبضة تنظيم الدولة. قادت الولايات المتحدة الأميركية وحلفاؤها الغربيون الضربات الجوية والدعم الاستراتيجي والتخطيط للحملة، التي قادتها على الأرض القوات البرية المؤلفة أساسًا من تحالف 18 تشكيلًا مسلحًا دون الدولة، بقيادة وحدات حماية الشعب[114]، وهو تحالف قسد[115].

(114) ميليشيات مشاة بدأت خفيفة التسليح في سورية، مكوّنة من عناصر كردية سورية وعناصر كردية غير سورية وبعض المتطوعين الأجانب. بدأت جناحًا مسلحًا لـ "اللجنة الكردية العليا" المكوّنة من حزب الاتحاد الديمقراطي والمجلس الوطني الكردي في عام 2011، على الرغم من أنه يمكن العودة بأصولها وأسلافها إلى حراك القامشلي في عام 2004 وما قبلها. أصبحت وحدات حماية الشعب تدريجيًا واحدة من أكثر الجهات العسكرية فاعلية في شمال شرق سورية.

(115) الفاعلون المسلحون دون الدولة الذين قاتلوا تنظيم الدولة في الرقة هم مقاتلو كلٍّ من: وحدات حماية الشعب، وحدات حماية المرأة، جيش الثوار، الجبهة الكردية، لواء الشمال الديمقراطي، قوات العشائر، لواء فدائيي حمص، صقور الرقة، لواء التحرير، لواء السلاجقة، قوات الصناديد، المجلس العسكري السرياني، مجلس منبج العسكري، مجلس دير الزور العسكري، قوات النخبة، قوات الدفاع الذاتي، الوحدات المسلحة المرتبطة بمجلس الرقة المدني، ومجلس سورية الديمقراطية.

شملت خطة القتال الأولية للتحالف مرحلتين: الاستيلاء على البلدات والقرى المحيطة بمدينة الرقة، ثم التقدم نحو المدينة من ثلاث جبهات (شمال/ شمال شرق، وجنوب شرق، وغرب). طبّق تنظيم الدولة مزيجًا من التكتيكات المبتكرة والتبديلات الاستراتيجية في مناورات متواصلة وهجمات مضادة لا هوادة فيها؛ ما أدّى إلى تأخيرات وتغييرات في خطة المعركة، فأصبحت خطة من خمس مراحل، وامتدت أربعة أشهر وأسبوعين (بين 6 حزيران/ يونيو و20 تشرين الأول/ أكتوبر 2017). وبسبب المأزق الدامي في وسط المدينة، تضمّنت نتيجة المعركة الحضرية تسوية مفاجئة للمراقبين، جرى التوصل إليها بحلول منتصف تشرين الأول/ أكتوبر 2017، سمحت بموجبها لمئات (وربما الآلاف) من مقاتلي تنظيم الدولة وأفراد أسرهم والموالين لهم بمغادرة المدينة بأسلحتهم وذخيرتهم[116].

بحلول 24 حزيران/ يونيو 2017، باتت مدينة الرقة محاصرة كليًّا من مقاتلي قسد وقوات التحالف. كان تنظيم الدولة في موقف دفاعي والتفوق العددي لغير مصلحته، بنسبة 10 إلى 1، على الأقل[117]. وتمكّنت قسد وحلفاؤها من حشد أكثر من 35,000 جندي ومقاتل من 18 تنظيمًا مسلحًا يعمل في الرقة والمحافظات المجاورة[118]. كان كثير من المقاتلين ينتمون إلى "وحدات حماية الشعب" و"وحدات حماية المرأة" التي يهيمن عليها ناشطون انفصاليون أكراد[119]، وشاركت أيضًا الوحدات العربية، وأعضاؤها هم أساسًا

---

(116) Quentin Sommerville & Riam Dalati, "Raqqa's Dirty Secret," *BBC News*, 13/11/2017, accessed on 21/8/2021, at: https://bbc.in/3ae0meI; Dominic Evans & Orhan Coskun, "Defector Says Thousands of Islamic State Fighters Left Raqqa in Secret Deal," *Reuters*, 7/12/2017, accessed on 21/8/2021, at: https://reut.rs/2XAzm6q

(117) تشير التقديرات بشأن مقاتلي تنظيم الدولة في الرقة إلى أن عددهم كان في حدود 4000 مقاتل. وراوحت التقديرات بشأن قوات سوريا الديمقراطية وقوات التحالف في الرقة وحولها بين 40 و50 ألفًا. للاطلاع على مزيد من التقديرات، ينظر:
Joseph V. Micallef, "Sitrep Raqqa: The Geopolitics of Eastern Syria," *Military.Com*, 26/6/2017, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/34BMvNK; Tim Lister, "Battle for Raqqa: Seven Things you Need to Know," *CNN*, 6/6/2017, accessed on 21/8/2021, at: https://cnn.it/34KV1uh

(118) Ibid.

(119) "وحدات حماية المرأة"، لواء قوامه من النساء الكرديات المقاتلات، يتبع وحدات حماية الشعب، شُكّلت في عام 2012، وكان لها دور قتالي في تحرير الرقة من تنظيم الدولة.

من مقاتلي العشائر مثل قوات الصناديد (عشائر من قبيلة شمر)، وقوات النخبة (عشائر من قبيلة الشعيطات). كما ضمّت القوات المحررة في الرقة وحدات من الجيوش الأميركية والغربية، يُقدّر عدد أفرادها بما بين 3000 و5000 جندي[120]، من بينهم 500 جندي من القوات الخاصة الأميركية الذين شاركوا في القتال البري[121]، إضافة إلى وحدات من القوات الخاصة البريطانية والفرنسية والألمانية، والمستشارين العسكريين، والدعم الجوي القريب، ويعمل جميعهم كشركاء في قوة المهام المشتركة-عملية العزم الصلب. أطلقت كتيبة المدفعية الأميركية في أثناء الحملة أكثر من 40,000 قذيفة (منها 34033 قذيفة ثقيلة عيار 155 ملم). وللاستناد إلى نقطة مرجعية مقارنة، فإن هذا الرقم أكبر مما أُطلق من القذائف خلال عملية غزو العراق في عام 2003 كلها[122].

طوال حزيران/يونيو 2017 - الشهر الأول من المعركة - شنّت القوات الجوية الأميركية غارات عنيفة على مواقع تنظيم الدولة في مدينة الرقة. وتُظهر البيانات الرسمية للقيادة المركزية الأميركية رقمًا قياسيًا، بلغ 644 غارة جوية وعمليات قصف مدفعي في محافظة الرقة، استهدفت 1475 هدفًا[123]. وإجمالًا، أُطلق أكثر من 4400 قذيفة جوية لتقويض وتدمير مواقع تنظيم الدولة في الرقة، في 30 يومًا من حزيران/يونيو 2017. لم تستطع أنظمة الدفاع الجوي المحدودة التي يمتلكها التنظيم الردّ. وتحت وقع الضربات الجوية، هاجمت قسد من الشمال (مستهدفة مقر الفرقة 17) والشمال الغربي (حي الأندلس) والجنوب الشرقي (حي المشلب) والغرب (ضاحية الصباحية). وفي حزيران/يونيو 2017، نجح تنظيم الدولة في الدفاع عن معظم أجزاء هذه

(120) Micallef.

(121) Ibid.

(122) Shawn Snow, "These Marines in Syria Fired More Artillery than any Battalion Since Vietnam," *Marine Corps Time*, 6/2/2018, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/2ybszW0; Todd South, "3rd Cavalry Regiment Soldiers are Firing Intense Artillery Missions into Syria with Iraqi, French Allies," *Army Times*, 11/12/2018, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/3cmZyWl

(123) Alex Hopkins, International Airstrikes and Civilian Casualty Claims in Iraq and Syria, *Reports*, Airwars (July 2017), accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/2wCq7HE

الأحياء، أساسًا عبر أسلوبه في استخدام "الأسلحة المشتركة": العبوات الناسفة، والعربات المفخخة/ الانتحارية، وتكتيكات القنص والأنفاق المكثفة وهجمات المُسيّرات، كما هو مفصل أدناه. وحينما تمكّنت قسد من الاستيلاء على أجزاء من الفرقة 17 وحي المشلب، بحلول 8 حزيران/ يونيو 2017، ردّت تشكيلات المغاوير والانغماسيين التابعة للتنظيم بقوة واستعادت السيطرة عليها. وبحلول 10 حزيران/ يونيو 2017، تمكّنت قسد من التقدم في الضواحي الغربية، الرومانية وحي الصباحية، على الرغم من تفجير ما لا يقل عن عربتين مفخختين انتحاريتين يقودهما مقاتلان أجنبيان إماراتيان (أبو فراس وأبو عوف)، وفشل هجوم مضاد شنّته ثلاثة تشكيلات من الانغماسيين، كل منها بحجم فصيلة[124]. وبحلول منتصف حزيران/ يونيو 2017، اندلعت معارك حضرية عنيفة في كل أحياء الرقة، بما في ذلك في وسط المدينة، الشديد التحصين، حيث تركزت نخبة مقاتلي تنظيم الدولة وتشكيلات القناصة[125]. وبحلول نهاية حزيران/ يونيو، شنّت وحدات التنظيم هجمات مضادة في كل الأحياء التي خسرتها. كانت نتائج هذه الهجمات المضادة مختلطة. فشلت في المشلب والبتاني شرقًا، والقادسية والرومانية والصباحية غربًا. لكنّ التنظيم نجح في الدفاع عن وسط المدينة وكل الأحياء الشمالية تقريبًا. أنهى التنظيم الشهر الأول من المعركة، باستعادة أجزاء من حي الصناعة في جنوب شرق المدينة، عبر هجوم مضاد بموجة من العربات المفخخة الانتحارية.

خلال تموز/ يوليو وآب/ أغسطس، لم تختلف كثيرًا التكتيكات التي استخدمتها الأطراف المتحاربة عن حزيران/ يونيو. لكنّ تنظيم الدولة اعتمد بدرجة أقل على ضربات المُسيّرات، وبدرجة أكثر على شبكة الأنفاق التي كان يحفرها ويُطوّرها منذ كانون الثاني/ يناير 2015[126]. استخدم التنظيم هذه

---

(124) للاطلاع على التفصيلات، ينظر: ولاية الرقة، "الانغماسيون وعمليات الاستشهاد"، النبأ، العدد 86 (27 رمضان 1438هـ [22/ 6/ 2017])، ص 6.

(125) المرجع نفسه؛ جلال س، مقاتل سابق في قوات سوريا الديمقراطية، مقابلة عبر سكايب، كانون الأول/ ديسمبر 2018.

(126) "تنظيم الدولة يحفر مقرات تحت الأرض ليتجنّب الغارات الجوية في الرقة"، **سوريا على طول**، 5/ 10/ 2015، شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3bEMY6F

الشبكات ضد وحدات قسد في حي البتاني (في وقت مبكّر من حزيران/ يونيو 2017) وفي المدينة القديمة وحي هشام بن عبد الملك ونزلة شحادة(127). وكثيرًا ما ظنّت وحدات قسد أنها قامت بتأمين هذا الحي أو ذاك، لتفاجأ بظهور تشكيلات المغاوير والانغماسيين من وراء خطوطها عبر الأنفاق. حدث هذا أكثر من عشر مرات، بين حزيران/ يونيو وآب/ أغسطس 2017(128). وإجمالًا، لم تكن نتائج المعركة في تموز/ يوليو وآب/ أغسطس مختلفة كثيرًا عما جرى في حزيران/ يونيو؛ إذ على الرغم من التقدم البطيء لوحدات قسد تحت وقع ضربات دقيقة أميركية في جنوب مدينة الرقة وشرقها وغربها، فإن هذه القوات وتنظيم الدولة استمرا في تبادل السيطرة على أحياء عدة، منها أجزاء من المدينة القديمة (في المركز)، والبريد (شرق المركز)، وهشام بن عبد الملك (جنوب شرق المركز). لكن بحلول نهاية آب/ أغسطس، كان تنظيم الدولة قد خسر تقريبًا الأحياء والضواحي الجنوبية للرقة كلها.

في أيلول/ سبتمبر، كانت وحدات قسد تتقدم ببطء، لكن بثبات في البلدة القديمة، وعامة، بالقرب من جنوب مركز المدينة. شمل التقدم حي الثكنة المحصن بشدة بالعبوات الناسفة. حظي تقدم هذه القوات في هذه المناطق بدعم جوي قريب، بمشاركة عدد من طائرات الهليكوبتر الهجومية الأميركية أي إتش-64 أباتشي (AH-64 Apaches). في أوائل أيلول/ سبتمبر، بات واضحًا أن تنظيم الدولة فقد هياكل القيادة والسيطرة(129)، فكان مقاتلو ولاية

(127) جلال س. ينظر أيضًا: "بعد تباطؤ معركة الرقة الكبرى ... تنظيم الدولة الإسلامية يتبع تكتيك الأنفاق ويُحاصر مجموعة من مقاتلي قوات عملية غضب الفرات"، المرصد السوري لحقوق الإنسان، 18/ 6/ 2017، شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3b8V6Kw

(128) جلال س؛ سعد ك، مقاتل سابق في قوات سوريا الديمقراطية، مقابلة عبر سكايب، كانون الثاني/ يناير 2019.

(129) ليس من الواضح للمؤلف متى انهارت هياكل القيادة والسيطرة لتنظيم الدولة في ولاية الرقة، لكن كان واضحًا أن هذه الهياكل قد انهارت بحلول أوائل أيلول/ سبتمبر 2017، حيث كانت وحدات التنظيم في الرقة تقاتل بشراسة، من دون أي تنسيق ذي فاعلية عسكرية. وبدأ بعض هذه الوحدات التفاوض على ممر آمن لعناصره. واستمر بعضها الآخر في القتال حتى نهاية المعركة، أو استسلم من دون مفاوضات.

الرقة يعملون كوحدات مستقلة في أحياء مختلفة من المدينة، لكنهم ما زالوا قادرين على شن تكتيكات "الأسلحة المشتركة". كذلك واصلت وحدات من تشكيلات الانغماسيين استخدام الأنفاق الخفية التي قادتهم إلى ما وراء خطوط وحدات قسد، متنكرين في زي المدنيين، أو في زي مقاتلي هذه القوات. ولذلك كانت هذه القوات غاية في التسرّع حين أعلنت النصر في الرقة في 22 أيلول/ سبتمبر 2017[130]. ففي 26 أيلول/ سبتمبر 2017، بعد أربعة أيام من ذلك الإعلان، نجح تشكيل من الانغماسيين، بحجم فصيلة، تابع لتنظيم الدولة ومتنكر في زي وحدات حماية الشعب من التسلل إلى مواقعها، بالقرب من الرميلة (شمال شرق)، وتمكّن من قتل ما لا يقل عن 28 عنصرًا منها[131]. وفي الأسبوع نفسه، تمكّنت وحدات التنظيم من شنّ هجمات مضادة في ثلاثة أحياء في جنوب شرق المدينة (المشلب، والصناعة، والبتاني) سبق أن حررتها وحدات قسد[132].

استمرت معركة الرقة حتى تشرين الأول/ أكتوبر، ولا سيما في وسط المدينة. ومن ثمّ، خلافًا للمتوقع، تمّ التوصل إلى تسوية أثارت الذهول. فقد دارت معركة شرسة في مثلث وسط المدينة، المستشفى الوطني والملعب ودوار النعيم؛ هذا الدوّار الذي أُطلق عليه اسم "دوّار الجحيم" بسبب اشتداد القتال هناك[133]. تمكّنت وحدات التنظيم من السيطرة على المواقع الثلاثة، إضافة إلى منطقة صوامع الحبوب (شمال مركز مدينة الرقة وجنوب مقر الفرقة 17). وفي

(130) "Al-Raqqah City is Free of ISIS," Syrian Observatory for Human Rights, 21/9/2017, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/2VvSXSF; "Islamic State Faces Endgame in Raqqa, says SDF," *Middle East Eye*, 20/9/2017, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/3eh3s4R

(131) Wladimir van Wilgenburg, "Raqqa in Ruins: Brutal Fight against IS Leaves City Destroyed," *Middle East Eye*, 28/9/2017, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/3ci67ZY; Wladimir Van Wilgenburg, "Raqqa: IS Sows Chaos as Suicide and Tunnel Attacks Blur Frontlines," *Middle East Eye*, 4/8/2017, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/3ektFzu

(132) "'ولاية الرقة'، 120 سقطوا في هجوم واسع النطاق"، النبأ، العدد 99 (8 محرم 1439هـ [29/ 9/ 2017])، ص 14.

(133) لم تغب عن بال مقاتلي قوات سوريا الديمقراطية المفارقة المريرة المثيرة للسخرية عند المقابلة بين النعيم والجحيم.

وقت سابق من تموز/يوليو 2017، صرح قائد قوة المهام المشتركة – عملية العزم الصلب، الفريق ستيفن تاونسند، بأن لدى وحدات تنظيم الدولة في الرقة خيارين فقط: "الاستسلام أو القتل"(134). ومنحت ولاية الرقة خيارًا واحدًا لوحدات قسد والتحالف، ورد في عنوان بيانٍ نشر في العدد 84 من نشرة النبأ الإخبارية، في 8 حَزيران/يونيو 2017: "نبيد المشركين أو نموت: لا يوجد خيار ثالث"(135). لكن بدلًا من ذلك، تعيّن على كل من تنظيم الدولة ووحدات قسد التفاوض. وكان هذا جزئيًا بسبب الإرهاق والتعب من الحرب وسعيًا لتجنّب المزيد من الخسائر بين مقاتليهما. وكان أيضًا بسبب الطريقة التي حارب بها تنظيم الدولة – مزيج من التكتيكات المبتكرة و"الأسلحة المشتركة" والتبديل الاستراتيجي والهجمات المضادة الشرسة والعنيدة والفاعلية القتالية النسبية في سياق بدا فيه النصر الاستراتيجي بعيد المنال(136).

في 15 تشرين الأول/أكتوبر 2017، سُمح لمقاتلي تنظيم الدولة في ولاية الرقة، ومعهم أسلحتهم وذخائرهم وأفرادُ عائلاتهم والموالون لهم، بالانسحاب من دوار النعيم والمنطقة المحيطة به، في قافلة طولها أربعة أميال، مؤلفة من حوالى 50 شاحنة و13 حافلة وأكثر من 100 مركبة تابعة للتنظيم(137). ولا يزال العدد الفعلي لمقاتلي التنظيم في القافلة محل سجال، وتتفاوت التقديرات حوله على نحوٍ لافت. ضمّت القافلة، بحسب وحدات قسد، أقل من 300

---

(134) Stephen J. Townsend, "Remarks by General Townsend in a Media Availability in Baghdad, Iraq," US Department of Defense, 11/7/2017, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/2K4Vtd2

(135) ولاية الرقة، "نبيد المشركين أو نموت: لا يوجد خيار ثالث"، النبأ، العدد 84 (13 رمضان 1438هـ [8/ 6/ 2017])، ص 3.

(136) هناك العديد من نظريات المؤامرة حول هذا الحادث، منها أن القوات الأميركية تعاونت مع تنظيم الدولة، وأن قوات سوريا الديمقراطية تلاعبت بوحدات التنظيم لمصلحتها. لكن ليس لأي من نظريات المؤامرة هذه كثير من الصدقية؛ ففي نهاية الأمر، وحدات قسد هي مجرد تحالف غير مركزي من عدد من الميليشيات، أنهكتها الحرب وأدمتها على نحو خطر بعد نحو عام من القتال في محافظة الرقة، وأربعة أشهر من القتال في مدينة الرقة. وجاءت التسوية لتكون وسيلة لتجنب التمرد ومزيد من الانشقاقات بين صفوفها.

(137) Sommerville & Dalati.

مقاتل من التنظيم[138]، في حين ذكر أحد المنشقين عن وحدات حماية الشعب، ومراقبون آخرون، أنها ضمّت أكثر من 3000 مقاتل من التنظيم[139]. وبعد خمسة أيام، في 20 تشرين الأول/ أكتوبر 2017، أعلنت وحدات قسد رسميًا انتصارها في مدينة الرقة[140]. وفي أثناء الاحتفال، رفع مقاتلو وحدات حماية الشعب ووحدات حماية المرأة صورة ضخمة لعبد الله أوجلان، مؤسس حزب العمال الكردستاني وقائده الكاريزمي التاريخي، في دوار النعيم وسط مدينة الرقة[141].

رابعًا: كيف يقاتل "داعش"/ تنظيم الدولة في سورية؟ تحليل جبهات القتال

حقق "داعش"/ تنظيم الدولة الكثير من "الانتصارات" العسكرية المفاجئة في سورية، ولا سيما في الرقة، كما تقدّم ذكره. فعلى غرار العراق، أفضت تكتيكاته المبتكرة وفاعليته القتالية الشاملة إلى انتصارات عملياتية مفاجئة على المدى القصير إلى المتوسط. يُحلّل هذا المبحث بعض الأنماط التكتيكية والعملياتية التي استخدمها "داعش"/ تنظيم الدولة في سورية. ويستند إلى بيانات كمية ومسح نوعي لتفصيلات عمليات التنظيم في الرقة ودير الزور ومحافظات سورية أخرى بين أواخر عام 2013 وأوائل عام 2020.

---

(138) Ibid.

(139) Evans & Coskun; Tom O'Connor, "US Made Secret Deal with ISIS to Let Thousands of Fighters Flee Raqqa to Battle Assad in Syria, Former Ally Says," *Newsweek*, 12/8/2017, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/2yTWLoU;

أدلى المنشق عن وحدات حماية الشعب، الذي قوبل في الحوار، بسلسلة من المزاعم التي ثبت أنها غير دقيقة. وأدلى بمزاعم أخرى هي مجرد دعاية بهدف تشويه سمعة قوات سوريا الديمقراطية ووحدات حماية الشعب وإنكار جهودهما في محاربة تنظيم الدولة. ومن ثمّ، من المرجح أن يكون الرقم "3000" مبالغًا فيه. وأمّا تقدير 342 مقاتلًا والآلاف من أفراد عائلات التنظيم، فقد قدّمه مراقبون آخرون (لم يشاركوا في القتال).

(140) حدث ذلك بعد الاستيلاء على الدوّار والمستشفى الوطني والملعب البلدي، آخر ثلاثة معاقل لتنظيم الدولة.

(141) "Kurdish Fighters Raise Flag of PKK Leader in Centre of Raqqa," *Middle East Eye*, 20/10/2017, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/2XxmSw7

1 - جبهات الرقة

قدمت المعارك الهجومية والدفاعية في محافظة الرقة تبصّرات فريدة بشأن كيفية تطوير تنظيم الدولة أساليبه القتالية في المناطق الحضرية والريفية. ففي الفترة التي سبقت نيسان/ أبريل 2013، قبل تأسيس "داعش"، قاتلت دولة العراق الإسلامية/ جبهة النصرة في إطار تحالف، بغية السيطرة على مدينة الرقة. لم تكن تنظيمات الثوار السوريين على علم بخطة القتال المستقبلية للدولة الإسلامية في العراق (أو حتى على علم بوجودها فيما بينهم، نظرًا إلى نفي جبهة النصرة تبعيتها لها). وبعد نيسان/ أبريل 2013، استخدم "داعش" مزيجًا من الإرهاب الحضري وتكتيكات حرب الغوار، بهدف "إثخان" التنظيمات المسلحة الأخرى ثم "الزحف" على أراضيها. وعمل على تصفية تنظيمات مسلحة أخرى وناشطين قياديين وتعزيز قواته في مدينة الرقة. تبع ذلك هجمات على مراكز القوة التابعة لنظام الأسد في محافظة الرقة. وعلى غرار العراق، استخدمت دولة العراق الإسلامية/ "داعش" على مستوى العمليات في سورية طريقة عمل (SCCLC) المكوّنة من ثلاث مراحل (الإثخان - الزحف، وبناء التحالف، والتصفية - التمكين)[142]. وكان الهدف هو احتلال مدينة الرقة، من خلال طريقة العمل هذه، بين نيسان/ أبريل وأيلول/ سبتمبر 2013. وهي تقريبًا طريقة العمل نفسها التي استُخدمت بنجاح في الفلوجة (كانون الثاني/ يناير 2014)، والموصل (حزيران/ يونيو 2014)؛ وبلا نجاح في الرمادي (تشرين الأول/ أكتوبر 2014)، ودرنة (استخدمها مجلس شورى شباب الإسلام قبل تشرين الثاني/ نوفمبر 2014 وبعد ذلك تنظيم الدولة).

في معارك البقاء والصمود في محافظة الرقة (بين 6 تشرين الثاني/ نوفمبر 2016 و20 تشرين الأول/ أكتوبر 2017)، اعتمد تنظيم الدولة أساسًا وأبلغ عن 14 فئة من التكتيكات الموضحة في الجدول (3-1)[143].

---

(142) تُنطق "Skulls". راجع الفصل السابق بشأن جبهات القتال العراقية.

(143) استخدم تنظيم الدولة تكتيكات أخرى، بما في ذلك عربات القتال المدرعة، لكنها كانت محدودة نسبيًا، وفي كثير من الأحيان ما عاد يعتمد عليها، ولم ترد في وسائل إعلامه.

الجدول (3-1)

التكتيكات التي استخدمها تنظيم الدولة في محافظة الرقة

(تشرين الثاني/ نوفمبر 2016 - تشرين الأول/ أكتوبر 2017)

فئة التكتيكات	مرات الاستخدام
عبوات ناسفة ثابتة	362
أنواع من العربات المفخخة الانتحارية	224
صواريخ غير موجّهة	131
تشكيلات مغاوير انتحارية (انغماسيون)	105
قناصة	90
تشكيلات مغاوير	72
مدفعية	54
صواريخ مضادة للدروع	41
أنظمة دفاع جوي محمولة	21
مدافع آلية مضادة للطائرات	17
أنفاق	17
تنويعات من العربات المفخخة	14
اغتيالات عن قرب	11
المجموع	1159
مُسيّرات	+200

المصدر: من إعداد الباحث، استنادًا إلى قاعدة بيانات "أساليب حرب الدولة الإسلامية" (ISWD-Raqqa17). استُمدت أنواع التكتيكات من نشرة النبأ الإخبارية، الأعداد 54-103، ومن إصدارات الفيديو والتقارير المصوّرة التي غطت جبهات القتال في الرقة. تُعبّر الأرقام عن الاستخدامات المُبلّغ عنها فحسب، أي إن العيّنة تمثيلية، تُظهر نوعية التكتيكات وكميّتها، التي استخدمها التنظيم. وعلى أي حال، فإن كثيرًا من التكتيكات الأخرى لم يبلغ عنه. للاطلاع على تفصيلات تصميم البحث، ينظر: الفصل الأول من هذا الكتاب.

أ- قصف بالنّسف: العربات المفخخة الانتحارية وغيرها من تكتيكات العبوات الناسفة المكثفة

يُعدّ الاعتماد على (أنواع من) العربات المفخخة الانتحارية - سلاح الإرهاب الحضري - واستخدامها سلاحًا تقليديًا في ساحة المعركة السمةَ المميزة لتكتيكات تنظيم الدولة في سورية عمومًا، وخلال معارك الرقة على وجه الخصوص. فقد استخدم التنظيم على نحوٍ فعّال تكتيكات العربات المفخخة الانتحارية والعربات المفخخة المكثّفة، في عمليات الهجوم والهجوم المضاد والدفاع في كل أنحاء سورية. وإجمالًا، استخدم التنظيم في سورية ما لا يقل عن ثمانية أنواع من العربات المفخخة الانتحارية في محافظات الرقة وحلب وحمص ودير الزور:

- عربات مفخخة انتحارية سرّية وخفيفة التصفيح على شاكلة العربات المدنية، لأجل الزحف على الهدف (الأهداف) المحددة.

- عربات مفخخة انتحارية سرّية ومصفحة، وكأنها عربات مدنية عادية، لخداع الاستطلاع الجوي الحليف لوحدات قسد، التابع لقوات التحالف الدولي في أثناء الاقتراب من الأهداف. وكانت هذه العربات مصفحة داخليًا.

- عربات مفخخة انتحارية مموّهة ومصفحة، لها لون البيئات المحيطة بها (سواء أكانت بيئات ريفية أم حضرية أم صحراوية). صُممت أيضًا لخداع وحدات قسد وقوات التحالف في مختلف ميادين القتال في محافظة الرقة.

- عربات مفخخة انتحارية مصفحة من الخارج، استُخدمت في محافظتي الرقة ودير الزور[١٤٤]. استخدمها تنظيم الدولة أساسًا في الخطوط الدفاعية الخارجية المحيطة بضواحي مدينة الرقة. وكما هي الحال في جبهات القتال في الموصل وسرت، كان لهذا النوع من العربات دور فعال في إبطاء تقدم القوات المعادية للتنظيم.

---

(144) سعد الشارع، ناشط سوري، مقابلة شخصية، غازي عنتاب، 11/ 11/ 2018.

وفي فئة المدرعات، أنتج تنظيم الدولة واستخدم تصميمين مبتكرين للعربات المفخخة الانتحارية، خلال معارك محافظتي الرقة ودير الزور:

- عربات مفخخة انتحارية مجهّزة بقاذف صواريخ.

- عربات مفخخة انتحارية مجهزة بمدفع رشاش[145].

يُدير التصميمين مقاتلان انتحاريان، سائق ورام. يقود المقاتل الانتحاري الأول السيارة ويُفجّرها حينما تصل في النهاية إلى الهدف. ويعمل المقاتل الانتحاري الثاني على الرمي وصد نيران العدو المحتملة لزيادة احتمالات الوصول إلى الهدف.

النوعان السابع والثامن من العربات المفخخة الانتحارية المستخدمة في محافظة الرقة[146]:

- عربات - جرافات مفخخة انتحارية.

- عربات - بلدوزرات مفخخة انتحارية.

استُخدم هذان التصميمان ضد الأهداف المحيطة بهياكل دفاعية كبيرة، مثل الحواجز الفولاذية والسواتر الترابية. وهما نُسختان من تصاميم استُخدمت في القتال في أثناء معركة الرمادي (أيار/ مايو 2015)[147].

يجدر هنا ذكر ملاحظتين أخيرتين بشأن العربات المفخخة الانتحارية التي استخدمها تنظيم الدولة في سورية: الملاحظة الأولى، استخدم التنظيم الأنواع المذكورة سابقًا في كل من البيئات الحضرية والريفية، بالتساوي تقريبًا. ففي مدينة الرقة، استُخدم نحو 56 في المئة، أو 126 عربة مفخخة انتحارية، ما أُبلغ

(145) المرجع نفسه؛ أبو رجب.

(146) الشارع؛ أبو رجب. كما ورد أنها استُخدِمَت في دير الزور وحلب، وفي الرمادي والموصل في العراق (عمومًا، في محافظتي نينوى والأنبار).

(147) لمزيد من التفصيلات، ينظر: مبحث "جبهة الرمادي: أيار/ مايو 2015 - شباط/ فبراير 2016" في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

عنه وسُجّل في مجموعة البيانات (بين حزيران/ يونيو وتشرين الأول/ أكتوبر 2017)[148]. أما العربات الأخرى، فكانت في أنحاء محافظة الرقة، أي خارج المدينة. وعمل التنظيم على تكييف تكتيكات العربات المفخخة الانتحارية وتعديلها، بغض النظر عن البيئة والميدان والهدف[149].

أما الملاحظة الثانية، فتخص الولع باستخدام العربات المفخخة الانتحارية والفاعلية المرجوّة منها داخل الوحدات القتالية للتنظيم. لقد استخدم التنظيم في المعارك تكتيكات العربات المفخخة الانتحارية/ والمكثفة، حتى حينما لم يكن في حاجة إليها. ففي معركة الفرقة 17، كان التنظيم ينقصه العدد (ومن ثمّ الحاجة إلى قوة بشرية)، ويمتلك أسلحة ثقيلة كافية للهجوم، بما في ذلك عدد من دبابات تي-55 وتي-62 وقطع مدفعية ثقيلة. ومع ذلك، فضّل قادة التنظيم استخدام العربات المفخخة الانتحارية، أو ما يشير إليه الجهاديون السوريون باسم القصف بالنسف[150]. وهذا يعبّر عمّا يشبه "عادة" الاتّكال على العربات المفخخة الانتحارية، حتى مع توافر البدائل.

أمّا من حيث العبوات الناسفة الثابتة، فقد بقيت هذه الفئة من التكتيكات تتصدّر مجموعة البيانات من ناحية الكميات المُبلّغ عنها؛ وهو نمطٌ لوحظ في جبهات القتال الأخرى في العراق وليبيا ومصر وغيرها. يشمل الرقم المذكور

(148) قاعدة بيانات أساليب حرب الدولة الإسلامية (ISWD-الرقة 17). كما هي الحال مع تكتيكات أخرى، ربما لم يُبلّغ عن كثير منها تنظيم الدولة أو وسائل الإعلام أو معارضو التنظيم، أكانوا من الفاعلين المسلحين دون الدولة أم من الفاعلين المسلحين الذين يتبعون دولة.

(149) كما ذكرنا سابقًا، كان توثيق عمليات وأنواع تكتيكات ولايات تنظيم الدولة في العراق ومصر أكثر اتساقًا منه في كثير من ولايات التنظيم في سورية وليبيا. ومن الأمثلة على ذلك الأرقام المقارنة لعدد العربات المفخخة الانتحارية في الموصل والرقة. أصدر التنظيم ما لا يقل عن 160 مقطع فيديو أو صورة تظهر هجمات بهذه العربات في الموصل، مقارنة بأقل من 30 في الرقة.

(150) حمزة المصطفى، "الأداء القتالي لجبهة النصرة في سياق الحرب السورية: التحول من ميليشيا جهادية إلى 'جيش' حكومة الإنقاذ"، ورقة مقدمة في المؤتمر السنوي لوحدة الدراسات الاستراتيجية "ميليشيات وجيوش: تطورات الأداء القتالي والسياسي للحركات والمؤسسات المسلحة"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 22-24/ 2/ 2020.

في الجدول (3-1) الاستخدام المبلَّغ عنه فحسب[151]، ومن ثم، فإن هذا الرقم مجرد عيّنة تمثيلية. لقد ملأ تنظيم الدولة مدينة الرقة بالعبوات الناسفة الثابتة المخفية. وكان نطاق أنواع هذه التكتيكات المستخدمة والمبلّغ عنها واسعًا جدًا. وشمل تفخيخ عبوات ناسفة مخفية تحت الأرضيات مزودة بألواح ضغط حسّاسة للحركة، وعبوات ناسفة مخفية في الأفران والأدراج، وعبوات ناسفة مربوطة بالأقلام والكراسي المكتبية والجثث[152]. "دُرِّب الإرهابيون [مقاتلو تنظيم الدولة] على تفخيخ كل شيء، من الأقلام إلى الجرافات. لقد عانينا بسبب ذلك. نحن لم نتعلم كيفية التعامل مع هذا الأمر في أكاديمية الأسد العسكرية"[153]. هذا ما قاله قائد في الجيش السوري الحر، حارب ضد تنظيم الدولة في كل من الرقة وحلب بعد انشقاقه عن جيش النظام[154]. كذلك، قال المتحدث باسم قوة المهام المشتركة - عملية العزم الصلب، العقيد ريان ديلون، في الشهرين الأولين من معركة الرقة (6 حزيران/ يونيو-3 آب/ أغسطس 2017)، إن أكثر من 80 في المئة من هجمات تنظيم الدولة ضد وحدات قسد في مدينة الرقة، نُفِّذت باستخدام العبوات الناسفة[155]. وفي تشرين الأول/ أكتوبر 2017، صرح ديلون بأن استخدام العبوات الناسفة في معركة الرقة أكثر كثافة من المعارك الأخرى، بما في ذلك معارك الموصل والرمادي والفلوجة[156]. أخيرًا، استخدم التنظيم أيضًا عربات مفخخة متوقفة ومقنّعة في محافظة الرقة، تاركًا وراءه ما لا يقل عن عشر منها في المناطق التي

---

(151) "قاعدة بيانات أساليب حرب الدولة الإسلامية (ISWD-الرقة 17)"، ينظر: مبحث "تصميم البحث"، في الفصل الأول من هذا الكتاب.

(152) أ. و. ينظر أيضًا:

"Fear of Islamic State Suicide Attacks Lingers in Raqqa," *Sky News*, 22/10/2017, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/2K4Hvbm; Alessandro Rota, "From Teddy Bears To Bombs: The IEDs of Isis - in Pictures," *The Guardian*, 29/10/2016, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/3cerPy4

(153) أكاديمية هندسة عسكرية تتبع الجيش السوري، مقرّها في حلب.

(154) قائد في الجيش السوري الحر، مقابلة شخصية، غازي عنتاب، 12/ 11/ 2018.

(155) Ryan Dillon & Eric J. Pahon, "Department of Defense Press Briefing by Colonel Dillon via Teleconference from Baghdad, Iraq," US Department of Defense, 3/8/2017, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/2V5uVyM

(156) Horton.

سيطرت عليها وحدات قسد، قبل تفجيرها بنجاح، أو محاولة تفجيرها والفشل في ذلك.

ب- المغاوير والانغماسيون والقناصة

في جبهات القتال في الرقة، وفي سورية عمومًا، اعتمد تنظيم الدولة كثيرًا على تشكيلات المغاوير والانغماسيين (المغاوير الانتحاريين). أدّت تشكيلات المغاوير دورَ وحدات المشاة الخفيفة، والمشاة الآلية أحيانًا، والمشاة الميكانيكية في حالات نادرة. وأدّت تشكيلات الانغماسيين أدوارًا مماثلة، يمكن مقارنتها بالقوات الخاصة التقليدية أو بقوات الصدم، باستثناء أنها انتحارية (يرتدي أفرادها عادة أحزمة ناسفة أو سترات ناسفة). وفي كل أنحاء سورية، ولا سيما في الرقة ودير الزور، أظهرت تشكيلات المغاوير والانغماسيين مزايا عدة في بعض الأحيان تتعلق بالفاعلية القتالية التكتيكية الملائمة منها التحكم الفعال في النيران، وضبط الرمي (خصوصًا عند استخدام وابل من قذائف آر بي جي غير الموجَّهة) وإطلاق النار ثم المناورة لإعادة التموقع وحقول النيران المتشابكة وتكتيكات مختلفة للدفاع في العمق (وتطويرها حتى الوصول إلى إنشاء نقاط دفاع "قنفذية"[157] في مركز مدينة الرقة).

كان أداء تشكيلات المغاوير والانغماسيين التابعة للتنظيم أفضل في فئات تكتيكات الأسلحة المشتركة غير التقليدية في مدينة الرقة. ولم يكن هذا مجرد التنسيق الشائع في حرب الغوار، من قبيل التنسيق مع المدافع الرشاشة، لخنق النيران الصادرة عن الأهداف، وتمكين وحدات المغاوير الأخرى من الهجوم بالصواريخ وقذائف الهاون. لقد طُوِّرت التكتيكات على نحو إضافي، لتشمل التنسيق بين العربات المفخخة الانتحارية والمُسيّرات وتشكيلات المغاوير والانغماسيين، مقترنة أحيانًا بما يعرف بالعصف الهجومي[158]. وعادةً تستغل

(157) وُضِعَت نقاط دفاع "قنفذية" في وسط مدينة الرقة، بما في ذلك عند دوار النعيم. وأسهمت هذه النقاط في كسر زخم تقدم قوات سوريا الديمقراطية ورفعت تكلفة الاستيلاء على المنطقة إلى مستوى لا تتحمّله هذه القوات؛ ومن هنا بدأت المفاوضات.

(158) يُعرَّف العصف في هذا السياق بأنه "الاشتباك مع الخصم من كل الاتجاهات في وقت واحد، إما بالنار غير المباشرة، وإما بالقوات المباشرة".

وحدات المغاوير والانغماسيين الدمارَ الذي تُحدثه العربات المفخخة الانتحارية التي سبق أن وجّهتها المُسيّرات إلى هدفها (أهدافها). وفي بعض الأحيان، يُمزج بين فئات تكتيكات الأسلحة المشتركة غير التقليدية والعصف: الاشتباك مع وحدات قسد، أو أعداء التنظيم الآخرين من كل الجهات في وقت واحد. ففي كثير من الأحيان، تُقصف جهة أو جهتان بالمدفعية الثقيلة، في حين تتعرّض جهة أخرى لهجوم القنّاصين والمغاوير. وعادة تنسحب الوحدات المهاجمة، أو تُعيد تجميع صفوفها تكتيكيًا في الجهة أو الجهتين الباقيتين. وبعد ذلك، تُهاجم وحدات التنظيم هذه الجهة (الجهات) بوابلٍ من العربات المفخخة الانتحارية، تليها وحدات المغاوير أو الانغماسيين. شوهدت هذه التكتيكات وتكررت خلال عمليات التنظيم في محافظات الرقة ودير الزور والحسكة وحمص وحلب.

أظهرت تشكيلات المغاوير والانغماسيين في الرقة (ودير الزور) أيضًا مستوياتٍ كافية من القدرة على المناورة (مقارنةً ببعض قوات النظام ومعظم قوات الثوار) وبعض الابتكارات في إطلاق النار عن بُعد، ولا سيما في عمليات الدفاع والهجوم المضاد. وبصفة عامة، يقاتل تنظيم الدولة بأحجام صغيرة: بحجم طاقم أو فصيلة صغيرة. وحينما ينفّذ عمليات باستخدام تشكيلات بحجم سرية أو كتيبة، يكون ذلك عادة في أثناء الهجوم. وقد عزّز الحجم الصغير لتشكيلات المغاوير القدرة على المناورة السريعة، بما في ذلك تبديل المواقع في الهجمات المضادة المتواصلة على مجنّبات العدو (مُحدثة الضرر بغض النظر عن احتمالات النجاح). وفي وضعية الدفاع، قاتلت تشكيلات المغاوير أساسًا كوحدات مشاة خفيفة في الرقة ودير الزور؛ إذ كانت عربات التنظيم معرّضة نسبيًا للغارات الجوية لعملية العزم الصلب[159].

لتحييد المدفعية الثقيلة، كانت تشكيلات المغاوير عادة تشتبك مع مقاتلي وحدات قسد في الرقة من مسافات قريبة، أحيانًا باستخدام شبكات الأنفاق

(159) كانت هناك استثناءات بسبب تكتيكات التخفّي والتمويه، وبسبب استخدام الدراجات النارية والدراجات النارية المفخخة و/ أو الانتحارية في تنقل وحدات التنظيم في الرقة أيضًا.

للاقتراب. واتّسمت حركتها بالرشاقة أيضًا، بمدفعيتها الخفيفة، وخصوصًا في الضواحي الجنوبية الشرقية لمدينة الرقة[160]. كانت أطقم مدافع الهاون التابعة للتنظيم تطلق النار، ثم تتحرك بسرعة لتجنّب اكتشافها من وحدات قسد التي كانت ترسل الإحداثيات إلى قوات التحالف للحصول على دعم جوي من علوّ منخفض. ونظرًا إلى التنقل المستمر، طوّقت تشكيلات المغاوير وحدات قسد مرات عدة في كل من مدينة الرقة ومحافظة الرقة[161]. أخيرًا، كما كانت الحال في المعارك الحضرية في الموصل والرمادي وسرت، عُزِّزت القدرة على المناورة لدى تشكيلات المغاوير والانغماسيين بوساطة شبكة واسعة من الثقوب والأنفاق بين المباني وداخلها. وكما في حالات أخرى[162]، تنوّعت أنفاق الرقة، فاقتصر بعضها على أنه ممر بدائي، في حين كان بعضها الآخر غايةً في الإتقان. وفي هذا السياق، قال العقيد ريان ديلون، المتحدث الرسمي باسم عملية العزم الصلب[163]: "يمكنك أن ترى أنفاقًا خرسانية مسلحة تمتد تحت مستشفى الأطفال [في مدينة الرقة]. مدخل النفق مشيّد جيدًا ومزوّد بحواجز (درابزين) وسلالم. وبعد ذلك، حين تنزل إلى النفق، ترى أين يتموضع النفق الرئيس، ثم يتفرّع إلى أنفاق ترابية أقل إتقانًا، تؤدي إلى المنازل والمتاجر القريبة". وأوضح أيضًا أن "لدى "داعش" أسرّة خفيفة ومواقد طهي، كما قام بتخزين أسلحة وذخيرة في هذه المنشآت". وهذا يعني أن شبكة الأنفاق لم تُعزّز قدرات المناورة لتشكيلات المغاوير والانغماسيين فحسب، بل استُخدمت أيضًا كمقرات للتخطيط العملياتي، وقواعد للدعم اللوجستي، ومراكز قيادة وسيطرة، ومستودعات أسلحة.

سعت تشكيلات المغاوير، بغية خفض الخسائر في قوتها البشرية المحدودة، لاستخدام بنادق عديمة الارتداد وبنادق قنص ومدافع رشاشة ثقيلة

(160) جلال س؛ سعد ك.

(161) جلال س؛ سعد ك.

(162) لمزيد من التفصيلات، ينظر: الفصل الثاني حول جبهات القتال في العراق، والفصل الرابع حول جبهات القتال في ليبيا.

(163) Dillon & Pahon.

يتم التحكّم فيها عن بُعد، أقلّه في محافظتي الرقة ودير الزور. وعملت ورش التنظيم في المحافظتين على تعديل الأسلحة حتى تتمكّن تشكيلات عصابات التنظيم من تصويبها وإطلاقها عن بُعد. وقد أُجريت هذه التعديلات باستخدام أجهزة تحكم من أجهزة ألعاب الفيديو المدنية وشاشة تلفزيون متصلة بكاميرا مربوطة بالسلاح[164]. واستخدمت أيضًا أطقم مدافع الهاون التابعة للتنظيم الهواتفَ الذكية وتطبيق غوغل إيرث (Google Earth)، وتطبيقات وأدوات مدنية أخرى لتوجيه طلقة تحديد المدى الأولى (إضافة إلى "تصحيح الرمي" المتباطئ[165] و"الزحف الناري"[166] والتقنيات التقليدية الأخرى). يتضمن هذا عادةً وحدتين أو ثلاث وحدات من مقاتلي التنظيم: طاقم إطلاق النار و/أو مراقب (مراقبين) على الأرض و/أو منتسب (منتسبين) متصلين بتطبيق غوغل إيرث أو تطبيقات مماثلة. بعد طلقة تحديد المدى الأولى، يقوم المراقب أو المنتسب (باستخدام المعلومات التي قدّمها المراقب على الأرض) بإسقاط دبوس على خريطة التطبيق. سيظهر الدبوس على نسخة التطبيق في الهاتف الذكي التي يحتفظ بها طاقم الهاون التابع للتنظيم، ومن ثمّ يستطيع هذا الطاقم بعد ذلك أن يُصوِّب ويُطلق النار على الهدف بصفة أدق[167].

ج- المُسيّرات

استخدم تنظيم الدولة أيضًا المُسيّرات بكثافة في الرقة. ففي الشهر الأول من معركة مدينة الرقة (حزيران/يونيو 2017)، عانى مقاتلو وحدات

---

(164) سعد ك.

(165) إطلاق النار أمام الهدف أو خلفه، ثم تقسيم المسافة الملاحظة حتى يصبح القصف مباشرة على الهدف.

(166) طريقة إطلاق النار بنسق أبطأ نسبيًا، حيث يتم الاقتراب من الهدف مع كل رشقة.

(167) ربما لم يتمكّن التنظيم من استخدام هذا النوع من أنظمة التوجيه في معركة الرقة في عام 2017، بسبب كثرة أجهزة التشويش. لكنّ وحدات تنظيم الدولة استخدمت هذا النظام البسيط في عامي 2014 و2015 في الرقة ودير الزور، وكذلك استخدمته وحدات "داعش" والنصرة في وقت مبكر من عام 2013 في حلب. أ. و؛ أبو قتيبة.

قسد هجومين، في الحد الأدنى، بالمُسيّرات كل يوم[168]. وفي بعض الأيام، تجاوز عددها الـ 15 هجومًا. وكما في الموصل، نفَّذت مُسيّرات التنظيم في محافظة الرقة مهمات منوّعة، يمكن تحديد سبع منها: الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع، ونقل الرسائل، وتحديد الأهداف، والدعاية، وتنسيق الهجمات، وحظر منطقة، والهجمات المباشرة. بالنسبة إلى المهمة الأخيرة، ابتكرت وحدات التنظيم وعدّلت مُسيّرات تجارية، لتمكينها من إلقاء عدد من القنابل الصغيرة في وقت واحد. فكانت مُسيّرات التنظيم تكرر الهجمات على الموقع نفسه طوال ساعات. ففي بعض أحياء مدينة الرقة، حظرت تلك الفئة من التكتيكات وجود قناصين من وحدات قسد في بعض المناطق، مثل المواقع المكشوفة على أسطح المنازل[169]. واستهدفت الهجمات المباشرة بالمُسيّرات التي نفّذها التنظيم في الرقة المواقع المحصنة والوحدات المتنقلة لقسد والأهداف الثابتة.

د- الوحدات المدرعة

كما أوضحنا سابقًا، فضّلت التشكيلات العسكرية لـ"داعش"/ تنظيم الدولة التكتيكات غير التقليدية في ساحات القتال، سواء أكانت تكتيكات إرهاب المدن أم حرب الغوار. وهذا ما تعكسه بوضوح النشرة الإخبارية للتنظيم وإصداراته المرئية والمسموعة وبياناته وإحصاءاته العسكرية. لكن التنظيم استطاع الاستيلاء على عدد كبير من المركبات المدرعة، وربما الأخطر من ذلك أنه عرف، في أحيان كثيرة، كيف يستخدمها قتاليًا. وهذا يتناقض مع التصور الشائع بأن التنظيم غير قادر على التعامل مع المركبات المدرعة التقليدية[170].

امتلك "داعش"/ تنظيم الدولة في سورية دبابات منذ تأسيسه في نيسان/

(168) Mayssa Awad & James Andre, "Exclusive: IS Group's Armoured Drones Attack from the Skies in Battle for Raqqa," *France 24*, 26/6/2017, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/3ba9aDk

(169) Ibid.

(170) Martin Smith, "The Rise of ISIS," *Frontline*, 28/10/2014, accessed on 21/8/2021, at: https://to.pbs.org/2RzfIUm

أبريل 2013. ويرجع ذلك إلى استيلائه على جزء من ترسانة جبهة النصرة التي شملت معدّات ثقيلة خلّفتها القوات السورية النظامية، من بينها الدبابات وعربات المشاة القتالية وناقلات جند مدرعة. ففي وقت مبكر من كانون الثاني/يناير 2014، نشر التنظيم شريط فيديو لرتلٍ من المركبات المدرعة (بما في ذلك دبابات قتال رئيسة ومدافع ذاتية الحركة مصفحة وناقلات جند مصفحة) في شمال حلب. احتوى هذا الرتل على دبابة تي-72 معدلة واحدة (على الأقل). جنّد التنظيم أطقم دبابات وأنشأ وحدات متخصصة لتشغيل المدرعات، مثل فرقة عفان وفرقة الجراح وفرقة العوام[171]. هذه الفرق هي تشكيلات أسلحة - مشتركة، كل منها بحجم سريّة أو كتيبة نظامية، وليس بحجم فرقة نظامية، كما أنها ليست تشكيلات مدرعة حصرًا، كما في القوات النظامية التقليدية. وكان بعضها يعمل تحت وقع الضربات الجوية لعملية العزم الصلب بعد أيلول/ سبتمبر 2014، ويرجع ذلك جزئيًا إلى التحديات اللوجستية التي فرضها التنسيق السريع بين الاستخبارات الأرضية والدعم الجوي من علوٍّ منخفض لاستهداف هذه المدرعات الكبيرة نسبيًا.

هـ- الاستخبارات ونقل البراعات العملية

استثمر "داعش"/ تنظيم الدولة في بناء قدرات الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع داخل هياكله العسكرية والأمنية، كما ذُكر آنفًا. حثّت الدروس المستفادة من التجارب العراقية على هذا الاستثمار، فضلًا عن عوامل أخرى (بما في ذلك خلفية بعض قادة التنظيم الذين كانوا في السابق ضباط استخبارات، عراقيين وغير عراقيين). ففي سورية، كان التنظيم يرسل عادة وحدات صغيرة إلى مناطق أعدائه لرسم خرائط وجمع معلومات استخبارية تتعلق بهياكل القوة والقواعد، وكذلك القوة البشرية والقوة النارية والتسليح والتدريب والروتين اليومي لأعدائه[172]. تُجري هذه الوحدات أيضًا استطلاعًا قريبًا للمواقع المستهدفة، وتحاول التسلل واختراق التنظيمات الأخرى، وتستخدم

(171) سعد ك؛ أبو الحارث، 11/ 11/ 2018.

(172) سعد ك؛ أبو الحارث، 11/ 11/ 2018.

تكتيكات الإخبار الكاذب والأعلام المزيفة، وتُرسل/ تنشر جواسيس[173]. ومع أن هذه القدرات ليست فريدة من نوعها ضمن الفاعلين المسلحين دون الدولة، فقد برع التنظيم في نقل البراعات/ المهارات العملية الخاصة بكل من الابتكارات التكتيكية العسكرية ومهارات الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع بين وحداته و"ولاياته". ففي مقابلة مع مجلة **رومية** التابعة للتنظيم والصادرة باللغة الإنكليزية، سُئل قائد عسكري في الرقة تابع للتنظيم (لم يذكر كنيته أو اسمه الحركي) عن تأثير معركة الموصل في معركة الرقة، فقال إن التكتيكات والتجارب الجديدة في الموصل نُقلت إلى كل "ولايات" تنظيم الدولة، كي "يتمكّنوا من الاستفادة منها"[174]. كان هذا واضحًا في حالة مختلف تصاميم وتكتيكات العربات المفخخة الانتحارية التي استُخدمت في الرقة (وفي سرت، ليبيا) على نحوٍ مشابه جدًا لتلك المستخدمة في الموصل، ومنها التصاميم المموّهة لسيارات الدفع الرباعي المحوَّلة إلى عربات مفخخة انتحارية.

2- ما بعد الرقة: تمرد تنظيم الدولة في سورية

تواصلت خسائر الأراضي والهزائم العسكرية لتنظيم الدولة بعد خسارته محافظة الرقة. ففي محافظة دير الزور المجاورة، قاتل "داعش"/ تنظيم الدولة ضد معظم الفاعلين المسلحين التابعين لدول أو دون الدولة في تلك المحافظة. وبين نيسان/ أبريل 2014 وكانون الثاني/ يناير 2020، خاض التنظيم 14 حملة عسكرية في دير الزور، هجومًا ودفاعًا. قاتل التنظيم وحدات من عشرة جيوش، تتبع دولًا ووحدات تتبع 12 من الفاعلين المسلحين دون الدولة، أو تحالفات بين فاعلين مسلحين دون الدولة[175]. كانت تسع حملات منها هجومية،

---

(173) سعد ك؛ أبو الحارث، 11/ 11/ 2018؛ أ. و. ينظر:
Loulla-Mae Eleftheriou-Smith, "Haji Bakr: Former Saddam Hussein Spy is Mastermind Behind ISIS Takeover of Northern Syria and Push into Iraq, Report Claims," *Independent*, 20/4/2015, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/2XzMokk

(174) "It will be a Fire that Burns the Cross and its People in Raqqah," *Rumiyah*, no. 12 (6/8/2017), p. 31.

(175) شملت وحدات القوات البرية والجوية لجيوش الدول التي اشتبكت مع "داعش"/ تنظيم الدولة في دير الزور: الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا والدنمارك وهولندا وأستراليا وروسيا وإيران =

وخمسٌ دفاعية. وخلافًا لما حدث في محافظة الرقة، فشل تنظيم الدولة في السيطرة على محافظة دير الزور كلها، على الرغم من سيطرته على أجزاء واسعة منها، بما في ذلك أجزاء من مدينة دير الزور.

في النهاية، اتخذ تنظيم الدولة آخر وضعية عسكرية على الأرض شارك فيها الآلاف من مقاتليه في جيب بلدة هجين في جنوب شرق دير الزور. يتكوّن هذا الجيب من سلسلة من البلدات والقرى الصغيرة الواقعة على طول نهر الفرات قبل أن يعبر إلى العراق، وتجمّع فيه الآلاف من مقاتلي التنظيم والآلاف من عائلاتهم. غصّ الجيب بموجات من مقاتلي التنظيم المنسحبين، بما في ذلك عدد كبير من المقاتلين من القافلة التي غادرت مدينة الرقة بعد التسوية مع وحدات قسد في تشرين الأول/ أكتوبر 2017. وبصفة عامة، استمر التنظيم في الانسحاب من بلدة هجين في شمال غرب الجيب إلى بلدة الباغوز الفوقاني جنوب شرق الجيب. وتقلّصت مساحة سيطرة التنظيم على الأراضي في سورية من حوالى نصف أراضي البلاد في عام 2015، إلى مدينة خيام ضخمة داخل بلدة الباغوز الفوقاني وحولها في عام 2019. وفي 23 آذار/ مارس 2019، بعد شهر وأسبوعين من القتال والقصف المكثف والمآزق والاستسلامات، تم تحرير البلدة من الآلاف من مقاتلي تنظيم الدولة. كان التنظيم لا يزال قادرًا خلال القتال على ابتكار تصاميم العربات المفخخة الانتحارية وتكتيكاتها، إضافة إلى التبديل في أساليبه القتالية. فقد اكتشفت وحدات قسد بعد أسبوع من هزيمة التنظيم، ورشة للعربات المفخخة الانتحارية تحت خيمة بالقرب من "مدينة الخيام" في الباغوز على الضفة الشمالية لنهر الفرات[176]. كان التنظيم يواصل تصنيع هذه العربات ويُطوّر تصاميم مختلفة لها، في الوقت الذي كان على وشك الانهيار ميدانيًا في سورية.

= والعراق وسورية (نظام الأسد). وشملت الفاعلين المسلحين دون الدولة: حزب الله اللبناني، وحدات الحشد الشعبي العراقي، قوات سوريا الديمقراطية، قوات الدفاع الوطني السوري، لواء "فاطميون" الأفغاني، لواء "زينبيون" الباكستاني، وتشكيلات عربية ودولية أخرى أصغر حجمًا.

(176) Ellen Francis & Issam Abdallah, "Islamic State Deploys Car Bombs in Defense of Last Enclave," *Reuters*, 3/3/2019, accessed on 21/8/2021, at: https://reut.rs/2yfMvHa; Hugo Kaaman, "From Hajin to Baghouz - Islamic State SVBIED Design & Use," *Hugo Kaaman Open Resource Research on SVBIEDs*, 3/8/2019, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/3eiW0Gc

إجمالًا، أدّت الولايات المتحدة دورًا رئيسًا، إن لم يكن الدور الأهم، في محاربة تنظيم الدولة في سورية. ففي معركة مدينة الرقة، بين حزيران/يونيو وتشرين الأول/أكتوبر 2017، أسقطت الطائرات الأميركية قرابة 20,000 قذيفة بالمجمل[177]، ونفّذت، في ليلة 26-27 تشرين الأول/أكتوبر 2019، عملية عسكرية في قرية جبل باريشا الواقعة على تخوم الحدود السورية–التركية الجبلية في محافظة إدلب السورية، سميت باسم كايلا مولر[178]، وكانت نتيجتها قطع رأس التنظيم وقتل زعيمه. أعلن الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، في 27 تشرين الأول/أكتوبر 2019: "نفّذت الولايات المتحدة حكم العدالة في الزعيم الإرهابي الأول في العالم. لقد قُتل أبو بكر البغدادي". وكما هو متوقع، فإن قطع الرأس لم يُنهِ التنظيم في سورية، أو في أي مكان آخر. ففي 22 كانون الأول/ديسمبر 2019، بدأ تنظيم الدولة عملياته "الانتقامية"، ردًّا على مقتل البغدادي (والمتحدث السابق باسم التنظيم أبو الحسن المهاجر)[179]. ففي الأسبوع الأول من "الانتقام"، أعلن التنظيم مسؤوليته عن 106 هجمات، 50 منها في سورية، و34 منها في محافظتي الرقة ودير الزور تحديدًا[180]. وفي الأسبوعين الأولين من عام 2020، تبنّى أكثر من 15 هجومًا في سورية. جمعت هذه الهجمات بين تكتيكات العبوات الناسفة والعربات المفخخة الانتحارية وحرب الغوار، إضافة إلى الاغتيالات

(177) بعض هذه الضربات كانت في العراق أيضًا. لمزيد من التفصيلات، ينظر:
Shawn Snow, "These Marines in Syria Fired More Artillery Than any Battalion Since Vietnam," *Marine Corps Time*, 6/2/2018, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/2V848BL

(178) كايلا مولر (Kayla Mueller) ناشطة أميركية في مجال حقوق الإنسان وعاملة في مجال المساعدات الإنسانية للاجئين السوريين. اختطفها تنظيم الدولة في حلب في آب/أغسطس 2013، واحتجزها وتعرضت للاغتصاب ثم القتل.

(179) قُتل أبو الحسن المهاجر في 27 تشرين الأول/أكتوبر 2019 في عين البيضا قرب جرابلس، محافظة حلب. ينظر البيان كاملًا في: النبأ، العدد 215 (7 جمادى الآخرة 1441هـ [2/ 2/ 2020])، ص 4.

(180) ينظر:
Aymenn Jawad Al-Tamimi, "The Islamic State's 'Revenge' Expedition for Abu Bakr al-Baghdadi and Abu al-Hassan al-Muhajir: Data and Analysis," *Aymenn Jawad Al-Tamimi Pundicity Informed & Review*, 31/12/2019, accessed on 21/8/2021, at: https://bit.ly/2V5w3Cw

عن قرب، واستهدفت وحدات قسد وقوات النظام السوري في محافظتي الرقة ودير الزور، بينما نُفّذ هجومان على قوات النظام في محافظة حمص[181]. وبين آذار/ مارس 2019، وهو الشهر الذي شهد هزيمة التنظيم في الباغوز، وآذار/ مارس 2020، أعلن التنظيم مسؤوليته عن 977 هجومًا في سورية، أغلبيتها في دير الزور (581) والرقة (153). أما بقية الهجمات، فنُفّذت بدرجات متفاوتة في الحسكة وحمص وحلب ودمشق وريف دمشق ودرعا والقنيطرة. وشنّ التنظيم أيضًا حملة اغتيالات في دير الزور، زعم فيها تنفيذ 34 عملية استهدفت قادة ومُنتّسبين في وحدات قسد وقوات نظام الأسد في الفترة كانون الثاني/ يناير-آذار/ مارس 2020[182]. وفي 31 آذار/ مارس 2020، أصدرت ولاية الشام التابعة لتنظيم الدولة شريط فيديو بعنوان "ملحمة الاستنزاف 2"، أظهر بعض هجمات التنظيم طوال عام 2019 في بادية حمص (بين محافظتي دير الزور وشرق حمص). ولا يزال التنظيم يحتفظ بترسانة حرب غوار كبيرة في البادية، بما في ذلك عربات محوَّرة مزوّدة برشاشات ثقيلة وقاذفات صواريخ غير موجّهة وصواريخ مضادة للدروع، فضلًا عن عدد من تشكيلات المغاوير، كل منها بحجم فصيلة صغيرة.

إجمالًا، أثبت تنظيم الدولة مرونةً وتكيّفًا عاليين في سورية، كما هي الحال في العراق وبعض البلدان الأخرى. وعلى الرغم من فشل كثير من العمليات التي شنّها، فإن فئات التكتيكات العديدة التي استخدمها كانت فعالة إلى حدٍّ كبير. فاجأ الجمع بين تكتيكات العبوات الناسفة والعربات المفخخة الانتحارية والقناصة والمُسيّرات المسلحة أعداء التنظيم الذي برع في الاستفادة من عنصر المفاجأة. وكثيرًا ما حطّم هذا الجمع بين التكتيكات زخم الهجوم وأبطأ تقدم القوات المهاجمة، وضايق إلى حدٍ كبير وحدات قسد وغيرها،

(181) "تنظيم 'الدولة' يظهر مجددًا في ريف الرقة عبر مهاجمة النظام"، عنب بلدي، 14/ 1/ 2020، شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2wBGHHB؛ "عشر عمليات لتنظيم 'الدولة' في سوريا منذ بداية 2020"، عنب بلدي، 15/ 1/ 2020، شوهد في 21/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3a9H0Hi

(182) "حصاد الاغتيالات في مناطق الخير (دير الزور) بولاية الشام"، **النبأ**، العدد 226 (24 رجب 1441هـ [19/ 3/ 2020])، ص 12.

وأحدث في بعض المراحل الإرباك والفوضى في صفوفها (خصوصًا مع وابل العربات المفخخة الانتحارية أو تكتيكات "القصف بالنسف"). وأظهرت تشكيلات المغاوير باستمرار القدرة على المبادرة الهجومية التكتيكية، ونفّذت هجمات مضادة عنيدة. وفي مراحل وأطر زمنية مختلفة في معارك محافظتي الرقة ودير الزور، أظهرت هذه التشكيلات مبادرات مستقلة وارتجالًا مبتكرًا، ولا سيما في أثناء استخدام الأنفاق لشن هجمات خلف خطوط وحدات قسد. لقد اختُبر تماسك وحدات تنظيم الدولة وأطره القيادية إلى أقصى حد في سورية. ونظرًا إلى النقص في عديد القوة البشرية، وضعف أنظمة الدفاع الجوي وعوامل سلبية أخرى، كانت مراكز القيادة والسيطرة في التنظيم تتعرض للانهيار غالبًا خلال المعارك الدفاعية، على المستوى العملياتي، وعلى المستوى الاستراتيجي أحيانًا[183]. وقد أدى ذلك إلى جعل الوحدات الصغيرة المتماسكة تعمل لامركزيًا، وكانت قادرة تكتيكيًا على التمسك بالمواقع أو رفع تكاليف القضاء عليها عند إصرار القوات المهاجمة على تحرير هذه المواقع. ولعلّ "دوّار الجحيم" في وسط مدينة الرقة أبرز الأمثلة على ذلك.

على المستوى العملياتي، أظهر التنظيم قدرة على بناء قوة عسكرية وحشدها بسرعة من لا شيء تقريبًا. وقد نجحت نسبيًا في سورية طريقة عمل (iALLTR)، المكوّنة، كما شرحنا سابقًا، من خمس ركائز في تشكيل القوة. وسوف يكرر التنظيم هذه الطريقة جزئيًا أو كليًا في ليبيا ومصر وفي أماكن أخرى بنتائج مختلطة. أمّا طريقة (SCCLC) العملياتية المكوّنة من ثلاث مراحل، التي نُفِّذت خلال حملات احتلال المدن والمحافظات، فنجحت في حالة الرقة فحسب. وتُظهر المقارنة أن هذه الطريقة كانت أكثر نجاحًا، حين نُفِّذت في مدن العراق وبلداته. ومع ذلك، سوف يلجأ التنظيم إلى اتّباعها في أماكن أخرى، على الرغم من نجاحها المحدود في سورية[184].

---

(183) من أبرز الأمثلة مقتل حجي بكر، في كانون الثاني/ يناير 2014، خلال الهجوم الجماعي الذي نفّذته تنظيمات المعارضة السورية المسلحة على "داعش".

(184) ينظر مثالًا على ذلك: الفصل التالي (الرابع) من هذا الكتاب، عن ليبيا.

فيما يتعلق بالمستقبل، أثبت تنظيم الدولة وأسلافه من التنظيمات في سورية استطاعتهما أيضًا إعادة بناء قدراتهما العسكرية وحشدها حتى بعد الوصول إلى حافة الانهيار. وكما هي الحال في العراق، أتقن التنظيم التبديل الاستراتيجي بين أساليب الحرب التقليدية وحرب الغوار والإرهاب كي يتجنّب الإبادة في سورية. وتوفر المراجعة والتحليل بعض التوقعات بشأن الكيفية التي سوف يقاتل تنظيم الدولة (والتنظيمات المسلحة المماثلة) في سورية، ولا سيما أن "البراعة العملية" متاحة، وأن التنظيمات المسلحة (دون الدول) كسرت احتكار المؤسسات المسلحة (التابعة للدول) وسائل العنف[185]. وعلى المستوى الكلي، يرجَّح أن يتأثر مستقبل تنظيم الدولة في سورية بتدمير أجزاء واسعة من الرقة ودير الزور وكثير من البلدات والمدن الأخرى، واستمرار الحرب في سورية على الرغم من انحصارها في مناطق محددة، لكنها مهمة وكبيرة مع ذلك، وغياب آلية (آليات) موثوقة أو مستدامة لتسوية النزاعات والبيئة الوحشية الشاملة التي خلقتها سياسات النظام وحلفائه. ومن المرجح أن يبقى التنظيم أو تنويعاتٌ منه في مثل هذه البيئة، وربما ينهض مرة أخرى من رماده في سورية.

(185) للاطلاع على تفصيلات المناقشة النظرية، ينظر: الفصل الأول من هذا الكتاب.

الفصل الرابع

تكرار وانهيار
كيف يقاتل تنظيم الدولة في ليبيا؟

"ناقلات الجند المدرعة والدبابات ليست أقوى أسلحتهم [تنظيم الدولة]. إن أقوى أسلحتهم هي الألغام الأرضية والفخاخ والقناصة".
(محمد الضراط، قائد المحور المركزي في عملية البنيان المرصوص، سرت)[1].

(1) "البنيان المرصوص" عبارة مقتبسة من القرآن الكريم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ (الصف: 4). إنه الاسم الرمزي لعملية تحرير سرت من تنظيم الدولة، وهو تحالف من التشكيلات العسكرية، أساسًا من مدينة مصراتة، الموالية رمزيًا لحكومة الوفاق الوطني المدعومة من الأمم المتحدة في طرابلس.

أولًا: بدايات تنظيم "الدولة الإسلامية" في ليبيا

في 22 حزيران/ يونيو 2014، أعلنت منظمة محلية صغيرة، تُطلق على نفسها اسم "مجلس شورى شباب الإسلام"، في بلدة درنة الشرقية النائية، دعمها تنظيم "داعش" وزعيمه. وبذلك نشأ أول كيان جماعي منظم لـ"داعش" في ليبيا. حدث هذا التطور، قبل أسبوع واحد فقط من إعلان "داعش" عن قيام "الدولة الإسلامية" و"الخلافة على مستوى العالم". كان مجلس شورى شباب الإسلام لا يزال تنظيمًا جديدًا على خريطة الحركات المسلحة الليبية. وقد أعلن عن وجوده في 4 نيسان/ أبريل 2014. ومنذ أوائل صيف 2014، اشتبك مجلس شورى شباب الإسلام بصفة متقطعة مع الجماعات المسلحة الأخرى في درنة، ومنها كتيبة شهداء أبو سليم وبعض عناصر الجيش الليبي السابقين الذين انضموا إلى الثورة ضد نظام القذافي، وكذلك مع أحد فصائل أنصار الشريعة - درنة.

فشل مجلس شورى شباب الإسلام في السيطرة على درنة، ومع ذلك ظلّ تنظيم الدولة يضمّها واعترف بها باعتبارها "ولاية" رسمية في 3 تشرين الأول/ أكتوبر 2014، وادّعى أن المناطق التي يسيطر عليها مجلس شورى شباب الإسلام تمثل ولاية درنة. وفي 13 تشرين الثاني/ نوفمبر 2014، أعلن أبو بكر البغدادي في بيان صوتي عن إنشاء ثلاث "ولايات" جديدة في ليبيا: ولاية برقة، ولاية طرابلس، ولاية فزّان[2]. كانت ولاية درنة النواة الأولى لولاية

(2) استخدم تنظيم الدولة التحديدات/ التقسيمات السياسية الإدارية العثمانية والإيطالية نفسها في ليبيا. كان البلد، تحت حكم العثمانيين وفي بداية حكم الإيطاليين، يتألف من ثلاث مقاطعات: برقة (الشرق)، وطرابلس (شمال غرب)، وفزّان (جنوب غرب).
Eric Schmitt & David D. Kirkpatrick, "Islamic State Sprouting Limbs Beyond Its Base," *The New York Times*, 14/2/2015, accessed on 21/8/2021, at: https://nyti.ms/2LJ4lGJ

برقة التي ضمّت أحياء في بنغازي ودرنة. وفي أوائل عام 2015، أنشأ تنظيم الدولة في ليبيا بعض أجهزة السلطة على الأراضي وآليات الحكم في أجزاء من درنة وبنغازي وصبراتة. وبحلول 31 أيار/ مايو 2015، احتل تنظيم الدولة سرت. لكن بحلول تموز/ يوليو 2015، هُزم التنظيم في وسط مدينة درنة على يد تحالف من الجماعات المسلحة المحلية وضباط سابقين في الجيش الليبي. كما خسر تنظيم الدولة في ليبيا زعيمه، أبو نبيل الأنباري، في غارة جوية أميركية في تشرين الثاني/ نوفمبر 2015[3]. وبعد نحو عام ونيّف، خسر، في كانون الأول/ ديسمبر 2016، سرت، على أيدي القوات الموالية للحكومة الليبية في طرابلس بدعم عسكري دولي. وفي عام 2017، تراجع إلى جنوب ليبيا وعاد إلى تكتيكات الكر والفر/ حرب الغوار المتنقلة، والإرهاب.

يقدم هذا الفصل لمحة تاريخية موجزة عن ولادة تنظيم الدولة الإسلامية في ليبيا بدايةً من 22 حزيران/ يونيو 2014. ويهدف إلى توضيح الكيفية التي استطاع بها التنظيم تطوير قدراته القتالية تدريجيًا في ليبيا منذ ذلك الحين؛ ما أتاح له السيطرة على أجزاء من درنة في تشرين الأول/ أكتوبر 2014، وعلى سرت كلها بحلول نهاية أيار/ مايو 2015. وحدثت هذه السيطرة، على الرغم من نقص الدعم المحلي وعدم وجود رعاية من دولة وغياب الجغرافيا الداعمة[4]. ويركز الفصل على تحليل جبهات القتال في سرت ودرنة بين حزيران/ يونيو 2015[5] وكانون الأول/ ديسمبر 2016، لتكون بذلك عيّنة

---

(3) Martin Pengelly & Chris Stephen, "Islamic State leader in Libya 'Killed in US Airstrike'," *The Guardian*, 14/11/2015, accessed on 11/12/2019, at: https://bit.ly/2rzn3JR

(4) درنة مدينة ساحلية، تحدّها سلسلة من التلال تسمّى الجبل الأخضر. لكنّ معظم القتال وقع في المناطق الحضرية والضواحي، وليس في الجبل الأخضر. كانت الجغرافيا في سرت مفيدة بعض الشيء للمتمردين. وسرت مدينة ساحلية في وسط ليبيا، عمقها الاستراتيجي صحراء إلى الجنوب، يمكن الوصول إليها عبر طريق سريعة. لمزيد من التفصيلات، راجع أدناه المبحثين "جبهة درنة" و"جبهة سرت".

(5) لم يواجه تنظيم الدولة مقاومة كبيرة حينما سيطر على عدد قليل من المباني ونشر مقاتليه في وسط مدينة درنة في تشرين الأول/ أكتوبر 2014. احتدمت معركة درنة في وقت لاحق في حزيران/ يونيو 2015، بعد سلسلة من المناوشات والاغتيالات.

تعكس كيفية قتال تنظيم الدولة في ليبيا. ويستند الفصل جزئيًا إلى مقابلات مع جنود وعناصر تنظيمات مسلحة حاربوا تنظيم الدولة في المعارك المذكورة سابقًا. ويستند أيضًا إلى وثائق أنتجها تنظيم الدولة في ليبيا عبر اثنتين من "ولاياته" الثلاث: برقة وطرابلس. ويعتمد الفصل أيضًا على الوثائق الرسمية الصادرة عن حكومة الولايات المتحدة، وعلى مواد أخرى مفتوحة.

يتكوّن الفصل من ستة مباحث. يلقي المبحث التالي نظرة عامة على البناء العسكري لتنظيم الدولة في ليبيا منذ حزيران/ يونيو 2014. ويعرض المبحثان الثالث والرابع تفصيلات جبهات القتال المذكورة أعلاه في درنة وسرت ضمن أطر زمنية محددة[6]. ويُحلّل المبحث الخامس الطريقة التي يقاتل بها تنظيم الدولة في ليبيا، باستخدام بيانات وملاحظات من جبهتَي القتال وأماكن أخرى في ليبيا. ويتناول المبحث الختامي مستقبل تمرد تنظيم الدولة في ليبيا، بعد خسارة الأراضي والعودة إلى استراتيجيات حرب الغوار والإرهاب وتكتيكاتها.

ثانيًا: الحشد العسكري لتنظيم الدولة في ليبيا: نظرة عامة

اتخذ الحشد العسكري لتنظيم الدولة في ليبيا مسارًا مشابهًا لمساره في سورية[7]. وقد بُني أيضًا على طريقة عمل (iALLTR)، المكوّنة من خمس ركائز لجمع المعلومات الاستخبارية؛ واستيعاب التنظيمات القائمة ذات التفكير المماثل، وزيادة عددها عن طريق التجنيد الفردي والجماعي للشباب[8]، ونهب أجزاء من ترسانات النظام السابق، والاعتماد على خبرات قادة/ مقاتلي تنظيم

(6) يبدأ الإطار الزمني عادةً عندما يسيطر تنظيم الدولة على بلدة/ مدينة مستهدفة أو أجزاء منها. وينتهي عندما يخسرها أو يخسر الأجزاء التي سبق أن احتلها.

(7) يُنظر: الفصلان حول تنظيم الدولة في مصر (الفصل الخامس)، وسورية (الفصل الثالث)، وكذلك الفصل الختامي.

(8) بعض مقاتلي تنظيم الدولة الذين جُنِّدوا حديثًا في ليبيا، من المنشقين عن الجيوش النظامية العربية أو الأجنبية، أو من المقاتلين المتمرسين في تنظيمات أخرى. هذا إضافة إلى الشباب والمراهقين ذوي الخبرة المحدودة أو لا خبرة لهم.

الدولة من مناطق القتال في الخارج لقيادة المنتسبين المحليين وتوجيههم، والنقل السريع لخبرات الابتكارات التكتيكية والتبديلات الاستراتيجية والمعارف الأخرى ذات الصلة بالفاعلية القتالية والعسكرية.

في أول الأمر، عاد عدد من المقاتلين الليبيين الذين قاتلوا في كل من العراق (2004-2012) وسورية (2012-2014) إلى موطنهم الأصلي في درنة. وأسس هؤلاء الأفراد صلة بين "داعش" في سورية ومجلس شورى شباب الإسلام[9]، وكان أحد المؤسسين الليبيين، حسن الصالحين الشاعري[10]، عضوًا في جماعة التوحيد والجهاد في العراق/ القاعدة في العراق/ دولة العراق الإسلامية وقاتل هناك، وعُرف أيضًا باسم "أبو حبيبة" و"الأعور" بسبب فقدانه عينه اليسرى في أثناء قتاله في العراق[11].

من حيث القوة البشرية، اعتمد تنظيم الدولة في درنة، جزئيًا، على قُدامى المحاربين في العراق وسورية. كان بعض هؤلاء ينتمي إلى مجموعات مسلحة مختلفة، منها "كتيبة البتّار"، وهي مجموعة قاتلت ضد نظام الأسد في عام 2012، قبل أن ينضم العديد من مقاتليها إلى "داعش"، ثم فيما بعد، إلى تنظيم الدولة. وقد وصل مزيد من "ناقلي المعرفة" والقادة، أصحاب الخبرة، إلى ليبيا منذ أيلول/ سبتمبر 2014، ومنهم شخصيات بارزة مثل أبو نبيل الأنباري (وسام الزبيدي)[12] الذي أصبح والي تنظيم الدولة في ليبيا بعد أن شغل منصب والي التنظيم في محافظة صلاح الدين في العراق، وقد قُتل في

---

(9) كان بعض هؤلاء المقاتلين من مؤسسي مجلس شورى شباب الإسلام. نعمان بن عثمان، قائد سابق في الجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا (منحلة)، مقابلة شخصية، براغ، 16/ 8/ 2019.

(10) "Security Council ISIL (Da'esh) and Al-Qaida Sanctions Committee Adds 12 Names to Its Sanctions List," *Press Release*, Security Council, United Nations, 29/2/2016, accessed on 22/8/2021, at: https://bit.ly/38pvTKM

(11) Ibid.;

نعمان بن عثمان.

(12) "Statement from Pentagon Press Secretary Peter Cook on Nov. 13 airstrike in Libya," *Immediate Release*, US Department of Defense, 7/12/2015, accessed on 22/8/2021, at: https://bit.ly/2qGBN9r

غارة جوية أميركية على درنة في 13 تشرين الثاني/ نوفمبر 2015[13]. وجاء في نعيه أنه قاد، عسكريًا، هجوم تنظيم الدولة على مدينة سامراء في العراق (أيار/ مايو-حزيران/ يونيو 2014)، وأدّى دورًا رئيسًا خلال سقوط بيجي وتكريت بأيدي تنظيم الدولة في حزيران/ يونيو 2014[14]. وإضافة إلى المقاتلين ذوي الخبرة، جنّد التنظيم في درنة أيضًا جهاديين محليين شبابًا، أصحاب خبرة قتالية محدودة أو لا خبرة لهم، وكذلك منشقين عن الجماعات الإسلامية المسلحة والجيش النظامي للدكتاتور السابق معمر القذافي[15].

في تشرين الثاني/ نوفمبر 2014، كان تنظيم الدولة في ليبيا لا يزال منظمة صغيرة نسبيًا، مع قوة بشرية تُقدّر بنحو 400 مقاتل، تتركز في شرق ليبيا (أساسًا في درنة وبنغازي)، إضافة إلى خلايا متناثرة في جميع أنحاء بلد شاسع وقليل السكان[16]. لكن الوضع تغير بعد سيطرة التنظيم ميدانيًا على أراضٍ حوّلها قواعد له. وقدّرت الأمم المتحدة أنه عقب سقوط سرت في 31 أيار/ مايو 2015، بات عدد مقاتلي التنظيم في ليبيا يراوح بين 2000 و3000 مقاتل، في كانون الأول/ ديسمبر 2015[17]؛ أي أن القوة العددية لتنظيم الدولة تنامت خمس مرات بالحد الأدنى، على الرغم من هزيمته في درنة في تموز/ يوليو 2015[18] ومقتل قائده أبو نبيل الأنباري في عام 2015. وفي حزيران/ يونيو 2016، وقبل ستة أشهر من خسارة سرت لمصلحة قوات البنيان المرصوص،

---

(13) Aidan Lewis, "New Islamic State leader in Libya Says Group 'Stronger Every Day'," *Reuters*, 10/3/2016, accessed on 22/8/2021, at: https://reut.rs/3566jbH

(14) ينظر:

"Eulogy to Abu Nabil al-Anbari: Islamic State leader in Libya," *Aymenn Jawad Al-Tamimi, Pundicity Informed & Review*, 7/1/2016, accessed on 22/8/2021, at: https://bit.ly/2RMdzG1

(15) Paul Cruickshank et al., "ISIS Comes to Libya," *CNN*, 18/11/2014, accessed on 22/8/2021, at: https://cnn.it/2RDFVBZ

(16) عبد الحكيم بلحاج، الأمير السابق للجماعة الإسلامية المقاتلة (المنحلة) في ليبيا، مقابلة شخصية، الدوحة، 27/ 1/ 2019.

(17) Michelle Nichols, "Islamic State in Libya Hampered by Lack of Fighters -U.N. Experts," *Reuters*, 1/12/2015, accessed on 22/8/2021, at: https://bit.ly/2LXXwkL

(18) بقي مقاتلو تنظيم الدولة في ضواحي درنة، ولا سيما في منطقة الفتائح، حتى انسحابهم الكامل إلى سرت في نيسان/ أبريل 2016.

أعلم رئيس وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية آنذاك، جون برينان (John O. Brennan) (2013-2017)، لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ الأميركي، بأن عدد مقاتلي تنظيم الدولة في ليبيا يراوح بين 5000 و8000 مقاتل[19]. وفي عام 2018، قدرت القيادة العسكرية الأميركية في أفريقيا "أفريكوم" عددهم بنحو 750 مقاتلًا[20].

فيما يتعلق بالتسلح ونهب ترسانات نظام القذافي، كشف مجلس شورى شباب الإسلام عن حوالى 30 عربة مسلحة محوَّرة (Technicals) في عرض عسكري في نيسان/ أبريل 2014[21]. وشملت الأسلحة المشاركة في العرض بنادق هجومية من طراز أي كي-47 (كلاشينكوف) ومختلف أنواع المدافع الرشاشة المتعددة الأغراض من طراز بي كي (PK)، وعلى الأقل مدفع آلي مضاد للطائرات واحد من طراز زد بي يو (ZPU) (عيار 14,5 ملم). وكان هذا المدفع أثقل سلاح في عرض نيسان/ أبريل 2014. ثمّ تضاعف تقريبًا عدد العربات المسلحة المحوَّرة في عرض تشرين الأول/ أكتوبر 2014؛ فقد عُرضت حوالى 60 عربة منها خلال ذلك الشهر عقب إعلان مجلس شورى شباب الإسلام دعمه لتنظيم الدولة. "إن أسلحة التنظيم أُخذت من بقايا ترسانات الجيش الليبي [...] ووصلت إلى "داعش"[22] بعد أن بايعت [فصائل] أنصار الشريعة في درنة وبنغازي وسرت التنظيم"، بحسب ما قاله علي بن غربية (مساعد قائد المحور الشرقي في عملية البنيان المرصوص ضد تنظيم الدولة في سرت)[23]. لكن

(19) Julian Hattem, "CIA: Undaunted ISIS is Expanding, Focused on Attacking West," *The Hill*, 16/6/2016, accessed on 11/12/2019, at: https://bit.ly/2E6Jd91

(20) Jared Malsin & Benoit Faucon, "Islamic State's Deadly Return in Libya Imperils Oil Output," *The Wall Street Journal*, 18/9/2018, accessed on 22/8/2021, at: https://on.wsj.com/3go75lK

(21) Maggie Michael, "How a Libyan City Joined the Islamic State Group," *AP News*, 9/11/2014, accessed on 22/8/2021, at: https://bit.ly/2t4xnKd

(22) "داعش" هو الاسم المختصر العربي لـ "الدولة الإسلامية في العراق والشام"، وعادة ما يُستخدم مصطلحًا ازدرائيًا لوصف تنظيم الدولة الإسلامية وأسلافه من التنظيمات.

(23) عبد الوهاب الحداد وأبو بكر الضراط، "اعترافات 'ديناصور داعش' ... سائق الأمراء في ليبيا يكشف قادة التنظيم ومسارات التهريب لسورية"، **العربي الجديد**، 18/11/2018، شوهد في 22/8/2021، في: https://bit.ly/2Ecx0iV

لم تمنح الأسلحة التقليدية، المأخوذة من ترسانة الجيش الليبي السابق، تنظيم الدولة تفوّقًا تكتيكيًا على التشكيلات المسلحة الأخرى في درنة وسرت، ولا سيما مع محدودية القوة البشرية للتنظيم، أما "السيارات المفخخة والأحزمة الناسفة، فكانت أميز الأسلحة التي يمتلكها التنظيم، ويسهل تصنيعها من بقايا القذائف والذخائر التالفة"، بحسب بن غربية[24].

تطوّرت تكتيكات العبوات الناسفة والقنص بصفة مطّردة في ليبيا، وعلى نحوٍ رئيسٍ عن طريق "نقل المعرفة" من ولايات التنظيم الأخرى في العراق وسورية. ففي درنة، أعلن تنظيم الدولة أنه استخدم بين 5 كانون الثاني/ يناير 2016 و19 نيسان/ أبريل 2016، تكتيكات العبوات الناسفة 32 مرة، وتكتيكات القنص عشر مرات[25]. شمل الـ 32 هجومًا بالعبوات الناسفة عربتين مفخختين انتحاريتين، وعربة واحدة مفخخة، و29 عبوة ناسفة ثابتة. كانت فئتا تكتيكات (العبوات الناسفة والقنص) الأكثر استخدامًا من أي فئة أخرى في درنة خلال الفترة نفسها. وفي سرت، سجّلت "قاعدة بيانات أساليب حرب الدولة الإسلامية" استخدام تنظيم الدولة تكتيكات تفجير العبوات الناسفة 99 مرة (63 عبوة ناسفة ثابتة و36 عربة مفخخة انتحارية)، والقنص المكثف 16 مرة بين كانون الثاني/ يناير وكانون الأول/ ديسمبر 2016. استخدم التنظيم العربات المفخخة/ الانتحارية في ليبيا، سواء في إرهاب المدن أو في ساحة المعركة في العمليات التقليدية وعمليات حرب الغوار. كان كثير من العربات المفخخة الانتحارية، التي استخدمها تنظيم الدولة في برقة وطرابلس، عبارة عن شاحنات صغيرة (بيك آب)، ذات تصميم متماثل؛ ما يشير إلى "نقل المعرفة" بانتظام عبر شرق ليبيا وغربها.

أظهر تنظيم الدولة في ليبيا فاعليته أيضًا في استخدام تشكيلات المغاوير

---

(24) المرجع نفسه.

(25) قاعدة بيانات أساليب حرب الدولة الإسلامية في درنة في عام 2016 (ISWD-Dema16)؛ هذه الأرقام هي جزء من قاعدة بيانات "أساليب حرب الدولة الإسلامية " أو (ISWD)، بناءً على إعلانات تنظيم الدولة التي تم التحقق منها في نشرة **النبأ** الإخبارية بين العدد 12 والعدد 27. وصدرت أعداد **النبأ** في معركة درنة. وحدات التنظيم انسحبت كليًا من درنة كقوة مغاوير في 20 نيسان/ أبريل 2016.

والانغماسيين في الإرهاب الحضري، وعمليات الكرّ والفرّ، والعمليات التقليدية. إنّ الهجمات المركّبة التي نفذتها تشكيلات الانغماسيين على فندق كورنثيا باب أفريقيا في طرابلس في نيسان/ أبريل 2015[26]، وعلى مجمع المحاكم في مصراتة في تشرين الأول/ أكتوبر 2017، هي أمثلة على عمليات الإرهاب الحضري لتنظيم الدولة باستخدام الانغماسيين، قبل الهزيمة في سرت وبعدها[27]. وفيما يتعلق بالحرب التقليدية، امتلك تنظيم الدولة في ليبيا عددًا محدودًا من الدبابات وناقلات الجند المدرعة، دُمِّر معظمها في غارات جوية في سرت، أو بالعبوات الناسفة والألغام والصواريخ المضادّة للدبابات في درنة. كان استخدام المدرعات والمدفعية من تنظيم الدولة في ليبيا محدودًا، مقارنةً بولاياته في العراق وسورية. قال محمد الضراط (قائد إحدى جبهات القتال الرئيسة ضد تنظيم الدولة في سرت): "إن ناقلات الجند المدرعة والدبابات ليست أقوى أسلحته على أي حال، بل الألغام الأرضية والفخاخ والقناصة. هذه هي أكبر المشكلات التي نواجهها"[28]. لم تقف الكمية المحدودة من العربات المدرعة والدبابات حائلًا دون الابتكارات النوعية لتنظيم الدولة. ففي آذار/ مارس 2016، خلال معركة درنة بين وحدات التنظيم ومجموعات مسلحة محلية[29]، استخدم التنظيم في الهجوم عربة مشاة قتالية محوَّلة، مصنوعة من شاحنة (6×6) وهيكل ناقلة جند مدرعة بي إم بي-1، مع برج الناقلة المضلّع والمصفح معدنيًا. رُكِّب على البرج ما يشبه السلاح إس بي جي-9 (SPG-9) المعدَّل وعديم الارتداد (73 ملم)، وبرزت من منافذ إطلاق النار الثمانية في ناقلة بي إم بي-1 بنادق هجومية ومدفع رشاش من طراز بي كي إس (PKS).

(26) "الدولة الإسلامية: المكتب الإعلامي لولاية طرابلس يقدم :(غزوة الشيخ أبو أنس الليبي تقبله الله)"، جست بيست إت، 5/ 4/ 2019، شوهد في 22/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/359afIE

(27) هاني ياسين، "هل تحتضن ليبيا 'داعش' من جديد؟"، **الغد**، 5/ 10/ 2017، شوهد في 22/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2RF7iM7

(28) Sudarsan Raghavan, "Even with US Airstrikes, a Struggle to Oust ISIS from Libyan Stronghold," *The Washington Post*, 7/8/2016, accessed on 22/8/2021, at: https://wapo.st/36ip5g6

(29) يطلق تنظيم الدولة على هذه الجماعات المسلحة اسم "صحوات"، وذلك بطريقة مهينة، بغية نزع الشرعية عن أي مقاومة مناهضة للتنظيم. المصطلح هنا يُعادل "خائن" أو "مرتزق". وأشاع التنظيم استخدامه خارج العراق، بما في ذلك في سورية وليبيا ومصر وأماكن أخرى.

وباختصار، حوّلت وحدات تنظيم الدولة شاحنة 6×6 إلى عربة مدرعة كبيرة الحجم في أثناء حصار التنظيم في درنة، وخلال أضعف مراحله فيها[30].

إجمالًا، في أقل من عام، حشد تنظيم الدولة في ليبيا قدرات عسكرية حوّلته من تنظيم مسلح صغير، فشل في الاستيلاء على بلدة درنة النائية، إلى تنظيم مسلح متوسط الحجم، يتمتع بقدرة عالية على تنفيذ عمليات الإرهاب الحضري وحرب الغوار عبر شرق ليبيا وغربها، إضافة إلى قدرة محدودة، لكن مبتكرة، في الحرب شبه التقليدية. وقد استُخدمت هذه القدرات الهجينة لاحتلال مدينة سرت بين آذار/ مارس 2015 وكانون الأول/ ديسمبر 2016.

1- جبهة درنة: حزيران/ يونيو 2015 - نيسان/ أبريل 2016

أُعلن عن "ولاية درنة" التابعة لتنظيم الدولة، كما ذُكر سابقًا، في تشرين الأول/ أكتوبر 2014. وفي الشهر التالي، أعلن البغدادي في بيان صوتي عن إنشاء "ولاية برقة". وردًّا على ذلك، أُنشئ مجلس شورى مجاهدي درنة وضواحيها[31] في 12 كانون الأول/ ديسمبر 2014. ضمّ المجلس تقريبًا كل التنظيمات والفصائل المسلحة المحلية المناهضة لتنظيم الدولة، إضافة إلى بعض ضباط وجنود الجيش الليبي السابق في درنة. كما عقد المجلس تحالفات عابرة للمناطق والمدن مع تشكيلات مسلحة مناهضة للتنظيم من البيضاء وطبرق وبلدات شرقية أخرى، أبرزها كتيبة علي حسن الجابر، بقيادة العقيد محمد بوغفير[32]. كان الهدف المزدوج لهذا التحالف هو محاربة تنظيم

---

(30) نشرت ولاية برقة صور عربة المشاة القتالية المعدلة في تقرير مصور دعائي، يُغطي المعركة المعروفة باسم "شهداء القبة". ينظر: التفصيلات في المبحث التالي.

(31) للتبسيط، سوف نشير إلى مجلس شورى مجاهدي درنة وضواحيها بالعبارة المختصرة "مجلس شورى درنة" في الكتاب. وقد ضمّ أيضًا مقاتلين موالين لشبكة القاعدة وعناصر أخرى من تنظيمات جهادية خارجية معادية لتنظيم الدولة، بمن في ذلك قادة وأفراد من تنظيم "المرابطون" المصري، وهو تنظيم مسلح صغير بقيادة الرائد السابق في القوات الخاصة المصرية هشام العشماوي، الذي أُعتقل في مدينة درنة شرق ليبيا عن طريق قوات يقودها حفتر، وتم تسليمه إلى قوات الأمن المصرية في تشرين الأول/ أكتوبر 2018، التي نفّذت حكم الإعدام فيه في آذار/ مارس 2020.

(32) "Meeting of Al-Bayda Tribal Elders with Ali Hassan Al-jaber Brigade's Commander in Fattaih-derna," *YouTube*, 29/9/2015, accessed on 22/8/2021, at: https://bit.ly/359wpKN

الدولة في درنة[33] ومنع ميليشيات "الجيش الوطني الليبي"[34]، الذي أعلن عنه زعيمه خليفة حفتر، من اقتحام درنة وضواحيها.

كانت اشتباكات متقطعة قد اندلعت بين مجلس شورى شباب الإسلام – سلف تنظيم الدولة في درنة – ومكوّنات مجلس شورى مجاهدي درنة، وخصوصًا كتيبة شهداء أبو سليم؛ وذلك بسبب ثلاث قضايا محلية رئيسة: القضية الأولى هي حماية الكتيبة لمصطفى عبد الجليل، رئيس المجلس الوطني الانتقالي، الذي ينظر إليه مجلس شورى شباب الإسلام بصفته "زعيم كيان مرتدّ"[35]. القضية الثانية كانت تتعلق بتوقيع الكتيبة على عقد مع وزارة الداخلية الليبية، ومن ثمّ أصبحت جزءًا من اللجنة الأمنية العليا[36] (المنحلة حاليًا).

---

(33) "'مجلس شورى مجاهدي درنة' يعلن الحرب على 'تنظيم الدولة'"، **السبيل**، 11/ 6/ 2015، شوهد في 22/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2YEtB5T

(34) "الجيش الوطني الليبي"، كما أعلن عن نفسه، كيان مسلح مختلط من الميليشيات القبلية والمناطقية وبعض الوحدات النظامية في الجيش الليبي السابق تحت حكم القذافي. أسسه حفتر، وهو مدعوم أساسًا من الإمارات العربية المتحدة ومصر. لمزيد من التفصيلات، ينظر:
Mary Fitzgerald & Mattia Toaldo, "A Quick Guide to Libya's Main Players," European Council of Foreign Relations, 19/5/2016, accessed on 22/8/2021, at: https://bit.ly/35eXix2; Mary Fitzgerald, "Libya's Rogue 'War on Terror'," *Foreign Policy*, 5/6/2014, accessed on 22/8/2021, at: https://bit.ly/34cZTWS

(35) سامي الساعدي، قائد سابق في الجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا (المنحلة)، مقابلة شخصية، إسطنبول، 3/ 11/ 2016؛ ضابط سابق في كتيبة علي حسن الجابر (البيضاء)، مقابلة شخصية، إسطنبول، 4/ 11/ 2016.

المجلس الوطني الانتقالي هو الهيئة التنفيذية الفعلية التي حكمت أجزاء محررة من ليبيا في أثناء الثورة ضد نظام القذافي وبعدها. حكم المجلس أجزاء من ليبيا بين 5 آذار/ مارس 2011 و8 آب/ أغسطس 2012، حينما سلّم السلطة سلميًا إلى أول برلمان ليبي منتخب بحرّية. كانت هذه أول مرة يحدث فيها انتقال سلمي للسلطة في تاريخ ليبيا الحديث.

(36) كان هذا جزءًا من محاولة إعادة دمج فاشلة للتنظيمات المسلحة في مؤسسات مسلحة رسمية. وقصة فشل عملية التفكيك وإعادة الدمج في درنة وشرق ليبيا، كانت لها تداعيات مأساوية على الدولة، وفشلت على الرغم من ضخامة التمويل والجهود المخصصة لها. وقد أحبطها أساسًا أمراء الحرب المحليون وتدخلات الأنظمة الاستبدادية الإقليمية. وهذا أحد الأسباب غير المباشرة – على المستوى الكلي – وراء صعود تنظيم الدولة في ليبيا. لمزيد من التفصيلات، ينظر:
Omar Ashour, "Between ISIS and a Failed State: The Saga of Libyan Islamists," in: Shadi Hamid & William McCants (eds.), *Rethinking Political Islam* (New York: Oxford University Press, 2017), pp. 101-119; Frederic Wehrey, *The Burning Shores: Inside the Battle for the New Libya* (New York: Farrar, Straus & Giroux, 2018).

واعتبر مجلس شورى شباب الإسلام ذلك الأمر انضمامًا إلى كيانات "مرتدة" لا تطبّق "شريعة الله"[37]. أما القضية الثالثة، فكانت حماية كتيبة شهداء أبو سليم للمراكز الانتخابية في تموز/ يوليو 2012 في درنة، وهو "اتهام" ردّ عليه قادة الكتيبة برسائل ملتبسة[38]. واعتبر مجلس شورى شباب الإسلام أن هذا الأمر يوفر الحماية لـ"المرتدين" الذين يمارسون "عبادة أصنام الديمقراطية"[39]. واستفاد "داعش"/ تنظيم الدولة من هذه الخلافات الأيديولوجية - السياسية بين المنظمات المسلحة المحلية.

اندلعت المناوشات الأولية بعد اغتيال منظّر كتيبة شهداء أبو سليم، محمد بو بلال، في 30 أيار/ مايو 2014 عبر تفخيخ سيارته. وبحلول تشرين الأول/ أكتوبر 2014، استخدم مجلس شورى شباب الإسلام/ تنظيم الدولة تكتيكًا مشتركًا معروفًا في بعض أدبيات الجهاديين باسم "التطويق والتضييق"، وهو شكل من أشكال حرب الحصار، حيث يحاصر التنظيم بلدة/ مدينة ويتقدم تدريجيًا، لكن بعد قطع أو تلغيم كل طرق الإمداد بين وحدات الأعداء وإليهم. نُفّذت محاولات لتطبيق هذا التكتيك، في مدينة دير الزور في تموز/ يوليو 2014، وبلدة كوباني في أيلول/ سبتمبر 2014. وأنشأ تنظيم الدولة وحلفاؤه المحليون في درنة ثلاثة معسكرات صغيرة، على الأقل، حول المدينة، استُخدمت كلها لتمركز العربات المحوّرة، ثم قيادة أكثر من ثلاثين منها لإغلاق مداخل المدينة والطرق المهمة داخلها. وبحلول كانون الأول/ ديسمبر 2014، بعد إعلان البغدادي في بيانه الصوتي في 13 تشرين الثاني/ نوفمبر، باتت تشكيلات تنظيم الدولة متمركزة في مواقع جيدة وسط المدينة. وبين كانون الثاني/ يناير وحزيران/ يونيو 2015، تصاعدت المناوشات تدريجيًا، لتتحوّل

(37) ينظر: "مقابلة مع عبد القادر النجدي أمير الدولة الإسلامية في ليبيا"، النبأ، العدد 21 (28 جُمادى الأولى 1437هـ [8/ 3/ 2016])، ص 8-9.

(38) الساعدي.

(39) يعتبر مجلس شورى شباب الاسلام وتنظيم الدولة أن الديمقراطية "عقيدة" و"دين"، وليست نظام حكم وآلية تنفيذية/ إجرائية لحل النزاعات في مجتمعات منوعة. ينظر: سلسلة الخطب تحت عنوان "الديمقراطية دين" لأبي محمد العدناني، المتحدث السابق باسم تنظيم الدولة الإسلامية؛ *IS Dabiq Magazine*, no. 14, pp. 34-38.

من حملة بوساطة الفخاخ المتفجرة والقنص والاغتيالات عن قرب إلى معركة حضرية كاملة مع جبهات قتال في وسط درنة وضواحيها (الشرقية أساسًا).

إجمالًا، خاض مجلس شورى مجاهدي درنة وحلفاؤه من المدن الليبية الأخرى ثلاث معارك رئيسة ضد تنظيم الدولة في درنة. الأولى كانت معركة حضرية، أُطلق عليها اسم "هل لها من باقية؟"، وقصد المجلس من هذه التسمية السخرية من شعار التنظيم "باقية وتتمدد"، من خلال الاقتباس من آية من القرآن الكريم ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ (الحاقة: 8)، التي تتحدث عن مجموعة من الخطأة الظالمين، دمّرهم غضب الله عليهم. دارت المعركة بين 9 حزيران/ يونيو 2014 و1 تموز/ يوليو 2014 في وسط المدينة. وكانت المعركة الثانية مزيجًا من حرب المدن والضواحي. وأطلق عليها المجلس الاسم الرمزي "النهروان"[40]. استهدف مجلس شورى مجاهدي درنة وحلفاؤه وحدات تنظيم الدولة المنسحبة في شرق درنة الساحلي والضواحي الشرقية، مثل مناطق الكرفات ولحجاج والفتائح. وبحلول 10 تموز/ يوليو 2015، كان مجلس شورى مجاهدي درنة وحلفاؤه يتقدمون منتصرين، ما عدا في منطقة الفتائح. وحملت المعركة الثالثة والأخيرة الاسم الرمزي "شهداء القبة"[41]، حيث استمرّت، في منطقة الفتائح ومفترق الحيلة، بين 15 تشرين الثاني/ نوفمبر 2015 و20 نيسان/ أبريل 2016. في ذلك التاريخ، أعلن مجلس شورى

(40) هذا الاسم/ المصطلح له دلالة تاريخية في المجتمعات الإسلامية. ويشير إلى معركة بالقرب من النهروان، على بعد 12 ميلًا من بغداد، جرت في عام 38هـ/ 659م بين علي بن أبي طالب، الخليفة الراشد الرابع، وجماعة مسلحة تحوّلت إلى طائفة دينية عارضته، سُمّيت "الخوارج". انتهت المعركة بهزيمة الخوارج، وهي طائفة أقلية متعددة الفصائل، يعتبرها السُنّة والشيعة من المنحرفين عقيديًا. وهناك بعض أوجه الشبه بين الدولة الإسلامية (تنظيم) والخوارج (طائفة). كلاهما دوغمائي، مناهض للنظام السياسي والاجتماعي والديني القائم، وشديد العنف. لكن هناك اختلافات كبرى في معتقداتهم/ أيديولوجياتهم وسلوكهم.

(41) أُطلق هذا الاسم في إشارة إلى ضحايا ثلاثة تفجيرات بسيارات مفخخة، نفّذها تنظيم الدولة في بلدة القبة الصغيرة في شباط/ فبراير 2016. قتل الانفجار عشرات المدنيين. لمزيد من التفصيلات، ينظر:

"IS Militants Claim Deadly Bombings in Libya," *VOA News*, 20/2/2015, accessed on 11/12/2019, at: https://bit.ly/2LIcSJH

مجاهدي درنة وحلفاؤه تحرير درنة من قبضة تنظيم الدولة. وزعم المجلس أن في جبهة درنة قُتل أكثر من 300 مقاتل من التنظيم وأُسر العشرات.

في حزيران/ يونيو 2015، قدِّرت القوة البشرية لتنظيم الدولة في درنة بما بين 500 و800 مقاتل كحد أقصى. وقد تركزوا، أساسًا، في وسط المدينة وشرقها، من منطقة الساحل شمالًا إلى جنوب منطقة الفتائح. كان للتنظيم وجود كبير حول مستشفى الهريش (الذي كان يسيطر عليه تنظيم الدولة)، وصولًا إلى فندق اللؤلؤة (مركز القيادة المؤقتة للتنظيم في درنة)[42]، إضافة إلى حي الأربعمئة ومنطقة الحيلة الاستراتيجية (وفيها مفترق طرق، مع إمكان الوصول إلى جنوب ليبيا وشرقها)[43].

فيما يتعلق بالتسليح، اعتمد تنظيم الدولة في درنة على ترسانة مشتركة لحرب الغوار والإرهاب: مسدسات (مع كواتم الصوت ومن دونها) وبنادق هجومية وبنادق قنص ومدافع رشاشة متوسطة وثقيلة، ومدافع هاون خفيفة ومتوسطة وعبوات ناسفة وعربات محوَّرة. يُضاف إلى ذلك بعض القدرات التقليدية لدى وحدات التنظيم في درنة، منها ما لا يقل عن سبع مركبات قتالية مدرعة معدّلة محلّيًا ودبابة تي-55 واحدة على الأقل[44].

في يومَي 9 و10 حزيران/ يونيو 2015، قُتل اثنان من قادة مجلس شورى مجاهدي درنة، ناصر العكر (نائب رئيس المجلس) وسالم دربي (قائد كتيبة أبو سليم ورئيس المجلس)، في مواجهات مع تنظيم الدولة. جرى اغتيال الأول مع مساعده، فرج الحوطي، على يد مسلحين من التنظيم في منطقة شيحة في درنة، في 9 حزيران/ يونيو. وردًّا على ذلك، قاد دربي هجومًا على موقع لتنظيم الدولة، كانت فيه قوات التنظيم محدودة، وقُتل فيه. كان للشخصين أنصار

---

(42) ضابط سابق في كتيبة علي حسن الجابر (البيضاء).

(43) عبد العزيز باشا، "تنظيم الدولة ينسحب من درنة شرقي ليبيا"، **الجزيرة نت**، 20/ 4/ 2016، شوهد في 11/ 12/ 2019، في: https://bit.ly/2RHj6NO

(44) استنادًا إلى تقارير نشرة النبأ والعديد من التقارير المصورة الصادرة عن المكتب الإعلامي لولاية برقة تغطي معارك درنة.

محليون في درنة. وكان دربي، على وجه التحديد، يدعو إلى وقف التصعيد وإلى المصالحة الوطنية بين كل الليبيين، بمن فيهم أنصار القذافي وغيرهم[45]. أحدثت وفاته، من بين أمور أخرى، وسلوك تنظيم الدولة العدواني، ردة فعل شعبية، شملت مسيرات ومظاهرات، ضد وجود التنظيم في درنة[46].

على الرغم من مقتل رئيس مجلس شورى مجاهدي درنة، فقد تمكّن المجلس وحلفاؤه من تصعيد الحملة عبر استهداف تسعة مواقع لتنظيم الدولة في درنة في وقت واحد تقريبًا في الأسبوع التالي. رد التنظيم على الضغط العسكري المستمر بموجة من العربات المفخخة الانتحارية والانغماسيين. وذكر العقيد إسماعيل شكري (قائد فرع المخابرات العسكرية الليبية في مصراتة) الذي كان يراقب عن كثب جبهة القتال في درنة، أن "عملياتهم كانت غير تقليدية. اشتملت على جميع أنواع التفخيخ والتلغيم [...] وقد أخّرت بالتأكيد هزيمتهم"[47]. وبحلول 1 تموز/يوليو 2015، انتصر مجلس شورى مجاهدي درنة على نحوٍ حاسم في وسط المدينة. لكنّ تنظيم الدولة ظلّ يسيطر على أجزاء من الضواحي الساحلية الشرقية، وعلى منطقة الفتائح في جنوب شرق درنة، وعلى مفترق طريق الحيلة الحساس الذي تمكّن التنظيم من خلاله من الوصول إلى الخدمات اللوجستية من الموالين له في أجدابيا وسرت.

بدأ تحالف المجموعات المسلحة المحلية المناهض لتنظيم الدولة في الاعتماد كثيرًا على تكتيكات حرب الغوار. قال العقيد مفتاح حمزة (قائد جبهة الحيلة في مواجهة تنظيم الدولة في درنة): "كان علينا ترويعهم مثلما أرهبونا.

(45) على سبيل المثال، ينظر: "حول مقتل القيادي سالم دربي وتطورات الأوضاع في مدينة درنة"، يوتيوب، 10/ 6/ 2015، شوهد في 22/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2sbB9RD؛ ليبيا الأحرار، "أرشيف وتاريخ: لقاء مع آمر كتيبة شهداء بوسليم درنة سابقا سالم دربي"، يوتيوب، 25/ 11/ 2019 [2013]، شوهد في 22/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/36nN51p

(46) ينظر: "الرمال المتحركة – درنة"، يوتيوب، 25/ 2/ 2018، شوهد في 11/ 12/ 2019، الدقيقة 13:10، في: https://bit.ly/2REamlo

(47) إسماعيل شكري (قائد فرع المخابرات العسكرية الليبية في مصراتة)، من مقابلة في: المرجع نفسه، الدقيقة 18:02.

كنا نضرب ونهرب ليلًا خلف خطوطهم. زرعنا الألغام لتخريب عرباتهم المدرعة وزرعنا العبوات الناسفة على طرقهم [...] كان جميع الشباب [الرجال المسلحون] في درنة يساعدوننا"[48]. وفي 11 تموز/ يوليو 2015، أصدر تنظيم الدولة شريط فيديو دعائيًا عنوانه "صبرًا صحوات درنة"[49]. اعترف التنظيم ضمنيًا بهزيمته العسكرية في درنة، وبعث رسائل دعم إلى سجناء التنظيم المحتجزين لدى مجلس شورى مجاهدي درنة، ووعد بمزيد من العبوات الناسفة[50]. وعلى الرغم من الوعد والوعيد، ظلّ التنظيم محاصرًا في الفتائح، ولم يتمكن من التمدد.

في 13 تشرين الثاني/ نوفمبر 2015، فقدَ تنظيم الدولة في ليبيا زعيمه، أبو نبيل الأنباري، في غارة جوية أميركية[51]، وعقب ذلك، صعّد التنظيم حملته في درنة. وما بين تشرين الثاني/ نوفمبر 2015 وشباط/ فبراير 2016، أعلن مسؤوليته عن 15 هجومًا بالقنص، و32 هجومًا بالعبوات الناسفة، وسبع عمليات بتشكيلات الانغماسيين[52]. استطاع التنظيم في درنة قتل اثنين من الشخصيات القيادية في التحالف ضده: العقيد محمد بوغفير (قائد جبهة الفتائح حتى وفاته في 15 تشرين الثاني/ نوفمبر 2015)، والعقيد صالح صهد (نائبه وأحد الضباط السابقين البارزين في درنة). كان الاثنان ضابطين عسكريين من

(48) العقيد مفتاح حمزة (قائد جبهة الحلّة ضد "داعش" في درنة)، مقابلة في: المرجع نفسه، الدقائق 24:30-26:40. أصبح العقيد حمزة قائدًا للجبهة بداية من 15 تشرين الثاني/ نوفمبر 2015، بعد مقتل القائد السابق العقيد محمد بوغفير.

(49) أطلق تنظيم الدولة على مجلس شورى مجاهدي درنة والوحدات المناهضة للتنظيم في درنة اسم "مجالس الصحوة"، على غرار الميليشيات القبلية المناهضة لتنظيم الدولة في العراق في عامي 2006-2007. وهذا أحد أشكال الدعاية لنزع الشرعية عن أي حركات محلية مناهضة لتنظيم الدولة واعتبارها عميلة للولايات المتحدة.

(50) "تنظيم الدولة يقر بخسارة درنة الليبية في تسجيل مصور"، **عربي 21**، 12/ 6/ 2015/ شوهد في 22/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2LKBhOT؛ "'داعش' يعترف بخسارة درنة"، **بوابة أفريقيا الإخبارية**، 12/ 7/ 2015، شوهد في 22/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2qCx0Wm

(51) Martin Pengelly & Chris Stephen, "Islamic State leader in Libya 'Killed in US Airstrike'," *The Guardian*, 14/11/2015, accessed on 22/8/2021, at: https://bit.ly/2rzn3JR

(52) نشرة النبأ، العدد 21 (28 جُمادى الأولى 1437هـ [8/ 3/ 2016])، ص 2.

الشرق، انشقّا عن جيش القذافي للانضمام إلى ثورة شباط/ فبراير، وفي مرحلة لاحقة، رفضا الانضمام إلى تحالف حفتر المسمّى "الجيش الوطني الليبي" المكوّن من ميليشيات قبلية ومنشقين عن جيش القذافي[53]. قُتل العقيدان على جبهة الفتائح، في أثناء تنسيقهما عملية مناهضة لتنظيم الدولة مع مجلس شورى مجاهدي درنة ووحدات مسلحة أخرى. قال العقيد مفتاح حمزة (قائد الوحدات في الفتائح بعد مقتل بوغفير وصهد): "فقدنا أكثر من 215 من رجالنا [...] معظمهم في هجمات قناصة وغارات ليلية [من تنظيم الدولة]"[54]. "لكننا آذيناهم [...] خلفوا وراءهم حوالى 100 مقاتل في الفتائح. كان يقودهم ليبي، إبراهيم الورفلي، لكن أعتقد أن معظم المقاتلين كانوا أجانب"[55].

حلّ عبد القادر النجدي الذي هدد بـ "غزو روما" خلال مقابلة دعائية سيئة الصيت في نشرة **النبأ**، نُشرت في 8 آذار/ مارس 2016[56]، خلفًا لأبي نبيل الأنباري. لكنّ النجدي قرر بدلًا من "غزو روما" الانسحاب الكامل من منطقة الفتائح في درنة إلى سرت في وقت متأخر من ليلة 19 نيسان/ أبريل 2016 والساعات الأولى من اليوم التالي. وقال العقيد حمزة: "فرّوا ليلًا [...] بشكل رئيس عبر المناطق والطرق التي تسيطر عليها عملية الكرامة [ميليشيات الجيش الوطني الليبي] ومن دون أي تدخل منهم"[57]. وقُدرت قوات تنظيم الدولة التي انسحبت من درنة بـ 70 مركبة مسلحة (أساسًا شاحنات صغيرة خفيفة

---

(53) "Meeting of Al-Bayda Tribal Elders".

(54) "الرمال المتحركة – درنة"، الدقائق 32:00-33:40.

(55) "آمر غرفة عمليات الفتائح يكشف اسم قائد تنظيم 'داعش' بالمنطقة"، **الوسط**، 22/ 3/ 2016، شوهد في 11/ 12/ 2019، في: https://bit.ly/2RIq994

على عكس شهادة العقيد حمزة، قال أبو سليمان التاجوري، وهو قيادي سابق في تنظيم الدولة في سرت، كانت أغلبية مقاتلي التنظيم في درنة من السكان المحليين. لكنه شدد أيضًا على أن أغلبية مقاتلي التنظيم في سرت كانت من غير المحليين، ومعظمهم من أجزاء أخرى من أفريقيا. وهذا ليس تناقضًا بالضرورة. وكانت تصريحات العقيد حمزة تدور حول إطار زمني محدد (آذار/ مارس – نيسان/ أبريل 2016) وموقع محدد (منطقة الفتائح). وكانت تعليقات التاجوري تقديرات عامة حول خلفية المقاتلين في درنة (2014-2016) وسرت (2015-2016).

(56) ينظر: "مقابلة مع عبد القادر النجدي".

(57) "الرمال المتحركة – درنة"، الدقائق 35:00-36:30.

التدريع وعربات محوَّرة)، على متنها حوالى 217-300 فرد (مزيج من مقاتلي التنظيم وعدد قليل من العائلات)[58]، قصدوا مدينة سرت. وقال العميد محمد الغصري (أحد قادة وحدات الجيش الليبي في حكومة الوفاق الوطني المعترف بها دوليًا، والمتحدث باسم عملية البنيان المرصوص لتحرير سرت من تنظيم الدولة)[59]: "عرفناهم بالاسم [بعد معركة عام 2016] في سرت. إنهم 217 مقاتلًا. ونحن نتساءل لماذا لم تقصفهم قوات حفتر في رحلة طولها 800 كيلومتر [500 ميل] من درنة إلى سرت".

2. جبهة سرت: آذار/ مارس 2015 - كانون الأول/ ديسمبر 2016

كان تنظيم الدولة يتراجع تدريجيًا في معركة درنة، بينما كان يتقدم تدريجيًا في معركة سرت الأكثر استراتيجية[60]. وعلى غرار درنة في ولاية برقة، أصبحت سرت تدريجيًا مركز ولاية طرابلس التابعة للتنظيم. تمتد ولاية طرابلس، بحسب وثائق التنظيم، مسافة 465 ميلًا على الساحل الليبي، من بلدة النوفلية (90 ميلًا شرق سرت) إلى بلدة رأس أجدير على الحدود الليبية - التونسية. لكنّ تنظيم الدولة سيطر عسكريًا على أجزاء صغيرة فحسب من هذا الامتداد الساحلي في أطر زمنية مختلفة، بما في ذلك النوفلية وهراوة وأبو قرين وسرت وأجزاء من صبراتة (50 ميلًا غرب طرابلس). كان للتنظيم وجود في أماكن أخرى في غرب ليبيا، كخلايا صغيرة في حجم طواقم أو فصائل نظامية، بما في ذلك طرابلس ومصراتة، واستخدمت الإرهاب الحضري وتكتيكات حرب الغوار.

في سرت، كان تمركز وحدات تنظيم الدولة جيدًا في المدينة وحولها، قبل بدء التصعيد المسلح في درنة في حزيران/ يونيو 2015، وذلك لأسباب

(58) قائد سابق في كتيبة علي حسن الجابر (البيضاء)، مقابلة شخصية، تونس، 23/ 9/ 2017.

(59) العميد محمد الغصري، المتحدث باسم عملية البنيان المرصوص، مقابلة في: "الرمال المتحركة - درنة"، الدقائق 37:00-38:30.

(60) سرت هي مسقط رأس معمر القذافي، ومعقل من معاقله، حيث يوجد عدد كبير من قبيلته (القذاذفة). تقع مدينة سرت، مثل مدينة درنة، على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

عدة؛ فعلى المستوى الكلّي، ومع أن البيئة الاجتماعية - السياسية في سرت تشبه في بعض النواحي تلك الموجودة في درنة، فإن بعض الاختلافات ساعد في تمدد التنظيم في مسقط رأس القذافي[61] ومعقل قبيلته[62]. استقطب التنظيم في سرت أفرادًا وفصائل من الفرع المحلي لأنصار الشريعة، التنظيم السلفي الجهادي المحلي الذي كان يعمل بالفعل في سرت. رسّخ الأنصار وجودهم في سرت بحلول حزيران/ يونيو 2013. وفي الأشهر الستة التالية، امتلكت الجماعة القدرة على تنظيم الشؤون العامة وتسيير الدوريات الأمنية في مختلف الأحياء، وفي جامعة سرت، والقيام ببعض أعمال الشرطة وتنظيم حركة المرور والفصل في قضايا النزاع بين القبائل والعشائر في سرت وحولها وتنظيف الطرق، والقيام بمهمات الحكم المحلي الأخرى. لكن على عكس درنة[63]، كان سوق المجندين المحتملين أوسع من مجرد المنشقين عن الكيانات الجهادية المحلية، ومن قدرتها على الاستيعاب الجماعي لهم. ويرجع ذلك أساسًا إلى خصوصيات سرت وتاريخها في ظل نظام القذافي. لم يجند تنظيم الدولة من مجموعة السلفيين الجهاديين فحسب، بل أيضًا من الموالين للقذافي من العسكريين والمدنيين في سرت، بطريقة مماثلة لما فعله تنظيم الدولة/ "داعش"/ دولة العراق الإسلامية/ القاعدة في العراق/ التوحيد والجهاد مع عددٍ من الموالين لحزب البعث في العراق[64]. وبطريقة ما، تقاطع ما كان

(61) وُلد معمر القذافي بالقرب من قصر أبو هادي، وهي منطقة خارج سرت في طرابلس (شمال غرب ليبيا).

(62) تنحدر عائلة القذافي من مجموعة قبلية صغيرة غير مؤثرة نسبيًا تسمى القذاذفة.

(63) تجدر الإشارة هنا إلى أن شعبية الإسلاميين بصفة عامة، والجهاديين بصفة خاصة، في درنة مضخّمة جدًا في بعض وسائل الإعلام، وحتى في بعض المؤلفات الأكاديمية. ويتضح هذا في نتائج أول انتخابات برلمانية حرة ونزيهة في تاريخ ليبيا في تموز/ يوليو 2012. في الدائرة الانتخابية الأولى (حيث تقع درنة)، حقق تحالف القوى الوطنية (غير الإسلامي) أكثر من 62,000 صوت. وحصل حزب العدالة والبناء الإسلامي التابع للإخوان المسلمين على 8619 صوتًا فقط. وجاء التيار الوطني الوسطي ذو الميول الليبرالية في المركز الثالث بحصوله على 4962 صوتًا. عمومًا، اختار أكثر من 85 في المئة من ناخبي الدائرة الانتخابية الأولى أحزابًا غير إسلامية.

(64) خلافًا للأسطورة الشائعة، كان نجاح تنظيم الدولة في تجنيد البعثيين السابقين في العراق محدودًا. فالأغلبية العظمى من "البعثيين" انضمت إما إلى مؤسسات الدولة (العسكرية والأمنية وغيرها من فروع =

يطرحه تنظيم الدولة مع العديد من عناصر دعاية القذافي ومواقفه. فقد كان التنظيم على شاكلة نظام القذافي، معاديًا للغرب، ومناهضًا للديمقراطية، وغاية في الوحشية والتساهل مع القمع وانتهاكات حقوق الإنسان، ومعاديًا لثورة 17 شباط/ فبراير وأهدافها[65]. ذكر اللواء يوسف المنقوش (رئيس الأركان السابق للجيش الليبي)[66] أن "بعض الضباط العسكريين السابقين في سرت، فضّلوا تنظيم الدولة على ثورة 17 شباط/ فبراير. وذلك ساعد التنظيم على التقدم". وأعرب أحمد قذاف الدم (ابن عم القذافي وأحد القادة الأساسيين والمسؤولين السابقين في نظامه) علنًا عن دعمه لتنظيم الدولة على قناة تلفزيونية مصرية في 17 كانون الثاني/ يناير 2015[67].

خلال ذلك الشهر نفسه، استولت وحدات تنظيم الدولة على مواقع عدة في سرت من دون مقاومة تذكر. وقدّم العشرات من أفراد القبائل المحلية، ومنهم القذاذفة والورفلة والفرجان وترهونة، المساعدة للسيطرة على البنية التحتية الحيوية[68]. وشمل ذلك استخدام مركز واغادوغو للمؤتمرات مركز قيادة للتنظيم[69]. ومن هناك، أعدّ التنظيم عملية مسلحة لاحتلال مدينة النوفلية بأكثر من 40 عربة دفع رباعي مسلحة، وبالعربات المحوَّرة، وانطلقت كلها من سرت في 8 شباط/ فبراير 2015. كانت معركة النوفلية ضرورية كي تصبح

= الحكومة) وإما إلى المنظمات غير التابعة للتنظيم أو المناهضة له. للاطلاع على الموقف الرسمي للتنظيم من الموالين لحزب البعث، ينظر، على سبيل المثال: "تفكيك الوحدات المسلحة لمرتدّي حزب البعث"، **النبأ**، العدد 1 (3 مُحَرَّم 1437هـ [17/ 10/ 2015])، ص 9.

(65) على سبيل المثال، ينظر: "توبة 42 عنصرًا يعملون في وزارة الداخلية"، **المكتب الإعلامي لولاية طرابلس**، 14/ 2/ 2015.

(66) اللواء يوسف المنقوش، رئيس الأركان السابق للقوات المسلحة الليبية، مقابلة شخصية، إسطنبول، آذار/ مارس 2017.

(67) "مقابلة مع أحمد قذاف الدم، ابن عم القذافي وأحد القادة الرئيسين والمسؤولين السابقين في نظامه"، يوتيوب، 17/ 1/ 2017، شوهد في 22/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2E8FYxW؛
"Former Libyan Official Ahmad Qadhaf Al-Dam: I Support ISIS, Which Should Have Been Established 50 Years Ago," *MEMRI TV*, 17/1/2015, accessed on 22/8/2021, at: https://bit.ly/2P9NHBZ

(68) أبو سليمان التاجوري، قائد في تنظيم الدولة الإسلامية أسرته قوات البنيان المرصوص، مقابلة في: "الرمال المتحركة - درنة"، الدقائق 06:00-06:30.

(69) المركز الذي كان العقيد القذافي يستضيف فيه رؤساء الدول والمؤتمرات الأفريقية.

المدينة حاجزًا استراتيجيًا شرقيًا لسرت. وفي حالة هجوم قوات مصراتة من الغرب، يمكن أن تكون النوفلية (ولاحقًا هراوة) عمقًا استراتيجيًا في حال انسحاب تنظيم الدولة.

حقق تنظيم الدولة انتصارًا سريعًا في معركة النوفلية، التي كانت من بين المعارك القليلة التي تفوّق فيها على أعدائه، عدديًا. كان هناك، حين هاجم التنظيمُ، حوالى 50 رجلًا من رجال الشرطة المحليين في النوفلية بقيادة المقدم محمد عبيد[70]. وقُدرت القوة البشرية للتنظيم بحوالى 200 مقاتل، في 40 عربة دفع رباعي وعربة محوَّرة، ما يعني تفوّقه بنسبة 4 إلى 1. وأعلن التنظيم بعد احتلاله البلدة عن تنصيب علي القرقاعي (أبو همام الليبي) أميرًا عليها.

استولت وحدات تنظيم الدولة على محطة الإذاعة المحلية في سرت، في 12 شباط/ فبراير 2015، مدفوعة بالثقة التي منحها لها انتصارها السريع في النوفلية. وبدأ التنظيم ببث خطب زعيمه أبو بكر البغدادي في 13 شباط/ فبراير 2015 على موجات إذاعة سرت من دون أي اعتراض يُذكر[71]. وفي 19 شباط/ فبراير 2015، بات التنظيم الحاكم الفعلي بلا منازع في سرت. وفي عرض للقوة، نظّم التنظيم عرضًا عسكريًا، قوامه نحو 60 مركبة مسلحة رباعية الدفع وعربة محوَّرة[72]. تمدد التنظيم على نحو أكبر في المدينة وسيطر على استوديو تلفزيون الوطنية ومستشفى ابن سينا، وجامعة سرت ومركز الهجرة والمباني الحكومية المحلية[73]. ونصّب أميرًا محليًا مكنى بوليد الفرجاني[74].

---

(70) قائد سابق في عملية البنيان المرصوص، مقابلة شخصية، إسطنبول، 12/ 11/ 2018.

(71) محمد العربي، "ليبيا ... 'داعش' يبثّ خطب البغدادي في سرت"، **العربية**، 13/ 2/ 2015، شوهد في 22/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2sib1V6؛ "معركة سرت: فرضيّات ووقائع"، **أخبار ليبيا**، 18/ 3/ 2015، شوهد في 22/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2PbnjrF

(72) "تنظيم 'الدولة الإسلامية' يستعرض قوته في شوارع سرت الليبية والجامعة تغلق أبوابها"، **فرانس 24**، 19/ 2/ 2015، شوهد في 11/ 12/ 2019، في: https://bit.ly/2PaUECU؛ "عرض عسكري لتنظيم الدولة في 'سرت' بليبيا (فيديو وصور)"، **عربي 21**، 19/ 2/ 2015، شوهد في 22/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/35cIm2m

(73) "عرض عسكري لتنظيم الدولة في 'سرت' بليبيا (فيديو وصور)".

(74) قائد سابق في عملية البنيان المرصوص.

بحلول أوائل آذار/مارس 2015، كان تنظيم الدولة قد نشر ثمانية تشكيلات مسلحة، يراوح عدد المقاتلين في كل منها بين 50 و100 مقاتل، للسيطرة على سرت كلها(75). ردت على هذه التطورات قوات فجر ليبيا، وهو تحالف من تشكيلات عسكرية من مصراتة(76) أساسًا، وتعمل رمزيًا تحت قيادة رئيس أركان الجيش الليبي الذي كان لا يزال مواليًا لحكومة الإنقاذ الوطني في طرابلس. نشرت قوات فجر ليبيا الكتيبة 166 حول سرت في محاولة للسيطرة على وسط المدينة والجامعة ومناطق أخرى واستعادتِها من وحدات التنظيم. وقال محمد علي عبد الله (العضو المنتخب في المؤتمر الوطني العام(77) من مصراتة وزعيم حزب الجبهة الوطنية): "كان لدى قوات تنظيم الدولة ما يقرب من 100 إلى 150 عربة مسلحة [عربات محوَّرة وسيارات دفع رباعي]"(78). وكان لدى فجر ليبيا حوالى 300 من سيارات الدفع الرباعي المسلحة والعربات المحوَّرة، تحمل بين 1200 و1500 جندي ومقاتل(79). اندلعت المعركة في 14 آذار/مارس 2015. ومالت نسبة القوى البشرية قليلًا إلى غير مصلحة تنظيم الدولة، حيث بلغت حوالى 1.8 إلى 1.

جرت المعركة على نحو متقطع وفوضوي ووحشي. في البداية، هاجمت القوات البرية لفجر ليبيا الضواحي الغربية للمدينة، مستخدمةً القصف الجوي لمهاجمة مركز القيادة والسيطرة للتنظيم في مركز واغادوغو للمؤتمرات(80).

---

(75) المرجع نفسه؛ "معركة سرت: فرضيّات ووقائع".

(76) ينحدر معظم التشكيلات المسلحة التي حاربت في معركتي سرت من مدينة مصراتة.

(77) أول برلمان ليبي منتخب بحرّية، وكان الهيئة التشريعية الرئيسة بين آب/أغسطس 2012 وآب/أغسطس 2014.

(78) محمد عبد الله، رئيس حزب الجبهة الوطنية إنقاذ ليبيا، مقابلة شخصية، إسطنبول، شباط/فبراير 2016.

(79) المرجع نفسه.

(80) "جنود القذافي يقاتلون تحت راية تنظيم الدولة الاسلامية"، **القدس العربي**، 17/3/2015، شوهد في 22/8/2021، في: https://bit.ly/34dthMK؛ "'فجر ليبيا' تشن غارات جوية على 'تنظيم الدولة' بسرت"، **الجزيرة مباشر**، 24/4/2015، شوهد في 22/8/2021، في: https://bit.ly/2LFryta؛ Yasmine Ryan, "ISIS in Libya: Muammar Gaddafi's Soldiers are Back in the Country and Fighting under the Black Flag of the 'Islamic State'," *Independent*, 26/3/2015, accessed on 22/8/2021, at: https://bit.ly/2EiJh5P

وبحلول 17 آذار/ مارس 2015، بدا أن فجر ليبيا يتقدم على كل الجبهات في سرت وما حولها. وأعلن عن قتل 24 شخصًا من مقاتلي تنظيم الدولة وأسر العشرات وإصابة أكثر من 39 مقاتلًا، بينهم ضابط أمن رفيع المستوى في نظام القذافي، كان يقاتل إلى جانب التنظيم[81]. وعلاوة على ذلك، قتل فجر ليبيا، خلال عملياته في شرق سرت، أميرَ النوفلية علي القرقاعي، خلال معركة هراوة (45 ميلًا إلى الشرق من سرت). لكن هذا التقدم السريع لفجر ليبيا تحوّل إلى مأزق دموي، أعقبه تراجع كامل. كانت لدى كلٍّ من فجر ليبيا وتنظيم الدولة في ليبيا موارد محدودة على صُعد القوة البشرية والقوة النارية والدعم الخارجي والأموال والذخيرة. لكن التنظيم كان أفضل في إدارة الموارد المحدودة والاقتصاد في استخدام الذخيرة وبعثرة وحداته واستيعاب الخسائر الأولية، بما في ذلك خسارة القادة.

لم تكن نتائج المعركة جيدة في أوائل حزيران/ يونيو 2015 بعد ثلاثة أشهر من القتال. ذلك أن فجر ليبيا فقدَ الزخم والموارد[82]، وقال محمد زادما (ضابط في الكتيبة 166) في حزيران/ يونيو 2015: "يمكننا البقاء في الخطوط الأمامية ونأكل الخبز فقط ونشرب الماء فقط، لكن القوات لا تستطيع البقاء هناك بلا ذخيرة وأسلحة"[83]. استغلّ تنظيم الدولة محدودية الموارد والإرهاق الذي لحق بوحدات فجر ليبيا، فصعّد نشاطه بموجة من العربات المفخخة الانتحارية، منها هجوم على نقطة تفتيش عسكرية بالقرب من مصراتة. وبحلول أوائل حزيران/ يونيو 2015، كان التنظيم يتقدم في جنوب سرت وشرقها

(81) "جنود القذافي يقاتلون تحت راية تنظيم الدولة الإسلامية". على عكس درنة – حيث قاتل أفراد من الأسرة الواحدة نفسها بعضهم ضد بعض مع أطراف متحاربة مختلفة – لا يمكن استبعاد الاستقطاب القبلي المناطقي (وليس الاستقطاب الأيديولوجي) في معركة سرت في آذار/ مارس وحزيران/ يونيو 2015. جاء معظم عناصر الكتيبة 166 من مصراتة، في حين أن كثيرًا من مقاتلي التنظيم كانوا من قبائل وعشائر مقرّها في سرت، أو من بلدات قريبة مثل النوفلية. وكان من الممكن تفسير حملة الكتيبة 166 باعتبارها هجومًا على القبائل المتمركزة في سرت من جانب قبائل/ عشائر مصراتة.

(82) Tom Westcott, "No Ammo to Fight IS in Central Libya, Says Military," *Middle East Eye*, 5/6/2015, accessed on 22/8/2021, at: https://bit.ly/2PwMqnH

(83) Ibid.

وغربها وفي ضواحيها[84]. وأكد سليمان موسى (الضابط في الكتيبة 166) أن قواته تراجعت أمام التنظيم في الاتجاهات الأربعة كلها[85]، بما في ذلك عبر البحر الأبيض المتوسط إلى الشمال بوساطة قوارب بدائية الصنع[86].

استولى مقاتلو تنظيم الدولة في هذه المرحلة على كل أنحاء سرت تقريبًا وأجزاء من ضواحيها والمناطق المجاورة. وشملت المناطق التي سقطت مواقعَ استراتيجية، مثل المحطة البخارية وبوابة الخمسين في الغرب، وقاعدة القردابية (12 ميلًا إلى الجنوب من سرت)، وثكنات الكتيبة 136 (حيث استولى تنظيم الدولة على عدد من دبابات تي-55)، ومحطة معالجة المياه الرئيسة (جزء من مشروع النهر الصناعي)، وكلاهما يقع في شرق سرت. وبحلول منتصف حزيران/ يونيو 2015، انتصر التنظيم هناك انتصارًا حاسمًا.

لكن الحرب في سرت لم تنتهِ بعد. وحدث تقدم لتنظيم الدولة أيضًا غرب سرت، واحتلّ مدينة أبو قرين الاستراتيجية[87]؛ ما أثار قلق كل من طرابلس (حيث وصلت إلى هناك حكومة الوفاق الوطني المعترف بها دوليًا في 30 آذار/ مارس 2016) ومصراتة (ومنها الوحدات العسكرية الأكثر تنظيمًا وولاء رمزيًا لحكومة الوفاق الوطني). وفي 5 أيار/ مايو 2016، شُكِّل تحالف عسكري مدعوم من حكومة الوفاق الوطني واتخذ الاسم الرمزي البنيان المرصوص[88]، بهدف تحرير سرت والمدن والقرى الغربية الأخرى. نجح قادة حكومة الوفاق الوطني ومصراتة في حشد حوالى 6000 جندي ومقاتل

(84) Soliman al-Zawi & David Kirkpatrick, "Western Officials Alarmed as ISIS Expands Territory in Libya," *The New York Times*, 31/5/2015, accessed on 11/12/2019, at: https://nyti.ms/2sgjmZH

(85) Ibid.

(86) قائد سابق في عملية البنيان المرصوص.

(87) تُنطق "بوغرين" في ليبيا. وهي بلدة تقع في منتصف الطريق بين مدينتي سرت ومصراتة، وتتبع مقاطعة مصراتة. ولها موقع استراتيجي على مفترق الطرق بين الطريق الساحلية الليبية وطريق فزّان، مما يتيح الوصول المباشر إلى شرق ليبيا وغربها وجنوبها.

(88) الاسم مشتق من آية قرآنية. ضم تحالف البنيان المرصوص أساسًا الكتيبة 166 وتشكيلات من مصراتة بحجم سرايا وفصائل، إضافة إلى تشكيلات أخرى بحجم سرايا جاءت من مدن مثل زليتن وسبها.

مع مدفعية وقطع مدرعة، وبعض أسراب القوات الجوية الليبية الموالية لحكومة الوفاق الوطني. تمكّنت حكومة الوفاق الوطني وقوات البنيان المرصوص من الحصول على دعم من التحالف الدولي لهزيمة "داعش"، أساسًا من الولايات المتحدة الأميركية والمملكة المتحدة وإيطاليا. وبعد ثلاثة أشهر من المعركة، في 1 آب/ أغسطس 2016، أطلقت القيادة العسكرية الأميركية في أفريقيا عملية "برق الأوديسا"، "لمساعدة حكومة الوفاق الوطني وشركاء التحالف الآخرين على إخراج مقاتلي تنظيم الدولة من سرت"[89]. شاركت في العملية القوات الجوية الأميركية، وطائرات هارير التابعة لمشاة البحرية[90]، إضافة إلى وحدات بريطانية من القوة الجوية الخاصة وقوة القوارب الخاصة[91].

في المقابل، قُدرت القوة البشرية لولاية طرابلس في سرت بـ 2000 مقاتل كحد أقصى. ومن ثمّ كان التفوق لغَير مصلحة تنظيم الدولة بنسبة 3 إلى 1. وفيما يتعلق بالتسليح، امتلك التنظيم في سرت ترسانة مشتركة من الأسلحة التقليدية وحرب الغوار والإرهاب، تضمّنت ما لا يقل عن أربع دبابات تي-72، وخمس دبابات تي-55[92]، وما لا يقل عن 12 من تشكيلات المغاوير جيدة التسليح (كل منها بحجم فصيلة إلى سرية)[93]، وعددًا من أنظمة الدفاع

---

(89) Christian Clausen, "Providing Freedom from Terror: RPAs Help Reclaim Sirte," *Air Combat Command*, 1/8/2017, accessed on 22/8/2021, at: https://bit.ly/2RFoe59; "US Airstrikes in Support of the GNA, October 13," United States Africa Command, *Press Release*, 14/10/2016, accessed on 22/8/2021, at: https://bit.ly/2PAj6fP; Adam Entous & Missy Ryan, "In Libya, United States Lays Plans to Hunt Down Escaped Islamic State Fighters," *The Washington Post*, 11/11/2016, accessed on 22/8/2021, at: https://wapo.st/2LKsmNz; Sudarsan Raghavan, "Even with US Airstrikes, a Struggle to oust ISIS from Libyan Stronghold," *The Washington Post*, 7/8/2016, accessed on 22/8/2021, at: https://wapo.st/2sfdGir

(90) Edward Chang, "The Harrier: The US Marine Corps Loves This Plane For 1 Big Reason," *The National Interest*, 29/3/2019, accessed on 22/8/2021, at: https://bit.ly/38si1zk

(91) "Three British ISIS Members Killed by SBS Soldiers in Sirte," *Libyan Express*, 4/7/2016, accessed on 11/12/2019, at: https://bit.ly/36o9hZd; Miss Ryan, "US Special Operations Troops Aiding Libyan Forces in Major Battle against Islamic State," *The Washington Post*, 9/8/2018, accessed on 22/8/2021, at: https://wapo.st/35dQNdR

(92) Tom Westcost, "IS Seizes Libya Airbase after Misrata Forces Pull out," *Middle East Eye*, 30/5/2015, accessed on 22/8/2021, at: https://bit.ly/35aaraA;

قائد سابق في عملية البنيان المرصوص.

(93) Westcost.

الجوي المحمولة إس أي-16، وإس أي-18 وحوالى 1000 عبوة ناسفة[94]. سمحت كمية العبوات الناسفة المتوافرة للتنظيم بتنفيذ 120 عملية انتحارية بين منتصف أيار/ مايو 2016 وبداية كانون الأول/ ديسمبر 2016، بحسب زعم أمير إقليم طرابلس أبو حذيفة المهاجر في مقابلة مع مجلة رومية[95]. ومن بين 120 عملية انتحارية مزعومة، تحقق المؤلف من 36 على الأقل، نُفّذت بوساطة عربات مفخخة انتحارية، وسجّلها في قاعدة بيانات (ISWD)[96]. فضلًا عن ذلك، شملت عملياتٌ لانغماسيين ما لا يقل عن خمس عمليات باستخدام أحزمة ناسفة[97].

بين أوائل أيار/ مايو ومنتصفه، تقدّمت قوات البنيان المرصوص ببطء، لكن بثبات، من الحدود الشرقية لمديرية مصراتة، وعبرت الحدود الغربية لمديرية سرت[98]. استولت هذه القوات على بلدة أبو قرين الاستراتيجية (90 ميلًا غرب سرت) في 17 أيار/ مايو، بعد 12 يومًا من القتال. وفي 19 أيار/ مايو، ردّ تنظيم الدولة عبر تكتيك معروف لديه لكسر الزخم، وشنّ موجةً من الهجمات باستخدام العربات/ الشاحنات المفخخة الانتحارية، أبطأت تقدم قوات البنيان المرصوص. ففي ذلك اليوم، قُتل 30 جنديًا في عملية واحدة باستخدام شاحنة مفخخة انتحارية على بعد 56 ميلًا من سرت[99]. وفي 8 حزيران/ يونيو 2016، اقتحمت قوات البنيان الضواحي الغربية لمدينة سرت، أول مرة، على الرغم من تكبّدها خسائر فادحة قبل العملية وفي أثنائها. وكان

(94) Ibid.

(95) Abu Hudhayfa al-Muhajir, *Rumiyah*, no. 4, (Hijri-dated Rabi' al-Awal 1438), p. 10.

(96) قاعدة بيانات أساليب حرب الدولة الإسلامية في سرت 2016 (ISWD-Sirte16)، وهي غير متاحة في المجال العام.

(97) المرجع نفسه.

(98) قُسّمت ليبيا إلى 22 منطقة إدارية، يشار إليها أحيانًا باسم "المحافظات"، أو "الشعبيّات" (مفردها الشعبيّة، وهي واحدة من العديد من مصطلحات القذافي). وتشبه التقسيمات الجغرافية الإدارية نظام المحافظات في مصر ونظام الولايات في تونس.

(99) Seif al-Din al-Trabulsi, "Daesh Bombing Kills 30 Soldiers Near Libya's Sirte," *Anadolu Agency*, 5/19/2016, accessed on 11/12/2019, at: https://bit.ly/35np9Lm

حرس المنشآت النفطية[100]، وهم ميليشيات موالية لحكومة الوفاق الوطني، تساند قوات البنيان المرصوص، يتقدمون أيضًا من الشرق[101]، ووصلوا إلى هراوة (45 ميلًا شرق سرت) في اليوم نفسه[102].

في أثناء تقدم قوات البنيان المرصوص وشركائها، كان تنظيم الدولة يتسلّل ويضرب من وراء خطوطها، بما في ذلك هجوم مدمر تقدمته عربة مفخخة انتحارية، استهدف مركز شرطة أبو قرين، وأسفر عن مقتل 10 جنود في 16 حزيران/ يونيو 2016[103]. خسرت قوات البنيان المرصوص أكثر من 200 جندي أو نحو ثلاثة في المئة من إجمالي القوة البشرية لديها، في الشهر الأول من المعركة التي استمرت ستة أشهر. لكن أكبر خسائرها كانت في تموز/ يوليو 2016، قبل التدخل الأميركي مباشرة. ونتجت الإصابات أساسًا من العربات المفخخة الانتحارية ونيران القناصة. تركزت خلال ذلك الشهر القوة البشرية لتنظيم الدولة في منطقة الميناء شمال المدينة، وفي مركز واغادوغو للمؤتمرات في جنوب شرقها. وفي 15 حزيران/ يوليو 2016، فشلت قوات البنيان المرصوص في الاستيلاء على هذا المركز بعد أن ضربت قواتِه المهاجمة ثلاثُ عربات مفخخة انتحارية، تلاها هجوم من أربعة تشكيلات مغاوير، كلٌّ منها بحجم فصيلة[104]. خلّف الهجوم المضاد الذي نفّذه التنظيم أكثر من 20 قتيلًا و120 جريحًا من جنود البنيان المرصوص[105]. كذلك فشل هجوم قوات البنيان الذي سعى للسيطرة على منطقة الميناء في تموز/ يوليو. ويُعزى الفشل

(100) كانت الولاءات تتغير بسرعة في ليبيا. قد تكون الميليشيات نفسها "موالية" لأطراف متعارضة في أطر زمنية مختلفة. حددت العوامل الأيديولوجية والعشائرية والقبلية والمناطقية والسياسية والاقتصادية الولاءات المختلفة؛ مع تغيّر العاملَين الأخيرين، على وجه التحديد، بسرعة.

(101) Ayman al-Warfalli, "Libyan Security Forces Pushing Islamic State Back from Vicinity of Oil Terminals," *Reuters*, 30/5/2016, accessed on 22/8/2021, at: https://reut.rs/2LKPefJ

(102) Maggie Michael, "ISIS Militants Retreat from Libya Bastion as Militias Advance," *Military Times*, 9/6/2016, accessed on 11/12/2019, at: https://bit.ly/2RFIYK1

(103) Maggie Michael, "16 Libyan Militiamen Killed in 2 IS Attacks Near Sirte," *Fox News*, 17/6/2016, accessed on 22/8/2021, at: https://fxn.ws/36m0Yx8

(104) قائد سابق في عملية البنيان المرصوص.

(105) المرجع نفسه.

إلى مزيج من تكتيكَي العبوات الناسفة والقنص المكثف الذي استخدمه ما لا يقل عن عشرة تشكيلات مغاوير، بحجم فصيلة، من تنظيم الدولة في منطقة الميناء، بما في ذلك الحيَّان الأول والثاني ومنطقة الجيزة البحرية[106]. تكبّدت قوات البنيان المرصوص في أثناء الهجوم على طريق الشط ومحيطه أكثر من 40 قتيلًا و140 جريحًا[107].

اتضح بعد شهرين من المعركة أن قوات البنيان المرصوص لا تستطيع تحمّل معدّل الإصابات في صفوفها. قال العميد محمد الغصري (المتحدث باسم قوات حكومة الوفاق الوطني والبنيان المرصوص العاملة في سرت): "إنهم [قوات البنيان/ وحكومة الوفاق] لن يتمكنوا أبدًا من الاحتفاظ بهذا الموقع الآن"[108]. وكان يشير إلى موقع في حيّ 700، على بعد نحو ثلاثة أميال من مركز واغادوغو للمؤتمرات. لكن على الرغم من الإخفاقات، فإن ضربات قوات البنيان المرصوص استطاعت الحدّ من قوة تنظيم الدولة في سرت. وبحلول منتصف تموز/ يوليو، انهار مركز التنظيم للقيادة والسيطرة في سرت. وقال العقيد شكري: "علمنا المزيد عنهم [في تموز/ يوليو]. لقد أصبحوا مجموعات منفصلة بلا تنسيق وبلا قيادة مركزية تقاتل [على نحوٍ مستقل] في أجزاء مختلفة من المدينة"[109].

جاء التدخل الأميركي في 1 آب/ أغسطس 2016 (عملية برق الأوديسا)، في لحظة حرجة بالنسبة إلى عملية البنيان المرصوص؛ ليؤدّي ببطء، وعلى نحو مهم، إلى مزيد من تدهور قوة تنظيم الدولة في سرت. وتحقّق ذلك بوساطة مزيج من الضربات الجوية الدقيقة والدعم الاستخباري والمستشارين العسكريين لحكومة الوفاق الوطني وقوات البنيان، وهجمات القوات الخاصة

(106) المرجع نفسه.

(107) المرجع نفسه.

(108) Tom Westcott, "No Ammo to fight IS in Central Libya, Says Military," *Middle East Eye*, 5/6/2015, accessed on 11/12/2019, at: https://bit.ly/2PwMqnH

(109) إسماعيل شكري قائد فرع المخابرات العسكرية الليبية في مصراتة، مقابلة في: "الرمال المتحركة - درنة".

(الأميركية، والبريطانية، والإيطالية)[110]. وفي 10 آب/ أغسطس 2016، بعد عشرة أيام من التدخل الأميركي، تمكّنت قوات البنيان المرصوص، أخيرًا، من الاستيلاء على مركز واغادوغو للمؤتمرات والمناطق المجاورة في جنوب المدينة، بما في ذلك مستشفى ابن سينا وحرم جامعة سرت[111]. وفي 12 آب/ أغسطس 2016، أطلقت هذه القوات، بمساندة أميركية، عمليةً أخرى في شمال مدينة سرت وشمال شرقها. سُميت العملية مكمداس، وهو اسم قديم لمدينة سرت[112]. كانت العملية محاولة أخرى لتحرير الشمال، بما في ذلك (من الغرب إلى الشرق) الحيَّان الأول والثاني، والجيزة البحرية، والحي الثالث. وبعد ثلاثة أشهر من القتال العنيف، تمكّنت قوات البنيان المرصوص من تحريرها كلها، بما في ذلك (أخيرًا) الجيزة البحرية في 6 كانون الأول/ ديسمبر 2016.

إجمالًا، أعلنت قيادة "أفريكوم" أنها نفّذت 495 غارة جوية دقيقة في سرت بين 1 آب/ أغسطس و19 كانون الأول/ ديسمبر 2016[113]. وقدّرت أيضًا مقتل 800 إلى 900 من مقاتلي تنظيم الدولة خلال العملية في سرت. كان الانتصار باهظ الثمن بالنسبة إلى قوات البنيان المرصوص وحكومة الوفاق الوطني والتحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة. خسرت القوات التي تقودها مصراتة أكثر من عشرة في المئة من جنودها (أكثر من 700 قتيل)، وأصيب ما يقدَّر بواحد من كل اثنين من مقاتلي قوات البنيان المرصوص في سرت خلال المعركة التي استمرت ستة أشهر[114].

---

(110) Ryan, "US Special Operations Troops Aiding Libyan Forces."

(111) "Libyans 'oust' So-Called IS from Sirte Headquarters," *BBC*, 10/8/2016, accessed on 22/8/2021, at: https://bbc.in/2LFxFxC;

عبد الله.

(112) "معركة سرت ضد 'داعش' تدخل مرحلتها النهائية"، **العربي الجديد**، 12/ 8/ 2016، شوهد في 22/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/38rhUnR

(113) "AFRICOM Concludes Operation Odyssey Lightning," *Press Release*, United States Africa Command, 20/12/2016, accessed on 22/8/2021, at: https://bit.ly/3znezmZ

(114) قائد سابق في عملية البنيان المرصوص.

ثالثًا: كيف يقاتل تنظيم الدولة في ليبيا؟

مقارنةً بالعراق (الموصل) ومصر (الشيخ زويد)، حيث كان التفوّق العددي يميل إلى غير مصلحة تنظيم الدولة على نحوٍ كبير، لم ينجح التنظيم في تحقيق اختراقات عسكرية مفاجئة في ساحات القتال الليبية. كان التفوق العددي على التنظيم قليلًا - لكنه كان كبيرًا في التسليح - في معظم المعارك التي خاضها في درنة وسرت وأماكن أخرى في شرق ليبيا وغربها، مثل صبراتة(115). لكنّ التنظيم تمكّن من احتلال أجزاء من درنة، ثم التمدد في أجزاء من مدينة سرت بين عامي 2014 و2016. وعلى الرغم من أن الاختراقات التي حققتها ولايتا برقة وطرابلس كانت محدودة نسبيًا، فإن التنظيم في ليبيا نجح في مفاجأة خصومه بالابتكارات التكتيكية والتبديلات الاستراتيجية (ما بين الإرهاب وحرب الغوار والحرب التقليدية) المماثلة لتلك التي طبّقها في العراق وسورية، وإن بكفاءة أقل.

يحلل المبحث التالي بعض الأنماط التكتيكية والعملياتية التي استخدمها تنظيم الدولة في ليبيا، استنادًا إلى المسح الكمي والنوعي لتفصيلات العمليات المسلحة التي نفّذتها وحدات التنظيم في ليبيا.

1- درنة: التكتيكات تُفشِل الاستراتيجيا

جرى اعتماد طريقة عمل مميزة في احتلال أجزاء من درنة، مقارنةً بكيفية سيطرة تنظيم الدولة على المدن والبلدات في العراق ومصر. فعلى عكس الفلوجة، لم يقاتل التنظيم في درنة في إطار تحالف، ثمّ يقضي على شركائه في التحالف فيما بعد. وعلى عكس الموصل والشيخ زويد والنوفلية، لم يكن

(115) هناك استثناءات قليلة، مثل حالة معركة النوفلية بالقرب من سرت، حيث تفوّق تنظيم الدولة عدديًا على أعدائه. وفي بنغازي أيضًا، كان التنظيم قليل العدد كذلك، لكنه قاتل في تحالف تكتيكي قصير الأجل وتمكّن من البقاء فترة أطول بكثير مما يوحي به عدده. وفي مراحل عدة، توصل حتى إلى تسويات مع الجيش الوطني الليبي بقيادة حفتر، مماثلة لتلك التي جرى التوصّل إليها مع قوات سوريا الديمقراطية في 15 تشرين الأول/ أكتوبر 2017 خلال معركة الرقة.

هناك هجوم حاسم ناجح شبيه بالحرب الخاطفة (Blitzkrieg)[116] باستخدام العربات المحوَّرة عند الاستيلاء على درنة. لكن كان هناك بعض أوجه التشابه مع احتلال "داعش" للرقة في سورية[117].

كان النجاح الجزئي للمحاولة في درنة في عامي 2014-2015 بفعل مزيج على المستوى العملياتي، بين "التطويق والتضييق" و"الإثخان والزحف"[118]، في الفترة تشرين الثاني/ نوفمبر 2014 -حزيران/ يونيو 2015. استخدم تنظيم الدولة مزيجًا من تكتيكَي العبوات الناسفة والقنص المكثف، إضافة إلى عدد من تكتيكات الاغتيال عن قرب. لكنّ الاغتيالات قوّضت الهدف الاستراتيجي المتمثل في السيطرة على درنة، وكذلك الهدف العملياتي المتمثل في محاصرة الجماعات المسلحة المناهضة للتنظيم في أحياء مختلفة كي لا تتمكّن من إسناد بعضها بعضًا. وبدلًا من إخضاعها عبر الإرهاب وتشتيت صفوفها، ردّت الجماعات المسلحة التي تتخذ من درنة مقرًا لها على الاغتيالات بالهجوم جماعيًا على كل مواقع التنظيم في المدينة. وعلاوة على ذلك، عقد مجلس شورى مجاهدي درنة تحالفات تكتيكية مع كتائب مجاورة من خارج درنة. وتعيّن على تنظيم الدولة القتال في وضعية الدفاع، من دون نجاحات هجومية سابقة للسيطرة على المدينة ونهب مواردها. يوضح الجدول (4-1) عيّنة من التكتيكات التي استخدمها تنظيم الدولة في درنة والمسجلة في قاعدة البيانات (ISWD) بين كانون الثاني/ يناير ونيسان/ أبريل 2016[119].

---

(116) لم يكن لدى تنظيم الدولة، على عكس الحرب الخاطفة الألمانية الكلاسيكية، إبان الحرب العالمية الثانية، قوة جوية أو تشكيلات مدرعة ثقيلة. أدت العربات المحوَّرة لديه الدور المشترك لسلاحي المشاة الآلي والميكانيكي في الجيوش النظامية. لكن القوة البشرية في تنظيم الدولة كانت محدودة جدًا، حيث لم تكن تُمكّنه من احتلال مدينة درنة كلها والسيطرة عليها.

(117) لمزيد من التفصيلات، ينظر: الفصل الثالث من هذا الكتاب حول كيفية قتال تنظيم الدولة "داعش" في سورية.

(118) مثل الموصل والفلوجة، تضمن عنصر "الإثخان" الاستهداف الانتقائي للأفراد الذين يحتمل أن يكونوا معادين، وشمل "الزحف" الاستيلاء على المواقع/ العقد الحرجة في وسط المدينة.

(119) هذه المجموعة من البيانات جزء من قاعدة بيانات "أساليب حرب الدولة الإسلامية" أو (ISWD-Derna16).

الجدول (4-1)

التكتيكات التي استخدمها تنظيم الدولة في درنة

(كانون الثاني/ يناير - نيسان/ أبريل 2016)

التكتيك	مرات الاستخدام
عبوات ناسفة مكثّفة	29
قنص مكثّف	10
اغتيالات عن قرب	5
تشكيلات مغاوير انتحارية (انغماسيون)	5
مدفعية	4
صواريخ غير موجَّهة	3
تشكيلات مغاوير	3
عربات مفخخة انتحارية مكثفة	2
صواريخ موجهة مضادة للدروع	2
عربات مفخخة مكثفة	1
مدافع آلية مضادة للطائرات	1
المجموع	65

المصدر: قاعدة بيانات "أساليب حرب الدولة الإسلامية" أو (ISWD-Derna16). تستند عينة هذه الفئات من التكتيكات إلى التقارير الصادرة عن نشرة النبأ الإخبارية في الفترة 5 كانون الثاني/ يناير 2016-29 كانون الأول/ ديسمبر 2016 (الأعداد من 12 إلى 61).

خاض تنظيم الدولة ثلاث معارك مدن/ ضواحٍ دفاعية، طوال 11 شهرًا في درنة. واعتمد كثيرًا على الفئات الإحدى عشرة المذكورة سابقًا من التكتيكات لمحاربة الفاعلين المسلحين دون الدولة الآخرين في المدينة. وفي كانون الثاني/ يناير 2016، حين بدأت نشرة **النبأ** تُصدر التقارير عن درنة بوتيرة أكثر انتظامًا، كان التنظيم يفقد الزخم العسكري على الأرض. اعتمد التنظيم، المتحصّن في الفتائح قبل أربعة أشهر فقط من الانسحاب الكامل، أساسًا،

على تكتيكَي العبوات الناسفة والقنص. لكنّ خيارات وحدات التنظيم في درنة كانت محدودة: إما أن تتراجع وإما أن تُدمَّر. وجاء الاختيار عقلانيًا: الانسحاب وإعادة التجمع في سرت للقتال لاحقًا.

2- سرت: تبديلات استراتيجية

من الناحية العملياتية، كانت محاولة الاستيلاء على سرت مختلفة، وأكثر نجاحًا، مقارنة بالمحاولة في درنة. لم تكن طريقة العمل المهيمنة في سرت "التطويق والتضييق"، ولا (SCCLC). ولم يعقد تنظيم الدولة تحالفًا عملياتيًا لاحتلال المدينة، كما فعل في أماكن أخرى. ولذلك تبدّلت الخطة العملياتية في سرت[120]. نجح التنظيم، على عكس ما حصل في درنة، في استيعاب فصائل الجماعات المسلحة المحلية وفصائل من القبائل المحلية وعشرات من ضباط كتائب القذافي السابقين[121]، بدلًا من شن حملة لإرهابهم. وقد نجح هذا الأمر جزئيًا بسبب ظروف البيئة المذكورة وخصوصيات سرت. ومن ثمّ، امتلك التنظيم في سرت موارد أكثر، مقارنةً بما امتلكه في درنة[122]، بما في ذلك، من حيث القوة البشرية والنارية ونوعية الأسلحة وكمية الذخيرة، واستخدم أنظمة الدفاع الجوي المحمولة[123] والعبوات الناسفة تحت المباني، والعديد من دبابات تي-55، وتي-72. وهذه الموارد، في درنة، إما لم تكن

(120) من غير الواضح ما إذا كان هذا التبديل الاستراتيجي ناتجًا من الفشل في درنة أم من عوامل سياقية أخرى.

(121) "توبة 42 عنصرًا يعملون في وزارة الداخلية".

(122) بعد الانسحاب من الفتائح في وقت متأخر من ليلة 19 نيسان/ أبريل 2016، انضم كل مقاتلي التنظيم الباقين (حوالى 217) إلى تنظيم الدولة في سرت.

(123) لم تقدم منشورات تنظيم الدولة أي تفصيلات عن نوع أنظمة الدفاع الجوي المحمولة المستخدمة. لكن بناءً على المقابلات مع جنود البنيان المرصوص ومواد مفتوحة المصدر، يُرجّح أن تكون هذه الأنظمة من طراز إس إي-16 أو إس إي-18 روسيي الصنع. كانت هذه الأنظمة متاحة على نطاق واسع في مستودعات أسلحة جيش القذافي. كما حصل تنظيم الدولة على صواريخ إس إي-7 من الثكنة 136 بالقرب من سرت. ومع ذلك، من المحتمل أن تكون هذه الصواريخ معطلة بسبب نقص بعض الأجزاء، أو بسبب مشكلات الصيانة. لمزيد من التفصيلات، ينظر:
Jonathan Broder, "Isis in Libya: How Muhammar Gaddafi's Anti-Aircraft Missiles are Falling into the Jihadists' Hands," *The Independent*, 11/3/2016, accessed on 22/8/2021, at: https://bit.ly/35de27R

متوافرة، أو متوافرة بكميات محدودة جدًا، مقارنة بسرت (مثل حالة دبابة تي-55 في درنة).

من حيث التكتيكات المستخدمة في سرت، كان هناك ميل إلى الاستمرارية أكثر من التغيير، على عكس المستوى العملياتي. اعتمد تنظيم الدولة على أسلوبه المعتاد في المزج بين تكتيكي العبوات الناسفة - المكثفة والقنص المكثف بطريقة مماثلة لدرنة. لكن وحدات تنظيم الدولة في سرت استخدمت أيضًا حرب الأنفاق والدبابات، وما لا يقل عن 36 عربة مفخخة انتحارية. وكان هناك اختلاف ملحوظ في فاعلية مختلف التكتيكات، كما لاحظ قادة البنيان المرصوص الذين حاربوا التنظيم في سرت. فقد أشار محمد الضراط (قائد المحور المركزي في قوات البنيان في سرت) إلى أن "ناقلات الجند المدرعة والدبابات ليست أقوى أسلحتهم [تنظيم الدولة]. إن أقوى أسلحتهم هي الألغام الأرضية والفخاخ والقناصة". ولخص أمير ولاية طرابلس، أبو حذيفة المهاجر، التكتيكات الرئيسة المستخدمة في مقابلة مع مجلة رومية: "الفخاخ، والعبوات الناسفة، والأنفاق، ومناورات التطويق [...] [مفارز تنظيم الدولة]، نفّذت هجمات وجولات اخترقت مواقع [قوات البنيان المرصوص]"[124]. لم تكن دعاية المهاجر بعيدة عن وقائع الميدان. فقد استطاع قادة التنظيم في سرت التنسيق على نحوٍ فعّال بين تشكيلات المغاوير، بحجم سرية وفصيلة، والانغماسيين. وفي بعض الأحياء، كانت تتقدم هجمات المغاوير والانغماسيين العربات المفخخة الانتحارية، أو العربات المحوَّرة أو الدبابات أو مركبات قتال المشاة. قال محمد الحصان (قائد الكتيبة 166) الذي حارب تنظيم الدولة في معركتي سرت: "لقد أحسنوا المناورة، والتطويق، والتسلل ثم الهجوم من الخلف بواسطة الانغماسيين [...] لقد فاجأونا مرات كثيرة. زرعوا كثيرًا من العبوات في طريقنا واستخدموا عشرات المفخخات [...] هكذا قاتلونا"[125].

---

(124) al-Muhajir.

(125) محمد الحصان، قائد في الكتيبة 166، مقابلة في: "تحقيق خاص - الرمال المتحركة .. سرت"، ج 2، يوتيوب، 4/ 6/ 2017، شوهد في 11/ 12/ 2019، في: https://bit.ly/3o9Desi

يوضح الجدول (4-2) التكتيكات التي استخدمها تنظيم الدولة في سرت والمسجلة في قاعدة البيانات (ISWD) بين كانون الثاني/ يناير وكانون الأول/ ديسمبر 2016.

الجدول (4-2)

التكتيكات التي استخدمها تنظيم الدولة في سرت

(كانون الثاني/ يناير - كانون الأول/ ديسمبر 2016)

التكتيك	مرات الاستخدام
عبوات ناسفة	63
عربات مفخخة انتحارية	36
قناصة	16
مدفعية	7
صواريخ غير موجّهة	7
تشكيلات مغاوير	7
تشكيلات مغاوير انتحارية	5
أنظمة دفاع جوي محمولة	4
مدافع آلية مضادة للطائرات	4
صواريخ موجهة مضادة للدروع	3
اغتيالات عن قرب	3
عبوات ناسفة تحت المباني (HBIEDs)	1
المجموع	156

المصدر: مجموعة بيانات أساليب حرب الدولة الإسلامية في سرت (ISWD-Sirte16).

كما هو متوقع، اعتمد تنظيم الدولة في سرت بكثافة على تكتيكات العبوات الناسفة الثابتة والعربات المفخخة الانتحارية والقناصة. واستخدم

تكتيكات أخرى على النحو المُبيّن في الجدول (4-2)، إضافة إلى حرب المدرعات والأنفاق[126]. استُخدم الفئتان الأخيرتان أساسًا في جنوب سرت (حول مركز واغادوغو للمؤتمرات) وفي المناطق الساحلية الشمالية الشرقية، مثل منطقة الجيزة.

فيما يتعلق بالعبوات الناسفة الثابتة، سعى تنظيم الدولة لاستخدامها على نحوٍ فعّال في ضربات بعيدة المدى. لكنّ هذه المحاولات نجحت جزئيًا فحسب. وفي هذا السياق، قال العقيد إسماعيل شكري من المخابرات العسكرية الليبية: "عثرنا [قوات البنيان المرصوص] على أسلاك لمتفجرات [عبوات ناسفة] بطول كيلومترات عدة. وفي إحدى العمليات، ربطوا الأسلاك بـ 44 قذيفة مدفعية ثقيلة [155 ملم] لتفجير رتل [لقوات البنيان المرصوص]، لكنها لم تنفجر. هل يمكنك تخيّل التداعيات لو حدث ذلك؟"[127]. اعتمد التنظيم في ليبيا كثيرًا على قذائف المدفعية والألغام المضادة للدبابات وقذائف جو-أرض غير الموجّهة والرؤوس الحربية لصواريخ أرض-جو[128]، واستخدمها كعبوات ناسفة، بدلًا من تصنيع العبوات الناسفة على غرار ما فعلت الدولة الإسلامية في العراق.

فيما يتعلق بالعربات المفخخة الانتحارية، ضربت أثقل موجتين قوات البنيان المرصوص في أيار/مايو 2016 (12 هجومًا بالعربات/الشاحنات المفخخة الانتحارية) وأيلول/سبتمبر 2016 (8 هجمات بالشاحنات المفخخة الانتحارية)، وذلك بعد التدخل الأميركي[129]. قال الصدّيق الصور: "كانت

(126) التقارير أقل بشأن تفصيلات حرب المدرعات والأنفاق في وسائل الإعلام التابعة لتنظيم الدولة. ومع ذلك، جرى التحقق من استخدام الأنفاق وعدد من الدبابات من مصادر أخرى مشاركة في عملية البنيان المرصوص. قائد سابق في عملية البنيان المرصوص.

(127) العقيد إسماعيل شكري، مقابلة في: "الرمال المتحركة - سرت".

(128) يشمل ذلك الرأس الحربي لصواريخ إس إي-2 (SA-2)، المتوافرة بصفة عامة في مستودعات الدفاع الجوي التابعة لجيش القذافي.

(129) مجموعة بيانات أساليب حرب الدولة الإسلامية في سرت 2016 (ISWD-Sirte16). وهذا مبني على هجمات تم التأكد منها منشورة في نشرة النبأ، الأعداد 31-37، 46.

سيارة انتحارية بعد سيارة انتحارية أو ما تُسمّيه [وحدات تنظيم الدولة] 'دوغما' [...]، أعقبها إطلاق تشكيلات مشاة تطلق النيران بكثافة"[130]. استُخدمت العربات/ الشاحنات المفخخة الانتحارية المدرعة خصوصًا لبدء الهجمات أو درء تقدم قوات البنيان. قال العقيد شكري[131]: "هاجمت [وحدات التنظيم] أيضًا بشاحنة كبيرة تحمل 20 طنًا من المتفجرات"، وأضاف: "أطلقنا عليها اسم 'شاحنات الموت' [الشاحنات المفخخة الانتحارية]، وكانت تحمل قنابل جوية [...] استولت [وحدات التنظيم] على [قنابل جو-أرض] من مستودعات الذخيرة في مناطق خشوم الخيل [90 ميلًا جنوب سرت]"[132]. كما استخدم تنظيم الدولة في سرت المُسيّرات لتسجيل الهجمات التي تقودها عربات مفخخة انتحارية في أثناء معركة سرت. وليس من الواضح ما إذا كان الهدف من الدرونات (المُسيّرات) تصوير العربات المفخخة الانتحارية وتوجيهها، كما كانت الحال في معركة الموصل[133]، أم تصوير عمليات العربات المفخخة الانتحارية لأغراض دعائية فحسب. وأخيرًا، ركّز التنظيم على استخدام العربات المفخخة الثابتة في عمليات الإرهاب الحضري في مصراتة وبنغازي والمدن والبلدات الأصغر. ولم تشهد معركتا درنة وسرت أي موجات أو عدد كبير من العربات المفخخة. وعمومًا، كانت العربات/ الشاحنات المفخخة الانتحارية أشدّ الأسلحة فاعلية في ترسانة التنظيم، ولا سيما في سرت. ظل رد قوات البنيان على هجمات العربات المفخخة الانتحارية محدود التأثير، قبل الدعم الجوي الأميركي في آب/ أغسطس 2016. قال العقيد شكري: "لم نتمكّن من فعل الكثير. كنا نطلق النار من أسلحة خفيفة على سيارات مفخخة [تقترب بسرعة]. ومع ذلك قتلت وجرحت الكثير من جنودنا"[134].

(130) الصدّيق الصور، رئيس لجنة التحقيقات لدى مكتب النائب العام، مقابلة في: "الرمال المتحركة .. سرت"، ج 2، الدقائق 26:28-27:20.

(131) العقيد إسماعيل شكري، في: المرجع نفسه.

(132) المرجع نفسه.

(133) لمزيد من التفصيلات، ينظر: الفصل الثاني من هذا الكتاب، حول كيفية قتال التنظيم في العراق.

(134) شكري، في: "الرمال المتحركة .. سرت"، ج 2، الدقائق 27:20 إلى 28:30.

رابعًا: في مستقبل تمرد تنظيم الدولة في ليبيا

أظهر تنظيم الدولة الإسلامية في ليبيا قدرة عالية وسريعة على بناء قدراته العسكرية وحشدها من خلال طريقة العمل (iALLTR) المكوّنة من خمس ركائز، مذكورة سابقًا. وفي معاركه في درنة وسرت، بدّل استراتيجيًا ما بين أساليب الحرب التقليدية وحرب الغوار والإرهاب لتجنّب إبادته. ومنذ أواخر عام 2014 فصاعدًا، استطاع التنظيم الابتكار عملياتيًا وتكتيكيًا لإحداث العديد من الاختراقات ضد أعداء أقوى منه نسبيًا. وصلت هذه الابتكارات كلها، تقريبًا، إلى ليبيا عبر "نقل المعرفة"، إما من قادة عراقيين وإما من قدامى المحاربين في مناطق القتال في الخارج. وكان هؤلاء المحاربون ليبيين وغير ليبيين. شملت الابتكارات تعديلات وتحسينات في تكتيكات الإرهاب الحضري وحرب الغوار وكذلك التكتيكات العسكرية التقليدية، استقدمها من ولايات تنظيم الدولة في العراق وسورية وأسلافه من التنظيمات، أي "داعش" ودولة العراق الإسلامية. كانت تكتيكات العبوات الناسفة الثابتة والمخفية، والعربات المفخخة الانتحارية، والقناصة، حاسمةً لتحقيق التنظيم انتصاراته العسكرية في ليبيا، كما أن وفرة الذخائر العسكرية، مثل الرؤوس الحربية لصواريخ أرض-جو والقنابل جو-أرض وقذائف المدفعية والألغام المضادة للدبابات، أتاحت للتنظيم استخدامها لتقوم مقام الجزء المتفجر في العبوات الناسفة[135].

بعد الهزائم في درنة وسرت ومدن ليبية أخرى، أعاد تنظيم الدولة في ليبيا تبديل استراتيجيته إلى حرب الغوار والإرهاب الحضري؛ ما أفضى به إلى حلّ هياكله القائمة وبعثرة قواته في الصحراء الجنوبية كتشكيلات مغاوير صغيرة، وفي المدن الكبرى كخلايا إرهابية صغيرة. وفي شباط/ فبراير 2018، بعد أربعة عشر شهرًا من هزيمة التنظيم في سرت، أعلنت ولاية برقة، عبر إحدى نشرات **النبأ**، عن استئناف حملة حرب الغوار (حرب الاستنزاف) في كل

---

(135) المرجع نفسه. تتكوّن العبوة الناسفة الشائعة الاستخدام عادةً من خمسة أجزاء: مصدر طاقة، مفتاح/ قادح، صاعق، حمولة متفجرة، حاوية. استخدم تنظيم الدولة وأسلافه من التنظيمات عشرات الأنواع من المفاتيح والصواعق والحمولات المتفجرة، إضافة إلى أنواع مختلفة من المواد الخارقة.

أنحاء ليبيا[136]. استهلّ التنظيم الحملة بهجومين، باستخدام عربتين مفخختين انتحاريتين وهجوم واحد بقيادة تشكيلات المغاوير، استهدفت كلها قوات حفتر في شرق ليبيا. وفي تموز/يوليو 2018، أعاد تنظيم الدولة تنظيم ودمج كل "ولاياته" في ليبيا (وأماكن أخرى)، ردًا على الخسائر الميدانية وسلسلة من الهزائم التكتيكية والعملياتية. ففي ليبيا، دُمجت الولايات الثلاث، برقة وطرابلس وفزّان، في "ولاية ليبيا". وبدأ الهيكل التنظيمي المُشكّل حديثًا حملته باستخدام تكتيكات الإرهاب الحضري في غرب ليبيا وشرقها. ففي كانون الأول/ديسمبر 2018، هاجم تشكيل صغير من الانغماسيين، مؤلف من ثلاثة مقاتلين، وزارة الخارجية الليبية في طرابلس وأحرق أجزاء منها. ووصفت نشرة **النبأ** هذا التشكيل بأنه "مفرزة أمنية في ولاية ليبيا"[137]. وفي حزيران/يونيو 2019، رد التنظيم بضربة في درنة باستخدام عربتين مفخختين مركونتين، استهدفتا ميليشيا الجيش الوطني الليبي التي كانت قد استولت على المدينة وهزمت الميليشيا المحلية المسماة قوة حماية درنة[138].

إضافة إلى الإرهاب الحضري، ركّزت الهيكلية الجديدة لتنظيم الدولة أيضًا على بناء قدرات تشكيلات المغاوير وإشعال حملة حرب غوار صحراوية في جنوب ليبيا الكبير، القليل السكان وذي الأهمية الاستراتيجية معًا. قال العميد محمد الغصري في كانون الثاني/يناير 2019: "لسوء الحظ، لا تزال الصحراء الليبية [الجنوبية] مليئة بقوات تنظيم الدولة، لذلك علينا توخي الحذر الشديد والبقاء في حالة تأهب للدفاع عن حدود سرت"[139].

---

(136) ولاية برقة، "جنود الخلافة يبدؤون حرب استنزاف جديدة"، **النبأ**، العدد 120 (6 جُمادى الآخرة 1439هـ [22/2/2018])، ص 6.

(137) ينظر: ولاية ليبيا، "جنود الخلافة في ليبيا يحرقون وزارة الخارجية"، **النبأ**، العدد 162 (20 ربيع الثاني 1440هـ [29/12/2018])، ص 4.

(138) استولى الجيش الوطني الليبي لحفتر على درنة من مجلس شورى مجاهدي درنة. أعاد الأخير تنظيم نفسه وتحول مع حلفائه إلى "قوة حماية درنة" في 11 أيار/مايو 2018. ينظر: ولاية ليبيا برقة، "19 هالكًا ومصابًا من ميليشيات (حفتر) تفجير آليتين مفخختين في درنة"، **النبأ**، العدد 185 (3 شوال 1440هـ [7/6/2019])، ص 8، شوهد في 24/10/2021، في: https://bit.ly/3b4dllI

(139) Westcott.

وأكد الناطق السابق باسم عملية البنيان المرصوص لعام 2016 أنه لم يكن لدى قوات حكومة الوفاق الوطني الموارد الكافية لمطاردة تنظيم الدولة في الصحراء الجنوبية بعد تحرير سرت[140]. وإضافة إلى مخاوف محمد الغصري، نشرت **النبأ** مقابلة مع القائد العسكري للتنظيم في فزّان في 15 أيار/ مايو 2019[141] بعنوان "سنواصل اقتحام البلدات والمدن"، حدّد فيها بعض ملامح حرب الغوار التي يشنّها التنظيم في فزّان. يشمل ذلك السيطرة المؤقتة على البلدات والقرى عبر اقتحامها، ونهب الموارد المُتاحة، وتصفية المُخبرين والمتعاونين، وإرهاب المشكوك فيهم عن طريق حرق منازلهم ومصادرة ممتلكاتهم، ومن ثم الاختفاء في الصحراء[142]. وقعت بلدات الغدوة والفقهاء والقرى المجاورة لسبها ضحايا لتلك الحملة[143].

في العدد نفسه، وفي الإصدارات الثلاثة التي سبقته، نشرت **النبأ** سلسلة من أربعة أجزاء من المقالات بعنوان "الغزو المؤقت للمدن كطريقة عمل للمجاهدين"، لخّصت معالم التبديل على المستوى العملياتي والهادف إلى السيطرة المؤقتة على البلدات والمدن الصغيرة لأسباب مختلفة، منها نهب الموارد وتصفية المتعاونين ونصب الكمائن المعزولة للقوات المناوئة لتنظيم الدولة ورفع الروح المعنوية لمقاتليه. واستخدمت المقالات الغارات على البلدات والقرى الصحراوية في جنوب ليبيا لتوضيح طريقة العمل هذه.

وقد خلص تقريران صادران عن مجلس الأمن في كانون الثاني/ يناير وتموز/ يوليو 2019[144] إلى أن ولاية تنظيم الدولة في ليبيا تلجأ، على نحوٍ

---

(140) Ibid.

(141) ولاية ليبيا، "قائد جند الخلافة في فزان: سنواصل اقتحام المدن والقرى"، **النبأ**، العدد 182 (10 رمضان 1440هـ [15/ 5/ 2019])، ص 7.

(142) المرجع نفسه.

(143) تتّسم حملة حرب الغوار هذه التي شنتها "ولاية ليبيا" بسمات عملياتية مشابهة للطريقة التي تعمل بها ولاية سيناء في مصر في مدن سيناء وبلداتها وقُراها.

(144) United Nations, Security Council, *Letter dated 15 July 2019 from the Chair of the Security Council Committee Pursuant to Resolutions 1267 (1999), 1989 (2011) and 2253 (2015) Concerning Islamic State in Iraq and the Levant (Da'esh), Al-Qaida and Associated Individuals, Groups, Undertakings and Entities Addressed to the President of the Security Council S/2019/570* (New York: 15/7/2019), at: https://bit.ly/2qH5eYZ

متزايد، إلى "عمليات الكرّ والفرّ، منطلقة من عدة مواضع تتمركز فيها في سبها والجفرة [جنوب ليبيا]". وذكر تقرير كانون الثاني/ يناير أيضًا أن تنظيم الدولة "كثيرًا ما داهم واحتجز مخافر الشرطة داخل البلدات لإظهار القوة وتأمين الأسلحة. وتكرر هذا التكتيك في عقيلة وزليتن والفقهاء وتازربو"[145].

وعلى المستوى الكلي، يُرجَّح أن يتأثر مستقبل تنظيم الدولة في ليبيا بتدمير أجزاء رئيسة من سرت ودرنة وبنغازي ومدن أخرى وعدم صلاحيتها للسكن، وذلك نتيجة المرحلة الأخيرة من الحرب الأهلية الليبية التي بدأت بمحاولتي الانقلاب اللتين قام بهما خليفة حفتر في شباط/ فبراير وأيار/ مايو 2014 ومحاولة الاستيلاء على طرابلس في نيسان/ أبريل 2019[146]. وأشار تقرير لمجلس الأمن، صدر في تموز/ يوليو 2019، إلى أن نشاط التنظيم في جنوب ليبيا اكتسب زخمًا نتيجة انشغال الجيش الوطني الليبي بالمعركة حول طرابلس. فمنذ بدء القتال حول العاصمة في 4 نيسان/ أبريل 2019، هاجم مقاتلو التنظيم مرات عدة بلدات زليتن والفقهاء وفزّان. وتمكّنوا من الاحتفاظ بهذه البلدات لساعات في كل مرة، ونجحوا في إطلاق سراح بعض أسرى التنظيم[147]. ويرجَّح أن يستفيد التنظيم في ليبيا وخلفاؤه المحتملون المماثلون لتفكيره من مثل هذه البيئة كي يصمدوا، وربما كي يتمدّدوا في المستقبل.

(145) United Nations, Security Council, *Twenty-third Report of the Analytical Support and Sanctions Monitoring Team Submitted Pursuant to Resolution 2368 (2017) Concerning ISIL (Da'esh), Al-Qaida and Associated Individuals and Entities*, S/2019/50 (15/1/2019), p. 10, accessed on 24/10/2021, at: https://bit.ly/2ZqJe5Z

(146) أنس القماطي، "حفتر والانقلابات المقنّعة"، صدى، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، 30/ 7/ 2019، شوهد في 22/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3fcUuYB

(147) المرجع نفسه.

الفصل الخامس

خداع للبقاء
كيف تقاتل ولاية سيناء في مصر؟

"العمليات العسكرية في سيناء انتهت [...] القوات المسلحة كان بإمكانها أن تقضي على الإرهاب في سيناء في غضون 6 ساعات".
(اللواء أحمد وصفي، قائد الجيش المصري الثاني الميداني، 2 تشرين الأول/ أكتوبر 2013)[1].

"أما طريقة العمل [في تكتيكات العبوات الناسفة]، فهي تبقى مثل العراق، مع بعض التعديلات في وسائل الاتصال والتفجيرات عن بعد [...] إنه السلاح الأمثل للتعامل مع مدرعات الجيش [المصري]".
(أبو هاجر الهاشمي، "والي" ولاية سيناء السابق، 22 كانون الأول/ ديسمبر 2016)[2].

"مقتل 30 ضابطًا وجنديًا في هجمات شنّها جنود الدولة الإسلامية في سيناء".
(عنوان نشرة النبأ [التابعة لتنظيم الدولة]، العدد 221، 14 شباط/ فبراير 2020)[3].

---

(1) أحمد عبد العظيم، "اللواء أحمد وصفي لـ'الوطن': العمليات العسكرية في سيناء انتهت"، **الوطن**، 12/ 10/ 2013، شوهد في 23/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2y8mbip

(2) حوار في **النبأ**، العدد 60 (22 ربيع الأول 1438هـ [22/ 12/ 2016])، ص 8.

(3) كان الهجوم مزيجًا مركّبًا، شملَ الانغماسيين والقناصة والعبوات الناسفة الثابتة المخفية.

أولًا: صغير لكنه صلب

"لا تُرسل تعزيزات [يا عبد الفتاح السيسي] إلى سيناء. أرسل جيشك كله ليُباد هنا في الصحراء". قال هذه العبارة أحد القادة العسكريين لولاية سيناء، التنظيم المتمرد الأشدّ فاعلية قتالية في تاريخ مصر الحديث. بُثّت الكلمات، وظهرت في خلفية الصورة عربة مدرعة مجنزرة مدمرة، وكان ذلك بعد هجمات متزامنة على سبعة أهداف عسكرية وأمنية في نيسان/ أبريل 2015[4]. وبعد شهرين، أطلقت ولاية سيناء عملية أكثر تعقيدًا. ففي تموز/ يوليو 2015، هاجم مُتمردوها 21 هدفًا عسكريًا وأمنيًا، واحتلوا خلال فترة وجيزة بلدة الشيخ زويد. استُخدمت في تلك العملية صواريخ موجّهة أرض-جو ومدفعية خفيفة ومدافع رشاشة ثقيلة وصواريخ غير موجهة[5]. وفي أثناء القتال، استطاع متمردو ولاية سيناء أن يقطعوا، مؤقتًا، التعزيزات الواردة إلى المواقع المستهدفة، واستخدموا لأجل ذلك مزيجًا من العبوات الناسفة والقناصة والمدفعية الخفيفة[6]. وكما يحصل دومًا، كان عدد قتلى جنود الجيش وضباطه محل خلاف. ادّعى الجيش أن عددهم 17 جنديًا، في حين زعمت مصادر غير رسمية أنهم أكثر من 100[7]. وفي أيلول/ سبتمبر 2015، أصيب أربعة أميركيين واثنان من جنود قوات حفظ السلام الفيجيين في انفجار عبوتين ناسفتين بالقرب من المعسكر الشمالي لقوة

(4) يستشهد هذا الفصل بالكثير من البيانات الصوتية والبيانات المرئية ومنشورات وسائل التواصل الاجتماعي لتنظيم الدولة الإسلامية وولاية سيناء. كان معظم هذه الروابط متاحًا لفترة وجيزة فحسب عبر الإنترنت، ثمّ أُزيل.

(5) "Egypt's Sinai Rocked by Wave of Deadly Attacks," *BBC*, 1/7/2015, accessed on 23/8/2021, at: https://bbc.in/2RwNNEL

(6) رائد سابق في القوات المسلحة المصرية، مقابلة شخصية، 19/ 2/ 2016.

(7) "Egypt's Sinai Rocked by Wave of Deadly Attacks."

المراقبين المتعددة الجنسيات في شمال شرق سيناء. كانت هذه واحدة من الهجمات القليلة نسبيًا على هذه القوة منذ عام 2005[8]. وفي تشرين الأول/ أكتوبر 2015، اخترق متمردو ولاية سيناء مطار شرم الشيخ الدولي في جنوب سيناء، وزرعوا عبوة ناسفة على متن الرحلة الروسية متروجيت 9268، أسفر تفجيرها في الجوّ عن مقتل 224 شخصًا من الركاب وأفراد الطاقم. وكان هذا الهجوم الإرهابي الأكثر دموية حتى تاريخه على الأراضي المصرية[9]، وفي تاريخ الطيران الروسي أيضًا.

في الأشهر الستة الأولى من العام التالي (2016)، أعلنت ولاية سيناء مسؤوليتها عن 271 هجومًا في محافظة شمال سيناء وحدها[10]. فقد كثّفت عملياتها بمتوسط 45 هجومًا شهريًا في النصف الأول من عام 2016. لكن انخفض هذا الرقم إلى متوسط 40 هجومًا شهريًا في ذلك العام، مقارنة بمتوسط 25 هجومًا في عام 2015[11]. وإجمالًا، نفّذ التنظيم أكثر من 700 هجوم بين تشرين الثاني/ نوفمبر 2014، تاريخ تأسيس ولاية سيناء، وتشرين

(8) يميل السكان المحليون إلى الاحتماء بجانب المخيم الشمالي التابع للقوة المتعددة الجنسيات، لتجنّب القصف العشوائي من قوات النظام. وهذا أحد أسباب الهجمات المحدودة نسبيًا على القوة المتعددة الجنسيات والمراقبين. يحاول المتمردون الحدّ من العداوات المحلّية تجاههم، من خلال الحدّ من الهجمات على "الملاذات الآمنة" غير الرسمية للسكان المحليين.

(9) في 24 تشرين الثاني/ نوفمبر 2017، قُتل أكثر من 300 مصلٍ في هجوم نفّذته ولاية سيناء على مسجد الروضة، متجاوزًا حصيلة ضحايا تفجير طائرة متروجيت (الروسية) في عام 2015. وعلى مستوى العالم، كان هذا ثاني أكبر هجوم إرهابي قاتل في عام 2017، ولم يتجاوزه سوى تفجير مقديشو في تشرين الأول/ أكتوبر 2017. لمزيد من التفصيلات، ينظر:

Omar Ashour, "Was the Mosque Massacre in Egypt Preventable?," *The Washington Post*, 1/12/2017, accessed on 23/8/2021, at: https://wapo.st/3g5E2tP

(10) قاعدة بيانات "أساليب حرب الدولة الإسلامية" (مجموعة البيانات ISWD-SinaiY1 ومجموعة البيانات ISWD-SinaiY2). المجاميع والأرقام مبنيّة على بيانات المكتب الإعلامي لولاية سيناء، "الحصاد السنوي للعمليات العسكرية لعام 1437"، 10/ 11/ 2016؛ المكتب الإعلامي لولاية سيناء، "الحصاد السنوي للعمليات العسكرية لعام 1436"، 12/ 11/ 2015.

أُجري بعض التعديلات على الأرقام المُدرجة في "الحصادين"، بعد مقارنتها ببيانات المتحدث العسكري ووسائل الإعلام المحلية، والمقارنة بمصادر محلية في شمال سيناء.

(11) المرجع نفسه.

الثاني/ نوفمبر 2016، تاريخ إصدار تقريره السنوي لعام 2016[12]. ولا تزال ولاية سيناء، وسلفها أنصار بيت المقدس، التنظيم المتمرد المحلي الوحيد في تاريخ مصر الحديث، الذي تمكّن من اكتساب قدرات عسكرية شبه تقليدية. وهذا ما يعكسه إسقاطُ مروحية من طراز إم آي-17 (Mi-17) للجيش الثاني الميداني في كانون الثاني/ يناير 2014[13]، وتفجير فرقاطة للبحرية النظامية المصرية في تشرين الثاني/ نوفمبر 2015[14]، والاستيلاء على مدرعات للجيش النظامي (ظهرت إحداها في مقطع فيديو لولاية سيناء بُث في آب/ أغسطس 2016).

لعلّ صمود ولاية سيناء وبقاءها هما الأكثر إثارة للأسئلة، مقارنةً بكل ولايات تنظيم الدولة الأخرى التي نوقشت في الفصول السابقة. وليس منبع الأسئلة أن موارد ولاية سيناء أقلّ بكثير فحسب، بل لأنها تقاتل جيشًا محليًا أضخم منها بكثير وأشدّ مركزيّة أيضًا. تُموِّل هذا الجيش وتُسلّحه وتُدرّبه وتدعمه قوة عظمى (الولايات المتحدة)[15]، وإضافة إلى الدعم من قوة إقليمية (إسرائيل) ودولتين ثريتين (المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة). وعانت ولاية سيناء نقاط ضعف بنيوية كبيرة؛ ولذلك حادت في استراتيجيات البناء العسكري والبقاء بشكل طفيف عما اتّبعته ولايات تنظيم الدولة في العراق وسورية وليبيا التي حلّلناها سابقًا[16]؛ إذ استطاع التمرد المسلح في سيناء البقاء على الرغم من نقاط الضعف البنيوية هذه. واستطاع

(12) المرجع نفسه.

(13) "بيت المقدس تنشر فيديو إسقاط مروحية للجيش في سيناء"، **العربية**، 27/ 1/ 2014، شوهد في 23/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2V2FTFa

(14) "Sinai Province: Egypt's Most Dangerous Group," *BBC*, 12/5/2016, accessed on 23/8/2021, at: https://bbc.in/3b8stwQ

(15) بين عامي 1948 و2014، قدمت الولايات المتحدة إلى الجيش المصري 74,65 مليار دولار مساعدات، أكثر من نصفها كان بداية من عام 1979. ينظر:
Jeremy Sharp, *Egypt: Background and U.S. Relations*, Congressional Services Report, 27/5/2020, pp. 1-36, accessed on 23/8/2021, at: https://bit.ly/3gocVtQ

(16) لا تزال تكتيكات الإرهاب وحرب الغوار التي يستخدمها تنظيم الدولة ذات سمات مشتركة أكثر من المختلفة مع تكتيكات ولايات التنظيم الأخرى.

أيضًا، في أطر زمنية معينة، توسيع نطاقه الجغرافي ورفع قدراته العسكرية التكتيكية وزيادة كثافة عملياته ومُددها وتوسيع نطاقه المناطقي وتحسين نوعية دعايته واتصالاته وإضفاء بعض الشرعية المحلّية على وجوده. وحدث كل هذا في سياق انخراط ولاية سيناء وسلفها، أنصار بيت المقدس، في قتال مع قوات متفوقة عليها تفوقًا كاسحًا منذ أيلول/ سبتمبر 2013[17].

إن بقاء ولاية سيناء وتمددها أمر محيّر ومدعاة للأسئلة لأسباب أخرى أيضًا. أولًا، من الناحية الجغرافية، إن التضاريس الساحلية في أقصى شمال شرق سيناء غير وعرة، فمعظم الجبال العالية، مثل قمتي جبل كاترين (8668 قدمًا) وجبل سيناء (7497 قدمًا)، يقع في جنوب شبه الجزيرة، بعيدًا عن البؤر العملياتية للتمرد. وقد وقعت اشتباكات على جبل الحلال (5577 قدمًا) في وسط سيناء، لكنها لم تكن مسرح العمليات الرئيس. ثانيًا، عدد سكان سيناء قليل نسبيًا؛ إذ يبلغ عدد سكان محافظة شمال سيناء 434781 نسمة (40 نسمة لكل ميل مربع). وقد وقع معظم الأعمال المسلحة في ثلاثة مراكز (مقاطعات) من أصل ستة: العريش والشيخ زويد ورفح (كلها مراكز ساحلية منبسطة على البحر الأبيض المتوسط)، يبلغ عدد سكانها مجتمعة نحو 300,000 نسمة. ثالثًا، الولاء بين السكان منقسم؛ ففي كل قبيلة وعشيرة شمالية شرقية، تقريبًا، يوجد أعضاء في التمرد أو موالون له، وكذلك مخبرون ورجال ميليشيات قبلية موالون للنظام. ولا تتّبع هذه الانقسامات خطوطًا واضحة من قبيل الريف في مقابل المدينة، أو الحضر في مقابل البدو، أو انقسام قَبلي أو جهوي واضح. ففي كل فئة من هذه الفئات عناصر على كلا جانبي الصراع[18]. أخيرًا، لا

(17) بدأ تصعيد الحملة العسكرية ضد متمردي سيناء في أيلول/ سبتمبر 2013، أمّا موجة الحملات العسكرية المتتالية، فبدأت في آب/ أغسطس 2011، ردًّا على سلسلة من الهجمات الحدودية ضد إسرائيل، شنّها متمردو سيناء.

(18) على سبيل المثال، كان خالد المنيعي، أحد شيوخ قبيلة السواركة من عشيرة المنايعة، يتزعم ميليشيات قبلية موالية للجيش قبل اغتياله في القاهرة في تشرين الأول/ أكتوبر 2015. وهو من عشيرة وقبيلة شادي المنيعي نفسه، أحد قادة ولاية سيناء. كذلك، ينتمي بعض القادة في القوات الأمنية والعسكرية إلى القبيلة نفسها التي ينتمي إليها قادة في تنظيم الدولة. وأبرز مثال على ذلك اللواء محمد عبد ربه السواركة الذي اغتيل في تموز/ يوليو 2014.

يحظى المتمردون برعاية من دولةٍ ما، فلا تدعم أي من الحكومات الإقليمية التمرد مباشرة، بما في ذلك سلطة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في غزة[19]. ومن جهة أخرى، تتمتع القوات العسكرية للنظام وحدها بتفوق في القوة البشرية الإجمالية بنسبة تقدر بـ 100 إلى 1، على الأقل[20]، إضافة إلى الدعم الذي تقدمه الولايات المتحدة الأميركية من حيث التمويل والتدريب والتجهيز والاستخبارات، وكذلك الدعم الذي تقدمه إسرائيل من حيث تبادل المعلومات الاستخبارية والدعم التكتيكي والعملياتي أحيانًا. ونظرًا إلى كل هذه العوامل، فإن السؤالين الرئيسين في هذا الفصل هما: كيف تقاتل ولاية سيناء؟ وكيف بقيت فترة طالت، وتمدّدت في أوقات معيّنة؟

ثانيًا: بناء ولاية سيناء عسكريًا

يمكن إرجاع قصة التمرد المأساوية في سيناء وتطوّره العسكري إلى أكثر من 15 عامًا، قبل فترة طويلة من التأسيس الرسمي لولاية سيناء وسلفها أنصار بيت المقدس. ومع ذلك، تطوّر التمرد، أساسًا، في ظلّ ولاية سيناء وأنصار بيت المقدس، وتحوّر كثيرًا. وتغيّر هدفه المعلن، من دعم تنظيمات المقاومة الفلسطينية الإسلامية في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين إلى السيطرة على مناطق في شمال شرق سيناء والسعي لهزيمة القوات الأمنية والعسكرية للنظام المصري في المنطقة، عقب إعلان الولاء لجهات خارج الحدود (أي لتنظيم الدولة الإسلامية) في تشرين الثاني/ نوفمبر 2014. قاتل التمرد أيضًا بغرض الانتقام للقتلى الذين سقطوا خلال الحملة العسكرية التي أعقبت انقلاب تموز/ يوليو 2013 ضد الرئيس السابق محمد مرسي (2012-

(19) تُناقَش العلاقة التاريخية مع حماس لاحقًا في هذا الفصل.

(20) يشمل هذا التقدير القوات المشاركة في القتال في سيناء أو المتمركزة في منطقة القناة من الجيش الثاني والثالث الميداني، وحرس الحدود، وقوات الانتشار السريع الخاصة، فحسب. ولا يشمل بقية العسكريين (سواء العاملين أو الاحتياطيين). لكنه يشمل بعض القوات التابعة لوزارة الداخلية، المشاركة في القتال، مثل قوات الأمن المركزي وقوى الأمن (التي تضم أكثر من 400,000 ضابط وضابط صف وجندي ومجند ضمن وحداتها) وجهاز الأمن الوطني (يقدر بـأن يكون عدده أكثر من 100,000 ضابط وضابط صف وجندي ومجند).

2013)، وكذلك لإضعاف قوات الحكومة الجديدة في مناطق أخرى غير شبه جزيرة سيناء[21].

أفضت الأزمات السياسية والاجتماعية والأمنية والإنسانية إلى نشوء بيئة مواتية للتمرد، عقب الانسحاب الإسرائيلي من سيناء في عام 1982. فمنذ ذلك الحين، صنّفت السياسات الأمنية الرسمية سيناء بأنها تهديد وليست فرصة، وأنّ ابن سيناء مخبر محتمل و/أو إرهابي محتمل و/أو جاسوس محتمل و/أو مهرّب محتمل، وليس مواطنًا مصريًا مؤكدًا. ففي برقية نشرها موقع ويكيليكس، قال مسؤول أمني مصري رفيع المستوى في سيناء لوفد رسمي أميركي زائر، إن "البدوي الطيب الوحيد في سيناء هو البدوي الميت"[22]. وتصاعدت السياسات القائمة على هذا التصور بعد الانتفاضة الفلسطينية الثانية في عام 2000. ففي ذلك الوقت، اعتقدت أجهزة بيروقراطية أمنية مصرية عدة (أساسًا مباحث أمن الدولة التي أعيد تسميتها الآن جهاز الأمن الوطني، وكذلك جهاز المخابرات العامة)، أن دعمًا لوجستيًا مباشرًا يتّجه من شمال شرق سيناء إلى العديد من الجماعات المقاومة الفلسطينية في غزة. ومنذ ذلك الحين، كانت السمة الرئيسة المتسقة للسياسات التي يقودها الأمن هي مزيج من القمع ومحاولة احتواء زعماء قبائل مختارين لتوفير المعلومات الاستخبارية.

1- تطوير التكتيكات: من الإرهاب الحضري إلى حرب الغوار

في تشرين الأول/ أكتوبر 2004، كان التفجير المتزامن لمنتجعات سياحية في طابا ونويبع علامةً على بداية التمرد، وأفضى إلى مزيد من التصعيد. لم يكن لدى مباحث أمن الدولة أي معلومات تقريبًا عن الإرهابيين، ولذلك شنّت حملة قمع واسعة في شمال شرق سيناء. واعتقلت، بمساعدة قوات الأمن المركزي،

(21) منى الزملوط، "أنصار بيت المقدس: لسنا تابعين للإخوان ولا القاعدة"، **الجزيرة نت**، 28/ 5/ 2014، شوهد في 23/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2XucsNM؛ النائب السابق يحيى عقيل، مقابلة شخصية، 6/ 4/ 2015.

(22) G. Gray, "Internal Security in Sinai-An Update," *WikiLeaks*, WikiLeaks cable no. 05CAIR01978, 14/3/2005, accessed on 23/8/2021, at: https://bit.ly/3ceLo9q

نحو 3000 شخص، واحتجزت رهائن من النساء والأطفال ممن هم على صلة بالمشتبه فيهم حتى استسلام هؤلاء. قال أحد المعتقلين: "لقد صعقونا بالكهرباء في أعضائنا التناسلية طوال ساعات وقبل طرح أي أسئلة. ثم استمر التعذيب أثناء الاستجوابات وبعدها. لقد أقسم العديد من الشباب على الانتقام"[23].

في تموز/ يوليو 2005، ضربت موجة ثانية من التفجيرات شرم الشيخ. وهذه المرة، أعلن تنظيم التوحيد والجهاد في سيناء مسؤوليته عن الاعتداءات. كانت هذه الجماعة تستوحي مبادئ تنظيم أبو مصعب الزرقاوي في العراق، لكن على الرغم من هذا الإلهام العراقي والروابط الأيديولوجية معه، فإن معظم القادة والأعضاء كانوا من السكان المحليين[24]. فالمؤسِّس، خالد مساعد، طبيبُ أسنان من مدينة العريش، ينتمي إلى قبيلة السواركة، أكبر قبائل شمال شرق سيناء وأكثرها نفوذًا. وقد قُتل في معركة بالأسلحة النارية مع قوات الأمن المركزي في 28 أيلول/ سبتمبر 2005. وبعد عشر سنوات، في أيلول/ سبتمبر 2015، أشادت ولاية سيناء به كمؤسِّس في فيلم وثائقي مدّته 37 دقيقة، عنوانه "حصاد الأجناد". تمثّلت المساهمة الرئيسة لمُساعد ورجاله بتحويل تيار أيديولوجي موجود في الكتب والخطب إلى هيكل تنظيمي مسلح، له تسلسل هرمي قيادي وخلايا متعددة في خمس مدن/ بلدات ضمن ثلاث مناطق: شمال شرق سيناء (العريش، رفح، الشيخ زويد)، وسط/ وسط شرق سيناء (جبل الحلال/ نخل)، ومدينة الإسماعيلية على الضفة الغربية لقناة السويس.

بدأت موجة ثانية من الحملات الأمنية مباشرة بعد تفجيرات عام 2005. قُبض على كثيرين من أعضاء التوحيد والجهاد المشتبه فيهم، وعلى المتعاطفين معهم وأقاربهم ومعارفهم وجيرانهم. "التقينا بهم في السجن. معظمهم لا يعرف

(23) أحد المعتقلين المتهمين في تفجيرات طابا ونويبع، مقابلة شخصية، القاهرة، آب/ أغسطس 2012.

(24) كما ناقشنا في الفصول السابقة، بدأت جماعة الزرقاوي بالاسم نفسه (التوحيد والجهاد)، وعملت لاحقًا تحت أسماء أخرى: القاعدة في بلاد الرافدين، حلف المطيبين، مجلس شورى المجاهدين، دولة العراق الإسلامية، الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش"، الدولة الإسلامية.

شيئًا عن الأيديولوجيا أو العقيدة أو الفقه. كان بعضهم أُميًّا، وكان علينا أن نُعلّمهم القراءة"، قال معتقل إسلامي سابق كان مسجونًا مع "جماعة سيناء" كما عُرفوا آنذاك[25]: "كل ما درسه أعضاء التوحيد والجهاد هو ثلاثة كتيبات وضعها أبو محمد المقدسي"، في إشارة إلى المنظّر الجهادي الأردني المعروف، "وهذا ما دفعهم إلى استخدام التكفير كثيرًا"[26].

توزّع معتقلو سيناء، أساسًا، في ستة سجون: دمنهور العمومي (الأبعادية)، والعقرب (سجن شديد الحراسة)، وأبو زعبل، وليمان طرّه، والوادي الجديد، ووادي النطرون[27]. وبين عامي 2004 و2009، تفاعلوا في تلك السجون مع جهاديين سابقين تخلّوا عن النشاط المسلح وتبرأوا منه. سمحت مباحث أمن الدولة للجماعة الإسلامية، والعديد من القادة السابقين في تنظيم الجهاد، والشخصيات السلفية المستقلة، بإعطائهم دروسًا في الفقه والعقيدة و"المراجعات" التي أنتجتها الجماعة الإسلامية وغيرها في مرحلة ما بعد الجهادية، ظنًّا منها أنها ستوفر سردية مثمرة مضادة للتيار الجهادي[28].

نجح الأمر جزئيًا؛ ففي السجون، تخلّى بعض أعضاء التوحيد والجهاد في سيناء عن الاعتقاد الجهادي الأساسي بأن العمل المسلح هو الطريقة الوحيدة الشرعية دينيًا، والفعالة عمليًا، للتغيير الاجتماعي والسياسي[29]. لكنّ آخرين لم يسيروا في هذا الأمر، وكانوا أكثر اهتمامًا بالانتقام لإذلالهم وقمعهم. وهذا ما كان، بصفة خاصة، شأن كمال علام أحد القادة العسكريين في ولاية سيناء المشار إليه سابقًا، وتوفيق فريج زيادة، أحد مؤسسي أنصار بيت المقدس والمهندس الذي يُزعَم أنه يقف وراء مَرْكَزتها تنظيميًا[30].

---

(25) معتقل إسلامي سابق، مقابلة شخصية، القاهرة، أيلول/ سبتمبر 2012.

(26) المرجع نفسه.

(27) المأمور السابق لسجنَي العقرب وليمان طرّه، مقابلة شخصية، القاهرة، أيلول/ سبتمبر 2012.

(28) ينظر:

Omar Ashour, *The De-radicalization of Jihadists: Transforming Armed Islamists Movements* (London: Routledge, 2009).

(29) Ibid.

(30) اعتُقل علام في عملية تمشيط أمنية في مطلع عام 2003. سُجن من دون تهمة أو محاكمة قرابة =

كانت البيئة في سيناء تتغير كثيرًا. أدى نزاع عام 2007 في غزة بين حركتي حماس وحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، وحملة أمنية شنّتها حماس في عام 2009 ضد الجهاديين السلفيين، إلى دفع ضباط الأمن الوقائي التابعين لحركة فتح وأعضاء جند أنصار الله والمتعاطفين معهم إلى شمال شرق سيناء، هربًا من الحملات الأمنية التي تشنّها سلطات حماس. وبحلول أواخر عام 2009، بدأ الجهاديون في إعادة تجميع صفوفهم في هياكل تنظيمية مختلفة. أصدرت جماعة التوحيد والجهاد - بيت المقدس في 17 تشرين الثاني/ نوفمبر 2009 كتيبًا بعنوان **هذه عقيدتنا**[31].

لم يختلف هذا الكتيّب كثيرًا عن الكتيبات الدينية التي أصدرتها في ذلك الوقت دولة العراق الإسلامية لدعم تصوّرها الأيديولوجي للجهادية. وأصدرت جماعة أنصار السنّة في أكناف بيت المقدس سلسلة من مقاطع الفيديو الدعائية التي توثّق عمليات ضد أهداف عسكرية ومدنية إسرائيلية بين نيسان/ أبريل وآب/ أغسطس 2010. وبحلول أواخر عام 2010، اندمج أفراد وفصائل من هذه المجموعات الصغيرة وشكّلوا تنظيم أنصار بيت المقدس الذي غدا أكثر التنظيمات المسلحة نشاطًا ومركزيّة في سيناء، من بين ما لا يقل عن ثلاث مجموعات وشبكات فاعلة أخرى[32].

ما بين أواخر عام 2010 وأواخر عام 2013، ركّز أنصار بيت المقدس،

= ثماني سنوات في سجن أبو زعبل السيئ السمعة (2003-2011)، وأُخرج منه في أثناء اقتحامات كانون الثاني/ يناير 2011 وقت الثورة. واتُّهم لاحقًا بمهاجمة مركز شرطة العريش في عام 2011، قبل سفره إلى ليبيا وسورية في عام 2012. وشوهد لاحقًا في زي عسكري في مدينة العريش في عام 2014.
أفرج عن زيادة في عام 2009 بعد ثلاث سنوات من الاعتقال، ويُنسب إليه تجنيد العديد من الخلايا والفصائل الجهادية (في سيناء ووادي النيل) وضمّها في الهيكلية التنظيمية المركزية لأنصار بيت المقدس.

(31) **هذه عقيدتنا** ([د. م]: [د. ن]، 2009).

(32) يستند هذا الاستنتاج إلى مقابلات عدة أجراها المؤلف مع صحافيين محلّيين وناشطين وعسكريين وأفراد أمن سابقين وشخصيات سلفية في سيناء بين عامي 2012 و2015. قدّر بعض الذين قوبلوا عدد الشبكات/ الجماعات المختلفة بما يصل إلى سبع. لكن يُرجَّح أن الشبكة الواحدة نفسها استخدمت تسميات تنظيمية مختلفة في أوقات مختلفة.

أساسًا، على مهاجمة الأهداف المدنية والعسكرية الإسرائيلية. لكنّ مراكز الشرطة ومقرات الأمن المصرية تعرّضت أيضًا للهجوم في كانون الثاني/ يناير وشباط/ فبراير وتموز/ يوليو 2011، جزئيًا، بهدف الانتقام من الحملات الأمنية التي شُنت في الفترة 2004-2006، ولأجل نهب الأسلحة أيضًا. وأكثر من الوضع الملتهب في القاهرة، مزجت ثورة سيناء ضد نظام حسني مبارك بين التعبئة الشعبية والثأر المسلح من قوات الأمن، وهذا ما دفع هذه القوات إلى الفرار من مدينتي رفح [المصرية] والشيخ زويد بحلول أوائل شباط/ فبراير 2011.

2- تبديل جهة التصويب: استهداف عدو آخر

ردًا على ذلك، أطلقت الحكومة المصرية، بين عامي 2011 و2013، عمليتين واسعتين لمكافحة التمرد: العملية نسر1 (في عهد المجلس الأعلى للقوات المسلحة)، والعملية نسر2 (في عهد الرئيس محمد مرسي). أخفقت كلتا العمليتين في إخماد التمرد، وبدا أنهما، من نواحٍ عدة، استمرار للسياسات السابقة غير الفعالة، أكثر من أنهما علامة على نهجٍ جديد في مكافحة التمرد. كان لانقلاب تموز/ يوليو 2013 ومجزرة آب/ أغسطس 2013 في حق المتظاهرين في ميدانَي رابعة والنهضة في القاهرة تأثير كبير في سيناء. قال أحد سكان الشيخ زويد الذي اعتُقل بضعة أشهر في عام 2004، قبل أن يُطلَق سراحه من دون توجيه تهمة: "عرفنا أن التعذيب في طريقه إلينا مرة أخرى. إنها مسألة وقت فقط"[33]. وفي آب/ أغسطس 2013، عقدت شخصيات سلفية ودُعاة من سيناء اجتماعًا عامًا في الشيخ زويد، طالب فيه أحد المتحدثين بتشكيل "مجلس حرب" لدرء موجة القمع المتوقعة.

بعد الحملة القمعية في ميدان رابعة، حدث تغيير كبير في خطاب التمرد وسلوكه وكثافته وحجم عملياته، وكذلك في سرديته وأهدافه بصفة عامة. قال أحد أعضاء جماعة أنصار بيت المقدس في مقابلة نادرة: "قاد مرسي

(33) أحد سكان الشيخ زويد، مقابلة عبر الهاتف، أيلول/ سبتمبر 2014.

حملة عسكرية في سيناء، اعترف حينها أنه يقودها بنفسه. وكان رد الإخوة يقتصر على الدفاع فقط، من دون مهاجمة مقرات الجيش أو تتبّع العناصر الأمنية واستهدافها، إلى أن حصل ما حصل عقب الانقلاب العسكري وأصبح قتال القوات المسلحة ضرورة ملحة"[34]. وفي الواقع، كان تنظيم أنصار بيت المقدس شديد الحساسية تجاه التطورات المحلية؛ فقد غيّر خطابه وسرديته في المقام الأول لتأكيد فكرة أنه "يدافع عن مسلمي مصر ضد عدوان 'جيش من القتلة والمرتدين'"[35]. شكّل هذا الأمر عدولًا مهمًا عن سرديات أعوام 2010-2012، حين كان التنظيم يشدد على أنه يستهدف إسرائيل ومصالحها، ويتجنّب تصعيد الصدام مع الجيش المحلي.

3- استيعاب تنظيم الدولة لولاية سيناء: قصة البيعة

في 22 كانون الأول/ ديسمبر 2016، نشرت نشرة **النبأ** مقابلة مع القائد الجديد لولاية سيناء، المعروف باسم "والي" ولاية سيناء، أبو هاجر الهاشمي. وقد زعمت السلطات المصرية أنه ضابط عراقي سابق[36]. وبغضّ النظر عن هذا، عكست المقابلة طريقة عمل (iALLTR) التي يعتمدها تنظيم الدولة، وتقوم على استيعاب التنظيمات المسلحة المحلية، والتجنيد الفردي والجماعي، والقيادة بالاعتماد على السكان المحليين والأجانب المتمرسين بالقتال، ونقل البراعات العملية التكتيكية والابتكارات. قال أبو هاجر، مشيرًا إلى عاملَي نقل البراعات العملية والقيادة: "أما طريقة العمل (في حرب العبوات الناسفة) فهي

(34) مقابلة مع مصدر من أنصار بيت المقدس، في: منى الزملوط، "أنصار بيت المقدس: السيسي مرتد ومستمرون بقتال الجيش"، **الجزيرة نت**، 28/ 5/ 2014، شوهد في 23/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2XvZkYD

(35) هذا عنوان سلسلة فيديوهات دعائية، أصدرها أنصار بيت المقدس، لتوثيق عملياته في تشرين الأول/ أكتوبر 2013.

(36) عمرو النقيب، "مصادر لـ 24: العراقي أبو هاجر الهاشمي هو المخطط الرئيسي لمذبحة مسجد الروضة"، **24: الخبر بين لحظة وضحاها**، 20/ 11/ 2017، شوهد في 23/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3b5mZmJ؛ أحمد جمعة، "10 معلومات عن أبو هاجر الهاشمي المخطط للهجوم الإرهابي على مسجد الروضة"، **اليوم السابع**، 30/ 11/ 2017، شوهد في 23/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2JX3ReK

مثل العراق، مع بعض التعديلات في وسائل الاتصال والتفجير عن بعد [...] العبوات الناسفة هي السلاح الأمثل للتعامل مع مدرعات الجيش [المصري] المرتد"[37].

تعود الروابط الأيديولوجية والتنظيمية بين أسلاف ولاية سيناء في سيناء وأسلاف دولة العراق الإسلامية/"داعش"/تنظيم الدولة إلى 12 عامًا قبل تلك المقابلة. وتتعدى الروابط المسمّى الواحد (التوحيد والجهاد في العراق في عام 2003، التوحيد والجهاد في سيناء في عام 2004). فقد نجح تنظيم الدولة، بحلول تشرين الثاني/نوفمبر 2014، في استيعاب معظم فصائل أنصار بيت المقدس ودمجها في ولاية سيناء التابعة له، وجنّد أيضًا أعضاء من منطقتَي الدلتا ووادي النيل، وأنشأ خلايا هناك، واستورد البراعات العملية إلى سيناء من ولايات التنظيم الأخرى، وكذلك الكوادر والقادة، وحشد القدرات الاستخبارية التي سوف يستخدمها لاحقًا في عام 2015[38]. ومن بين الركائز الخمس لطريقة عمل (iALLTR)، فشل التنظيم نسبيًا في اثنتين: تكثيف التجنيد، ونهب مستودعات الأسلحة الكبيرة؛ ونجح نسبيًا في بقية الركائز.

في تشرين الثاني/نوفمبر 2014، أعلنت أغلبية فصائل أنصار بيت المقدس البيعة لتنظيم الدولة (ومن ثمّ، تأسيس ولاية سيناء)، ولعلّ ذلك هو التطور الأهمّ وغير المسبوق في تاريخ التيار الجهادي المصري. فقد كانت هذه أول مرة تُعلن فيها منظمة جهادية مسلحة محلية، بحجم جماعة أنصار بيت المقدس، قسم الولاء الديني لمنظمة خارج الحدود. سبق أن انتشرت في

(37) مقابلة في نشرة النبأ، العدد 60 (22 ربيع الأول 1438هـ [22/ 12/ 2016])، ص 8.

(38) ينظر: مقابلة مع قائد تنظيم الدولة في مصر (وليس في ولاية سيناء)، في: "مقابلة مع أمير جند الخلافة في مصر"، **النبأ**، العدد 99 (8 شعبان 1438هـ [5/ 5/ 2017])، ص 8؛ رائد في قوى الأمن المركزي، خدم في سيناء، مقابلة شخصية، كانون الأول/ديسمبر 2016. وحول القدرات الاستخبارية والأمنية، ينظر تصريحات اللواء سلامة الجوهري، الرئيس السابق لوحدة مكافحة الإرهاب في المخابرات الحربية المصرية، في: سيد تركي ووائل ممدوح، "كيف أفلتت 'الشيخ زويد' من مصير 'الموصل والرمادي'؟"، **المصري اليوم**، 8/ 7/ 2015، شوهد في 23/ 8/ 2021، في:
https://bit.ly/2VninBL

أواخر عام 2013 تقارير غير مؤكدة تفيد بأن كمال علام، وعددًا من المقاتلين السيناويين، تدرّبوا في معسكرات "داعش" في سورية[39]. وذكرت تقارير أخرى أن أبا بكر البغدادي التقى ببعض الجهاديين السيناويين الذين قاتلوا في العراق، وكان مهتمًا بتقديم الدعم اللوجستي لهم منذ عام 2011[40]. وفي أيلول/ سبتمبر 2014، دعا المتحدث الرسمي باسم "داعش"، أبو محمد العدناني، "الإخوة في سيناء لقتال جنود جيش النظام بكلّ السبل وتحويل حياتهم إلى جحيم ورعب". وعمومًا، كانت بوادر المَيل نحو "داعش" واضحة منذ أوائل عام 2014، على الرغم من الشريط الصوتي الذي أذاعه زعيم تنظيم القاعدة في 24 كانون الثاني/ يناير 2014 ووصف فيه أنصار بيت المقدس بـ "رجالنا في سيناء".

في 24 تشرين الأول/ أكتوبر 2014، ظهر مؤشر واضح على نجاح تنظيم الدولة في استيعاب أنصار بيت المقدس. قال مسلح مقنّع، في 24 تشرين الأول/ أكتوبر 2014، عقب عملية أدت إلى تدمير حاجز عسكري في كرم القواديس: "بشّروا [أبو بكر] البغدادي [...] بشّروا خليفة المؤمنين[41]. النصر قادم. ونحن جنودكم إن شاء الله"[42]. وفي 10 تشرين الثاني/ نوفمبر 2014، أصبح الانتماء إلى تنظيم الدولة رسميًا. وفي ذلك الشهر، غيّر أنصار بيت المقدس اسمه إلى ولاية سيناء. ولعلّ الذي تحدث في البيان الذي نشره القسم الإعلامي لأنصار بيت المقدس/ ولاية سيناء هو قائد التنظيم في ذلك الوقت، أبو أسامة المصري. وقد وضع حدًّا للبيانات المتضاربة الصادرة عن وسائل الإعلام التابعة لأنصار بيت المقدس. وكان بيان سابق، قد صدر في

(39) عمرو النقيب، "كمال علام ... من مطرب شعبي إلى أمير تنظيم التوحيد والجهاد"، **24: الخبر بين لحظة وضحاها**، 28/ 12/ 2017، شوهد في 23/ 8/ 2021، في: https://bit.lqy/2Vi4LYg

(40) حسن أبو هنية ومحمد أبو رمان، **تنظيم الدولة الإسلامية: الأزمة السنية والصراع على الجهادية العالمية** (عمّان: مؤسسة فريدريش إيبرت، 2015). اتصل المؤلف بأحد مؤلفَي الكتاب الذي ذكر أن المعلومات مبنية على مقابلة أجراها مع مؤيدين لـ"داعش".

(41) كان تنظيم الدولة قد أعلن عن قيام "الخلافة" في 29 حزيران/ يونيو 2014.

(42) يرجَّح أن المتحدث هو كمال علام، أحد القادة العسكريين لأنصار بيت المقدس/ ولاية سيناء، وهو من مدينة العريش.

3 تشرين الثاني/ نوفمبر 2014، أعلن الولاء لتنظيم الدولة ودعا "الأخوة في أرض الكنانة [مصر] وليبيا وغزة وجميع بلدان المغرب والمشرق" إلى إعلان الولاء للتنظيم. لكن في 4 تشرين الثاني/ نوفمبر 2014، نُشرت تغريدة تنكر قسم الولاء، وتتحدّى صحة البيان الأول الذي نشره أحد حسابَي تويتر اللذين ينشران بيانات أنصار بيت المقدس بانتظام. عكس التصريحان المتضاربان الانقسامات داخل التنظيم التي تخص في المقام الأول أنه كان ينبغي إعلان قسم الولاء لتنظيم الدولة أو الحفاظ على انتماء غير معلن وتقارب أيديولوجي مع تنظيم القاعدة، ولا سيما مع استراتيجيتها المعدّلة بعد عام 2011 والمتمثلة في المزج بين العنف السياسي وتقديم الخدمات الاجتماعية لكسب التأييد الشعبي.

ثالثًا: لماذا صمدت ولاية سيناء عسكريًا؟

أظهر المبحث السابق تطور ولاية سيناء تنظيميًا. ويتناول هذا المبحث الأسباب الرئيسة لاستمراريتها: قدراتها العسكرية ومواردها، وأخطاء مكافحة التمرد التي ارتكبتها قوات النظام، والبيئة الاجتماعية - السياسية التي يعمل فيها كلا الجانبين. وثمة عناصر أخرى مهمة، لكن بدرجة أقل بكثير، تشملُ، على سبيل المثال، كيفية تعزيز سردية ولاية سيناء ودعايتها لجهودها العسكرية، وتأثير ذلك في شرعيتها بين شرائح المجتمع المصري والسيناوي. وسوف يُشار إلى هذه العناصر، لكن من دون التركيز عليها هنا[43]. ولأن الحيّز المُتاح في هذا الكتاب محدودٌ كميًا، فإن هذا المبحث لن يتناول نظريات المؤامرة والحجج القائمة على فرضيات "العملاء المحرّضين" و"العلم المزيف" و"الإخبار الكاذب" و"الأهداف المحدودة". وملخص هذه الحجج أن الجيش يهدف إلى احتواء التمرد وإضعافه في الأطراف النائية، لكنه لا يهدف إلى تدميره. والأسباب وراء هذا الهدف المحدود هي الحفاظ على الشرعية الدولية

(43) إن جودة الدعاية لدى ولاية سيناء، ونشرها على نطاق واسع، أمر بالغ الأهمية في التجنيد والتطرف. أمّا تأثيرها المباشر في القدرة القتالية للولاية، فيقتصر على "القوة المعنوية" و(مستويات التطرف) و"القوة البشرية". (أعداد المجندين).

وتحويل الانتباه عن الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، والحفاظ على تدفّق الدعم اللوجستي، بما في ذلك الأسلحة والمُعدّات والأموال والمعلومات الاستخبارية، بذريعة أن قوات النظام لا تزال في حالة حرب مع أحد فروع تنظيم الدولة الذي يمتلك قدرات عسكرية مؤكدة. وتذهب الحجج أيضًا إلى أن النظام يتلاعب بالتمرد لأجل تصفية/ اغتيال الأجنحة المعارضة داخل صفوفه و/ أو الشخصيات المعارضة خارجها، باستخدام تكتيكات "العَلم المزيف" الكلاسيكية. لكن لا يمكن إثبات أو دحض أو إجراء اختبار موثوق لمعظم هذه الحجج. ومع ذلك، استخدمت الأجهزة العسكرية والأمنية في مصر تكتيكات "العلم المزيف" و"العملاء المحرّضين"، مرات عدة من قبل. وثبت هذا أساسًا من خلال مذكرات كبار المسؤولين العسكريين وشهاداتهم، ومنهم وزراء ورئيس سابق[44]. أما في حالة ولاية سيناء، فإن صدقية الشهادات التي ظهرت لدعم هذه الحجج كانت أقل بكثير[45].

1 - القدرات العسكرية

إن القدرة القتالية لولاية سيناء غير مسبوقة في تاريخ حركات التمرد في مصر، بما في ذلك التمرد المنخفض المستوى بين عامي 1992 و1997 في

(44) لعل أوضح حالة كانت التفجيرات الستة في عام 1954 (مهاجمة مطعم غروبي وخمسة أهداف مدنية أخرى) التي ارتكبتها عناصر من الشرطة العسكرية التابعة لعبد الناصر. ويومها، حُمِّلت مسؤولية التفجيرات لجماعة الإخوان المسلمين والفصائل الشيوعية. كشف مسألة تورط الشرطة العسكرية عبدُ اللطيف البغدادي وزير الدفاع الأسبق (1953-1954) وأحد الضباط الأحرار في مذكراته. ينظر: عبد اللطيف البغدادي، **مذكرات عبد اللطيف البغدادي**، ج 1 (القاهرة: المكتب المصري الحديث، 1977). وأكد هذه الشهادة خالد محيي الدين، أحد الضباط الأحرار والسفير المصري الأسبق في سويسرا في عهد عبد الناصر. ينظر: خالد محي الدين، **والآن أتكلم** (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1992)، ص 305.

(45) يشمل ذلك شهادة شخص ادّعى أنه ضابط في الجيش بشأن اغتيال العميد عادل رجائي (قائد الفرقة التاسعة التي تشرف على تأمين "المنطقة المركزية" الاستراتيجية في تشرين الأول/ أكتوبر 2016): "مقطع فيديو يُفجّر جدلًا عن دور علي مملوك باغتيال ضابط مصري"، **أورينت نت**، 30/ 10/ 2016، شوهد في 23/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3chrRp8

صعيد مصر[46]، واشتباكات الأعوام 1952-1954 في القاهرة الكبرى[47]. تستخدم ولاية سيناء أساسًا أسلوبين في الحرب: الأول يتضمن تكتيكات "الإرهاب الحضري" الشائعة؛ وتشمل شنّ هجمات في المدن والبلدات عبر مزيج من السيارات المفخخة والهجمات الانتحارية والاغتيالات الموجَّهة. والأسلوب الثاني هو حرب الغوار؛ وتقوم على الاعتماد أساسًا على وحدات صغيرة ومتنقلة لاستخدام تكتيكات الكر والفر ضدّ الأهداف الأمنية والعسكرية. وعادة ما يكون أفراد تشكيلات المغاوير مزوّدين بأسلحة خفيفة فحسب، وحريصين على تجنّب المواجهة المباشرة المديدة مع القوات النظامية.

ليست حرب الغوار جديدةً على مصر، بل الجديد نوعية التكتيكات التي يستخدمها متمردو سيناء؛ إذ يقاتلون بأسلوب مشابه للقوات الخاصة والمشاة النظامية[48]. فمنذ أوائل عام 2014، استخدمت ولاية سيناء مزيجًا من مدافع الهاون المتوسطة (82 ملم) والخفيفة (60 ملم)، وصواريخ أرض-أرض موجّهة وغير موجّهة، وصواريخ أرض-جو موجّهة، ومدافع رشاشة ثقيلة وقناصة لتغطية تقدم، أو تراجع، تشكيلات كل منها بحجم طاقم أو فصيلة (بحسب العملية). وسيطرت ولاية سيناء على قرى ومساحات عدة من الأراضي الواقعة جنوب مدينتي الشيخ زويد ورفح ومدينة العريش أيضًا، أو حظرت الوصول إليها.

دُعِّمت تكتيكات حرب الغوار المستخدمة بالتدريب والمعدات الكافية. ففي كانون الثاني/ يناير 2014، أسقط أنصار بيت المقدس طائرة هليكوبتر من طراز إم آي-17 تابعة للجيش الميداني الثاني؛ ما أسفر عن مقتل كل أفراد

---

(46) Ashour, *The De-radicalization of Jihadists*, pp. 45-63.

(47) Omar Ashour, "Collusion to Collision: Islamist-Military Relations in Egypt," Brookings Doha Center, *Analysis Paper, no. 14* (March 2015), pp. 9-16, accessed on 23/8/2021, at: https://brook.gs/3ze989F

(48) بعض عناصر أنصار بيت المقدس/ ولاية سيناء هم من المنشقين عن الجيش النظامي، أبرزهم الرائد هشام العشماوي والنقيب عماد عبد الحليم من القوات الخاصة (الصاعقة)، والنقيب البحري أحمد عامر (الذي استولى على زورق الدورية القتالي "6 أكتوبر" من القاعدة البحرية بدمياط في تشرين الثاني/ نوفمبر 2014، ثم أعلن عبر الراديو أن الزورق تابع لجيش الدولة الإسلامية)، وغيرهم.

طاقمها الخمسة. استُخدم في العملية صاروخ أرض-جو موجّه بالأشعة تحت الحمراء من عائلة إيغلا (Igla) روسي الصنع (إما إس إي-16[49] أو إس إي-18[50]، الأحدث والأكثر دقة/ والأبعد مدى). كانت هذه أول مرة في تاريخ مصر يتمكّن فيها فاعل مسلح دون الدولة من إسقاط مروحية عسكرية لجيش الدولة بوساطة صاروخ موجّه. وفي تشرين الأول/ أكتوبر 2014، استولت ولاية سيناء على كمية كبيرة من الأسلحة بعد هجوم مزدوج على نقاط تفتيش عسكرية في كرم القواديس (الشيخ زويد) ومدينة العريش. وخلال المعركة، قتلت ولاية سيناء أكثر من 30 جنديًا ودمرت دبابة إم-60 (M-60) وعربة مدرعة إم-11 (M-11) أميركيتي الصنع. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر، أصدر التنظيم مقطع فيديو دعائيًا عنوانه "صولة الأنصار"، ظهرت فيه أسلحة جرى الاستيلاء عليها من القوات النظامية، منها قذائف هاون متوسطة الحجم (82 ملم).

اتّسعت حدّة الهجمات ونطاقها في كانون الثاني/ يناير 2015، حين استهدفت ولاية سيناء بالتزامن 11 موقعًا عسكريًا وأمنيًا في ثلاث مدن/ بلدات: العريش والشيخ زويد ورفح. كانت هذه الهجمات المتزامنة على مثل هذا العدد الكبير من الأهداف سابقة في مصر، حتى مقارنة بالفترة التي اشتبكت فيها القوات الملكية البريطانية والثوار المصريون في مدن القناة بين أربعينيات القرن الماضي وبداية خمسينياته. استخدمت ولاية سيناء خلال هذه الهجمات مدافع الهاون الخفيفة (60 ملم) والمدافع الرشاشة الثقيلة (12,7 ملم) وأنواعًا مختلفة من العبوات الناسفة، بما في ذلك العبوات المتحكَّم فيها عن بعد. واستخدمت أيضًا صواريخ مضادّة للدبابات غير موجّهة من الأجيال القديمة، مثل آر بي جي-7. لكن ترسانة التنظيم المضادة للدبابات تطوّرت في وقت لاحق من عام 2015 لتشمل صواريخ كورنِت روسية الصنع، وهي صواريخ متطورة مضادة للدبابات وموجّهة بالليزر، قادرة على اختراق ما يعادل 1100 إلى 1200 ملم من الدروع الفولاذية. كانت أهداف هجمات كانون الثاني/

(49) تسمية وزارة الدفاع الأميركية للصاروخ 9كي310 إيغلا-1إ.

(50) تسمية وزارة الدفاع الأميركية للصاروخ 9كي38 إيغلا.

يناير 2015 صعبةً: مدججة بالسلاح وذات حراسة مشددة، من بينها معسكر الكتيبة 101 في العريش، وهو المقر الرئيس لبعض القوات العسكرية المنتشرة في الشمال الشرقي والمقرّ الذي تستجوب فيه الشرطة العسكرية والمخابرات المشتبه فيهم. ويشير إليه السكان المحليون بمصطلح "غوانتانامو سيناء".

في أيار/مايو 2015، أصدرت ولاية سيناء الفيديو الدعائي "صولة الأنصار 2"، وثّقت فيه جيدًا الهجمات المتزامنة على سبعة أهداف عسكرية في نيسان/أبريل من العام نفسه. لكن الهجوم الأشدّ تعقيدًا الذي شنّته ولاية سيناء، وقع في 1 تموز/يوليو 2015[51]، واستهدف 21 موقعًا عسكريًا وأمنيًا في وقت واحد تقريبًا ونجح في تدمير حوالى نصفها كليًا.

إجمالًا، نفّذت ولاية سيناء وسلفها، أنصار بيت المقدس، أكثر من 880 هجومًا بين بداية عام 2014 ونهاية 2016، ووقع أكثر الهجمات تعقيدًا، من حيث جودة التكتيكات العسكرية وعدد المتمردين، في أواخر عام 2014 وفي عام 2015. استهدفت أغلبية الهجمات القوات العسكرية أو الأمنية، ووقعت بالقرب من الطريق الساحلية الشمالية بين العريش ورفح. كما شُنّت هجمات أخرى ضد إسرائيل أو أهداف مدنية سهلة، مثل خطوط أنابيب الغاز. وتمكن التنظيم أيضًا من تنفيذ هجمات كبيرة خارج سيناء، وخصوصًا في القاهرة ووسط الدلتا وشمال الصعيد والصحراء الغربية، على بعد أكثر من 600 ميل من شمال سيناء. وبحلول نهاية عام 2016، قُدِّر عدد الضباط والجنود الذين قُتلوا في شمال سيناء بأكثر من 1000ضابط وجندي، مقارنة بـ 401 من الضباط والجنود في خمسة أعوام (1992-1996) من التمرد المنخفض المستوى في كل أنحاء مصر[52]. ويصعب أكثر التحقق من عدد

---

(51) أدناه، التحليل التفصيلي لمعركة الشيخ زويد.

(52) نبيل عبد الفتاح، **الحالة الدينية في مصر** (القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 1996)، ص 71. تستند الأرقام إلى المجاميع الموجودة في منشورات مفتوحة والبيانات الرسمية وبيانات المتمردين وقاعدة البيانات الخاصة بالمؤلف بشأن التمرد في سيناء التي جُمعت بين عامي 2010 و2015. الأرقام هي تقديرات، نظرًا إلى صعوبة التحقق منها. إن عدد القتلى الذي قدّمه المتحدث العسكري والمتمردون موضع شك كبير. وفي وقت تأليف الكتاب، كان إجراء تحقيق مستقل بوساطة الباحثين والصحافيين والمنظمات غير الحكومية المحلية والدولية شبه مستحيل بسبب الظروف على الأرض.

قتلى المتمردين. إذا جمعنا الأرقام التي أعلنها المتحدث العسكري منذ عام 2011، فسيتجاوز عدد المتمردين القتلى 3000 (مقارنة بـ 425 في تمرد التسعينيات). لكنّ هوية هؤلاء القتلى محل نزاع. يبدو أن منهم مدنيين، قُتلوا في قصف جوي أو قصف مدفعي، ومعتقلين احتجزتهم قوات الأمن قبل إدراج أسمائهم بصفتهم "تكفيريين"[53]، سقطوا في أثناء القتال. هذا عدا عمليات القتل الانتقامية التي كانت القوات النظامية تُنفّذها بعد وقوع هجوم ناجح عليها، وتستهدف عادة أقارب المتمردين المعروفين.

من حيث موارد التنظيم، تُعدّ الأسلحة والتدريب والتجنيد الركائز الثلاث الأهم في تعزيز النشاطات العسكرية لولاية سيناء. ويتّهم النظام الحاكم في مصر ليبيا وغزة بأنهما مصدر السلاح، كما زعم بعض مسؤوليه الأمنيين السابقين أن تركيا وقطر وإسرائيل والولايات المتحدة متآمرة مع المتمردين[54]. وإضافة إلى تدفق بعض الأسلحة من ليبيا، استولى التنظيم على أسلحة من القوات النظامية خلال الهجمات المحلية. وتستمد ولاية سيناء قدرتها العسكرية من ثلاث فئات من الأفراد تضمّهم صفوفها. تشمل الفئة الأولى المنشقين عن الجيش والقوات الأمنية، وتراوح رتبهم بين المجنّدين وضباط متوسطي الرتب ممن خدموا في القوات الخاصة والدفاع الجوي والبحرية وقوات الأمن المركزي والشرطة[55]. وتشمل الفئة الثانية المتمردين المتمرسين بالقتال الذين تلقوا تدريباتهم في مناطق قتال خارج سيناء، بما في ذلك غزة وسورية والعراق. فقد قال أحد

(53) يستخدم النظام هذا المصطلح لوصف المتمردين. وهذا لا يتوافق مع الفهم البحثي المشترك لـ"التكفيرية" بصفتها أيديولوجيا. وتستخدمه أكثر قوات/ وسائل الإعلام النظامية الرسمية مصطلحًا مُهينًا، يُقصَد منه نزع الشرعية عن المتمردين.

(54) ينظر، على سبيل المثال، اتهامات اللواء رفيق حبيب للولايات المتحدة في برنامج "النافذة المسائية" على قناة الجزيرة الذي بُثّ في 20 آب/ أغسطس 2015، في: "النافذة المسائية ... انفجار أمن الدولة وخسائر في البورصة المصرية"، يوتيوب، 20/ 8/ 2015، شوهد في 23/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3cpJ0gr

(55) ينظر مثلًا:

Ahmed Hassan, "One of Us: The Militant Egypt's Army Fears Most," *Reuters*, 16/10/2015, accessed on 23/8/2021, at: https://reut.rs/2K6pXLD

المتمردين في شريط الفيديو الدعائي "صولة الأنصار 2": "جئناك [يا عبد الفتاح السيسي] من بلاد الشام".

تشمل الفئة الثالثة المتمردين المحليين الدائمين الذين اكتسبوا خبرة واسعة على مدى العقد الماضي، في قتال القوات النظامية، وبناء شبكات الدعم اللوجستي. ونظرًا إلى الأخطاء المتكررة في مكافحة التمرد والإرهاب والبيئة السياسية، استطاعت ولاية سيناء تجنيد عناصر من شبه جزيرة سيناء، وكذلك من وادي النيل، وإن يكن عددهم قليلًا. وفي هذا السياق، قال صحافي محلي: "في قريتي، علمنا أن خمسة شبان انضموا إلى الأنصار [أنصار بيت المقدس] في عام 2012. والآن [في عام 2015]، نعتقد أنهم أكثر من ثلاثين"[56]. وإضافة إلى التجنيد المباشر، شكّلت ولاية سيناء شبكة تجسس فعالة. قال أحد السكان المحليين: "لقد حذّروهم [متمردو ولاية سيناء] قبل أن تصل الأباتشي أو الدبابات إلى أهدافهم [...] لديهم الكثير من الأصدقاء هنا"[57]. يُعدّ الشعور بالظلم والمرارة وحتى العداء تجاه القوات النظامية، وهو في الأساس نتاج سياسات مكافحة التمرد، أحد أهم العوامل في تكوين هذه "الصداقات".

2- مكافحة تمرد متواضعة

بنَت القاهرة سياستَها لمكافحة التمرد والإرهاب في سيناء على ثلاث ركائز هي: القمع (Repression)، والمخبرون/ الاستخبارات (Intelligence)، والدعاية (Propaganda) (RIP). تباينت هذه السياسة من حيث كثافتها ومدتها على مدى العقد الماضي. فقد كان القمع المكثف والناتج من ردة الفعل، العشوائية في معظمها، السمة المميزة للسياسة المُتّبعة في الشمال المضطرب. وكان للقمع المكثف والعشوائي هدفٌ عقلاني، لكنه غير أخلاقي/ غير قانوني: ترويع السكان الذين كثيرًا ما نُظر إليهم بصفتهم متمردين، ومن ثمّ واجب إخضاعهم. وفي الكثير من الحالات، ولا سيما عندما يكون القمع ناتجًا من ردة فعل،

(56) صحافي سيناوي، مقابلة عبر الهاتف، آب/ أغسطس 2015.

(57) أحد السكان المحليين في سيناء، مقابلة عبر الهاتف، آب/ أغسطس 2015.

يتحوّل القمع المكثف والعشوائي إلى أعمال انتقامية غير عقلانية وعقوبات جماعية وناتج عُقَد تفوّق[58]. شملت أساليبُ القمع المستخدمة تعذيبَ المشتبه فيهم، والقتل من دون محاكمة للمشتبه فيهم والمعتقلين، وهدم المنازل وإحراقها والإخلاء القسري وتدمير الممتلكات والمزارع واستخدام المدفعية الثقيلة والقصف الجوي في المناطق السكنية[59].

نتيجة ذلك، تجاوز العدد الرسمي للمتمردين، الذين زُعم أنهم قُتلوا، أقصى التقديرات المقدَّمة بشأن حجم التمرد. وادّعى ناطق عسكري أن أكثر من 3000 "تكفيري" قُتلوا منذ عام 2011[60]، من بينهم 438 في عشرة أيام من أيلول/ سبتمبر 2015، و232 في أربعة أيام من آب/ أغسطس 2015، و241 في أربعة أيام من تموز/ يوليو 2015، و"أكثر من 170" في أسبوع في شباط/ فبراير 2015[61]. لكنّ ثمة رأيًا مختلفًا أدلت به كلٌّ من لجنة حقوق الإنسان في سيناء في المرصد المصري للحقوق والحريات والمرصد السيناوي، وهما منظمتان غير حكوميتين، تنتقدان سجل القاهرة الحقوقي في سيناء. وقد أفادت المنظمتان بأن بعض القتلى المشتبه فيهم من المعتقلين لدى الجيش أو قوات

(58) رائد سابق في قوات الأمن المركزي خدم في سيناء، مقابلة شخصية، آب/ أغسطس 2016.

(59) Human Rights Watch, *Look for Another Homeland: Forced Evictions in Egypt's Rafah*, 22/9/2015, accessed on 23/8/2021, at: https://bit.ly/3b5Tp0q;

اللواء عبد الحميد عمران، مقابلة شخصية، لندن، 29/ 9/ 2015.

(60) بحسب المؤلف، جاء هذا الرقم بناءً على البيانات الصادرة بين آب/ أغسطس 2011 (العملية نسر 1) وأيلول/ سبتمبر 2015 (عملية حق الشهيد 2). العدد الدقيق هو 3241، لكنّ حُذف كثير من البيانات من صفحة إنترنت المتحدثين العسكريين؛ ما يشير إلى أن الأرقام قد تكون غير دقيقة أو قيد المراجعة.

(61) محمد أحمد طنطاوي، "حصاد 11 يومًا من عملية 'حق الشهيد' بسيناء... مقتل 438 إرهابيًا وضبط 462 مطلوبين أمنيًا ومشتبهًا بهم ... وتفجير 385 عبوة ناسفة ... وتدمير 65 عربة و26 مخزنًا للمواد المتفجرة ... وحرق 530 مقرًا للتكفيريين"، **اليوم السابع**، 18/ 9/ 2015، شوهد في 23/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3g6nUbl؛ "قتلى للجيش المصري و'ولاية سيناء' يحرق آلية عسكرية"، **الجزيرة نت**، 12/ 9/ 2015، شوهد في 24/ 9/ 2015، في: https://bit.ly/3AhgVn3؛ "المتحدث العسكري: مقتل 170 إرهابيًا في سيناء"، **إم بي سي**، 1/ 3/ 2015، شوهد في 24/ 9/ 2015، في: http://goo.gl/7NoqC9؛ "سيناء.. مقتل 241 مسلحًا في 5 أيام"، **سكاي نيوز عربية**، 6/ 7/ 2015، شوهد في 23/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3jaUs5q

الأمن. فمن القضايا التي حظيت بتغطية إعلامية واسعة قضية عمار يوسف الزريعي[62]؛ إذ أعلن المتحدث العسكري أنه اعتُقل مع "تكفيريين" آخرين في 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2014، ثم أُعلن عن مقتله في معركة خلال عملية عسكرية في 14 تشرين الثاني/ نوفمبر 2014. ووقع حادث آخر سيئ السمعة في كانون الثاني/ يناير 2017، حيث قُتل عشرة فتيان عقب هجوم شنّته ولاية سيناء على حاجزين أمنيين في مدينة العريش[63]. وأعلن المتحدث العسكري أنهم المسؤولون عن الهجوم وسقطوا في القتال. لكن بيّن محاموهم وأقاربهم وأصدقاؤهم لاحقًا أنهم سبق أن اعتقلوا، منذ تشرين الأول/ أكتوبر 2016، ولم يُطلق سراحهم قطّ[64]. أعقبت هذا الحادث مظاهرات ودعوات إلى إضراب عام في العريش. وينتمي كل الفتيان المتوفين إلى عشائر وأحياء ينحدر منها بعض قادة ولاية سيناء.

إجمالًا، قال تقرير المرصد المصري للحقوق والحريات إن الجيش قتل 1347 شخصًا، واعتقل 11906 أشخاص، ورحّل قسرًا 26992 شخصًا بين أيلول/ سبتمبر 2013 وحزيران/ يونيو 2015[65]. وأفادت هيومن رايتس ووتش بتدمير واسع لما لا يقل عن 3255 مبنى، و"أن الجيش المصري لم يقدِّم أي تحذير مكتوب بشأن عمليات الإخلاء الوشيكة، وأن كثيرين من السكان سمعوا عن عمليات الهدم القادمة من دوريات الجيش أو الجيران أو وسائل الإعلام"[66].

أسهمت عناصر قمع أخرى بتأثير كبير في السكان المحليين؛ فقد أدّى القصف الجوي على قرى صغيرة وبلدات سكنية، بوساطة طائرات مقاتلة من

(62) عيد المرزوقي، ناشط بدوي من سيناء، مقابلة شخصية، الدوحة، تشرين الأول/ أكتوبر 2015. ينظر أيضًا: عيد المرزوقي، "مآسي سيناء في قصة عائلة يوسف زريعي"، **العربي الجديد**، 6/ 3/ 2015، ص 6.

(63) "لليوم الثاني، جنازات شبان قتلوا على أيدي الأمن تتحول إلى مظاهرات"، **العربي الجديد**، 16/ 1/ 2017، ص 1.

(64) المرجع نفسه.

(65) المرصد المصري للحقوق والحريات، لجنة حقوق الإنسان في سيناء، **سيناء عامان من الجرائم** (حزيران/ يونيو 2015)، شوهد في 23/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3k9J7lq

(66) "Look for Another Homeland," p. 13.

طراز إف-16 وطائرات هليكوبتر أباتشي، إلى خسائر في الأرواح بين المدنيين، بمن فيهم الأطفال. ولعلّ الأكثر إشكالًا شيوعُ التسامح مع "الأضرار الجانبية" إلى حد كبير في ثقافة المؤسسات المسلحة المصرية (الجيش، الأمن/ الشرطة، الاستخبارات). ولذلك حين يكشف الصحافيون المحليون عن هذه الأضرار، فإن الإنكار والمزيد من القمع هما الردّان الأكثر شيوعًا عليهم. وربما تكون الحالة الأكثر شهرة هي حالة أحمد أبو دراع، الصحافي الحائز على جوائز والمؤيد للجيش الذي قدم مرة واحدة قصة تختلف عن قصة الجيش. ففي أيلول/ سبتمبر 2013، أعلن الناطق العسكري أنهم قصفوا قرية المقاطعة، وقُتل عشرة مسلحين ودُمر مستودع أسلحة. لكنّ أبو دراع الذي ينحدر من القرية أفاد بأنه لم يسقط قتلى من المسلحين، وأن خمسة منازل مدنية ومسجد القرية دُمِّرت، وأصيبت أرملة وثلاثة أطفال. بعد هذا التقرير، اعتُقل أبو دراع ووُصف بأنه "إرهابي" في وسائل الإعلام، وفي المآل أُحيل إلى محكمة عسكرية حكمت عليه بالسجن ستة أشهر بتهمة "نشر معلومات مضللة".

الدعاية ركيزة أخرى لاستراتيجية القاهرة في مكافحة التمرد والإرهاب. لكن رداءة الدعاية أثّرت سلبيًا في صدقية الجيش النظامي. فعلى سبيل المثال، أعلن النظام مرات عدة مقتل كمال علام، لكنه كان يظهر مجددًا في مقاطع الفيديو الدعائية الجديدة التي تنشرها ولاية سيناء. وحدث الأمر نفسه مع القيادي شادي المنيعي الذي أُعلن عن مقتله مرات عدة، قبل أن تنشر ولاية سيناء صورة له يظهر فيها يقرأ نعيه على جهاز كمبيوتر محمول[67]. شملت المعلومات غير الدقيقة البيانات المتعلقة بالتطورات على مستوى العمليات، ووفيات الجنود والمدنيين والمتمردين، والأضرار الجانبية، وحتى حوافز التعاون. منذ فترة الستينيات، قامت السياسات الإعلامية للجيش على افتراضٍ مفاده أن النظام الحاكم يحتكر المعلومات والسرديّات. لكن هذا الافتراض حطّمته وسائل التواصل الاجتماعي في القرن الحادي والعشرين، وثلّة من الصحافيين والناشطين المحليين، وكذلك مقاطع الفيديو والصور الموثقة جيدًا

(67) ينظر الصورة المنشورة، شوهد في 1/ 12/ 2018، في: https://bit.ly/3pDgf7O

التي أنتجها المتمردون أنفسهم ونشروها. ومن الأمثلة العديدة على ذلك حادث الفرقاطة البحرية المصرية، التي استهدفها صاروخ موجّه مضاد للدروع من طراز كورنِت، في تموز/يوليو 2015. فقد ادّعت الرواية الرسمية أن الحادث وقع حينما كان أحد زوارق خفر السواحل يطارد الإرهابيين، ثم اندلع "حريق عرضي" في الزورق. لكن ولاية سيناء أصدرت مقطع فيديو يوضح تفصيلات العملية، وظهر فيه أحد المتمردين يستهدف الفرقاطة من تلٍّ بوساطة صاروخ كورنيت. إذًا، لم تكن هناك مطاردة، ولا زوارق، ولا "حريق عرضي".

زِدْ على ذلك أنّ ركائز سياسة (RIP) لمكافحة التمرد يُقوّض بعضها بعضًا من نواحٍ عدة. إن نوع القمع المستخدم، مع أزمة الصدقية الناشئة من الدعاية المتواضِعة، يقوّضان إمكان التعاون مع القوات النظامية، وكذلك الاستخبارات المحلية. وفي هذا السياق، روى أحد السكان المحليين من الشيخ زويد ما جرى مع جاره، قائلًا: "حين تذهب إلى هناك [حاجز عسكري] لتخبرهم بوجود قنبلة بجانب منزلك، فإنهم يقولون 'لقد وضعتها بنفسك أيها البدوي الوسخ' ثم يضربونك أو يعتقلونك"[68]. ويُضاف إلى تناقضات هذه السياسة مشكلة أخرى تتمثل في جودة تدريب الجنود ومعنوياتهم. إن الكثير من الجنود الذين يخدمون في شمال سيناء هم من المجندين الذين يُرسلون إلى المنطقة في الأشهر القليلة الباقية من خدمتهم للحدّ من فرص فرارهم. لكنّ هذه النوعية من الجنود لا تضاهي المتمردين ذوي الجذور المحلية الملتزمين أيديولوجيًا. يتهم النظام ووسائل إعلامه الرسمية المتمردين بأنهم مرتزقة أجانب. لكن التصورات المحلية في سيناء ليست بالضرورة مماثلة. إن ثنائية "المرتزق" في مقابل "الشهيد" التي طرحتها الدعاية الرسمية، لتشويه سمعة المتمردين القتلى وتمجيد الجنود القتلى، لها صدى جيدٌ في القاهرة، لكن ليس بالضرورة في سيناء. ففي الكثير من بلدات سيناء وقراها، يرى بعض السكان المحليين هذه الثنائية بطريقة مختلفة: "المرتزق" هو الجندي القادم من وادي النيل لهدم منازلهم ونهب ممتلكاتهم، و"الشهيد" هو المقاتل البدوي المحلي الذي يموت

---

(68) أحد السكان المحليين من الشيخ زويد، مقابلة عبر الهاتف، آب/أغسطس 2015.

في أرض الأجداد التي لم يستطع تملّكها قانونيًا بسبب السياسات التي تطبقها القاهرة في شبه الجزيرة[69].

حاليًا، يكاد يكون من المستحيل إجراء مسح بين سكان سيناء وقياس مستويات الدعم الشعبي بحرية. لكنّ كل جانب يحاول تضخيم مؤشرات الدعم في دعايته. ففي آب/ أغسطس 2013، أظهر مقطع فيديو نشره أنصار بيت المقدس (وأكده صحافيون محليون) جنازة ضخمة مع موكب من مئات الشاحنات الصغيرة (بيك-أب) وسيارات الدفع الرباعي، لدفن أربعة من أعضاء التنظيم قُتلوا بوساطة مسيِّرة إسرائيلية، في أثناء محاولتهم شن هجوم صاروخي على إسرائيل. وفي أيلول/ سبتمبر 2015، مرّت عبر القرى قافلة أخرى مؤلفة مما لا يقل عن 20 شاحنة بيك-أب، على متنها مسلحون، وترفع أعلام تنظيم الدولة، ووقف قرويون (ومنهم أطفال) على جانبي الطريق يحيون المتمردين. لكنّ هذا لا يعني أن التطرف الأيديولوجي أو الأساليب الوحشية لولاية سيناء تحظى بشعبية. لعلّ الأسباب القبَلية والمظالم توفر تفسيرات وفهمًا أفضل للوضع؛ وهذا يعني أن الفوز في معركة "التنافس على الولاء" ليس من نصيب أجهزة النظام الحاكم[70]. والأمر الأكثر إشكالًا أنه لا مؤشرات تدلّ على تغيير السياسات حتى لحظات كتابة هذا الفصل.

3- بيئة مساعدة

على الصعيد الوطني، أدى التصاعد الجامح في الأزمة السياسية في مصر منذ الانقلاب العسكري في تموز/ يوليو 2013 وقبله، ومستويات القمع غير المسبوقة التي تلت ذلك، إلى تداعيات كبيرة على الوضع الأمني في مصر

---

(69) يحظر القانون على البدو تملك الأراضي في العديد من مناطق شبه جزيرة سيناء، وخصوصًا في الشمال الشرقي. وتبقى المؤسسة العسكرية المالك الأساسي وتنظم ملكية الأرض في سيناء. ينظر:
Abdel-Fattah Barayez, "'This Land is their Land': Egypt's Military and the Economy," *Jadaliyya*, 25/1/2016, accessed on 23/8/2021, at: https://bit.ly/3g6iltF; Yezid Sayigh, "Above the State: The Officers Republic of Egypt," *The Carnegie Papers*, Carnegie Endowment for International Peace (August 2012), pp. 16-17, accessed on 23/8/2021, at: https://bit.ly/3j8y24Y

(70) ينظر:
Petraeus, Amos & Nagl, p. 312.

عمومًا، وفي سيناء خصوصًا. أثّرت دموية مجزرة رابعة (حوالى 1000 قتيل)[71] وحملات القمع الأخرى، مثل الحرس الجمهوري في 8 تموز/يوليو 2013 (51 قتيلًا)، وشارع النصر في 27 تموز/يوليو 2013 (106 قتلى)، وميدان النهضة في 14 آب/أغسطس 2013 (87 حالة وفاة)، في ماضي مصر القريب، وستؤثر في مستقبلها، تمامًا كما هي حال المجازر ذات الدوافع السياسية في أماكن أخرى من العالم[72]. ومع أن أزمات سيناء أقدم بكثير من أزمة القاهرة في عام 2013، فقد كانت لهذه الأخيرة عواقب سلبية على الأولى. أولًا، أدّت أزمة القاهرة ونتائجها إلى بروز أجنحة وسياسات استئصالية داخل المؤسسات الأمنية والعسكرية[73]. اعتقدت هذه الأجنحة أن أزمة سيناء، من بين أمور أخرى، تُحلّ بالقضاء على المعارضين وإخضاع المنشقين باستخدام القوة الصلبة حصرًا. ويرى قادة هذه الأجنحة أن الخطأ الكبير الذي ارتكبه كل من الرئيس السابق حسني مبارك والمشير محمد حسين طنطاوي أنهما كانا "متساهلَين"[74]. ثانيًا، خلقت حملة القمع التي أعقبت انقلاب تموز/يوليو 2013 بيئة أصبح فيها السلاح أداة أساسية للبقاء وتحقيق "العدالة" المأمولة. ثالثًا، استفاد متمردو ولاية سيناء إلى حدٍّ كبير من مثل هذه البيئة. وكما سبقت

(71) "حسب الخطة: مذبحة رابعة والقتل الجماعي للمتظاهرين في مصر"، هيومن رايتس ووتش، 12/ 8/ 2014، شوهد في 23/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3zgJTUq

(72) على الصعيد العالمي، يكون عادة للمجازر بهذا المستوى من إراقة الدماء عواقب اجتماعية وسياسية وأمنية كبرى. فقد أدت الوفاة المأساوية لـ 14 محتجًا في "الأحد الدامي" في عام 1972 في إيرلندا الشمالية إلى سنوات "الاضطراب" ومواجهة عسكرية وسياسية مطولة بين السلطات البريطانية والجيش الجمهوري الإيرلندي المؤقت وتنظيمات الجمهوريين المسلحة الأخرى. وأسفرت "مجزرة فاطمة"، الأسوأ في سياق "الحرب القذرة" في الأرجنتين، عن مقتل 30 شخصًا على نحوٍ مأساوي في عام 1976، وأدّت إلى مواجهات مسلحة وغير مسلحة مطوّلة بين المجلس العسكري ومختلف جماعات المعارضة. وفي العالم العربي، كان عدد ضحايا ميدان رابعة أعلى بكثير من مجازر أخرى مثل ليمان طرّه في مصر (1957) والدجيل في العراق (1982)، ويمكن المقارنة بسجن أبو سليم في ليبيا (1996) فحسب.

(73) Youssef Chaitani, Omar Ashour & Vito Intini, "An Overview of the Arab Security Sector amidst Political Transitions: Reflections on Legacies, Functions and Perceptions," United Nations' Economic and Social Commission for West Africa (UN-ESCWA) (July 2013), accessed on 23/8/2021, at: https://bit.ly/3y7R7bB; Ashour, "Collusion to Collision."

(74) لواء في وزارة الداخلية المصرية، مقابلة شخصية، القاهرة، 13/ 4/ 2013.

الإشارة إليه أعلاه، كان التنظيم شديد الحساسية تجاه التطورات المحلية، ولذلك غيّر سرديته بما يضمن تعزيز جهوده في تجنيد العناصر وتوسيع قاعدة مؤيديه واكتساب الشرعية وإضفاء الضرورة على تكتيكاته الوحشية.

رابعًا: الأداء القتالي في ساحة المعركة: عملية الشيخ زويد

في 1 تموز/يوليو 2015، نفّذت ولاية سيناء أعقد عملية عسكرية يقوم بها تنظيم مسلح مصري دون الدولة في المئة عام الماضية. فطوال ذلك اليوم، هاجم 21 تشكيلًا من مجموعات المسلحين - يراوح كل منها بين 7 و150 مقاتلًا - 21 هدفًا عسكريًا وأمنيًا في ثلاث مناطق ساحلية في شمال شرق سيناء: العريش والشيخ زويد ورفح. بدأ المتمردون بمهاجمة أول 15 هدفًا في وقت واحد تقريبًا عند الساعة 06:30. ضربت عربات مفخخة انتحارية نادي ضباط العريش وحاجزي الرافعي وأبو سدرة العسكريين (كلاهما في الشيخ زويد)، في حين تعرضت بقية الأهداف الـ 12[75] لهجوم بمزيج من قذائف الهاون الخفيفة والمتوسطة والصواريخ الموجّهة المضادة للدروع، وقذائف آر بي جي والرشاشات الثقيلة والبنادق الهجومية. وحوالى الساعة 10:00، سيطر متمردو ولاية سيناء على نحو 10 أهداف من أصل 15، وطوّقوا جزئيًا مدينة الشيخ زويد من الجنوب والشرق والجنوب الغربي. وبينما كانت التشكيلات الصغيرة لولاية سيناء لا تزال تشتبك مع القوات النظامية في شمال بلدة الشيخ زويد وداخلها، قصفت عناصر التنظيم خمسة حواجز عسكرية إضافية واقعة ضمن الحدود الإدارية للمركز، وفجّرت عبوات ناسفة في حاجزين آخرين. وفي وقت متأخر من الصباح، بات أكثر من 150 مسلحًا داخل البلدة، وشرعوا في اتخاذ مواقع لهم في الشوارع والأزقة المؤدية إلى مركز شرطة الشيخ زويد شديد التحصين بهدف اقتحامه. قال أبو خالد (أحد شهود العيان على الواقعة وهو من سكان الشيخ زويد): "كانوا منظمين جدًا. قادة ميدانيون في

(75) الأهداف هي الحواجز العسكرية التالية: الماسورة، وسادوت، والوفاق، وأبو طويلة، في غرب رفح؛ ولي لافي في جنوب رفح؛ الضرايب، والخروبة، والعبيدات، وقبر عمير، والإسعاف، والبوابة، والشلاق، في الشيخ زويد.

سيارات الدفع الرباعي يصدرون الأوامر. يرتدون كتفيّات وشارات حمراء، ويحملون أجهزة اتصال لاسلكي، ولا يضعون أقنعة [...] الرتب الدنيا كانوا من المراهقين، معظمهم كانوا يزرعون العبوات الناسفة حول كتل الأبنية [...] تمركز القناصون فوق أسطح المباني [...] لقد سيطروا على المدينة وكان الأمر مخيفًا"[76]. استطاع المتمردون نصب ما لا يقل عن خمسة مدافع آلية مضادة للطائرات على شاحنات بيك-أب على الأطراف الجنوبية والغربية للمدينة، ومدفع آخر في وسطها غير بعيد عن مركز الشرطة.

شنّت القوات النظامية هجومها الجوي المضاد في أواخر ما بعد الظهيرة. وفي البداية، اعتمدت القيادة الموحدة لشرق القناة[77] أساسًا على طائرات الهليكوبتر الأباتشي والقوات البرية لاستهداف المواقع التي خسرتها. وتبين أن هذا الأمر يمثل مشكلة لسببين رئيسين. فقد سارع مقاتلو ولاية سيناء إلى إنشاء الحُفر وزرعوا عبوات ناسفة على الطرقات التي يحتمل تقدم القوات المهاجمة عليها، وأطلقوا النار بكثافة، وجعلت نيرانُ مضادات الطائرات مهمةَ الأباتشي البالغة الصعوبة. ثم استُخدمت في الهجوم مُسيّرات قتالية[78] وطائرات إف-16 المقاتلة بكثافة لاستهداف المواقع المفقودة ووحدات الولاية الصغيرة داخل المدينة. وردًّا على ذلك، بدأ مقاتلو ولاية سيناء بإحراق المئات من إطارات السيارات والشاحنات؛ ما أدى إلى انتشار دخان أسود ساتر على بعض مواقعهم. لكنّ هذا لم يقلّل من فتك بعض الغارات الجوية. قال أبو منصور (أحد السكان المحليين ممن شهدوا القتال): "أحصينا أربع سيارات رباعية الدفع مدمرة، وشاحنتين محترقتين تحملان مدافع آلية مضادة للطائرات، و16 جثة. رأى أبناء عمي الجهاديين يحملون ستة مقاتلين جرحى على الأقل

(76) أحمد بلال، "مفاجآت جديدة في 'معركة الشيخ زويد'"، **المصري اليوم**، 14/ 7/ 2015، شوهد في 23/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3cbtYKU

(77) هيكل قيادة جديد صدر بإنشائه مرسوم رئاسي في شباط/ فبراير 2015، يوحّد قيادتي الجيشين الميدانيين الثاني والثالث، وكان آنذاك بقيادة الفريق أسامة عسكر القائد السابق للجيش الثالث الميداني.

(78) لا يعرف معظم السكان الذين أجرينا معهم مقابلاتٍ الدولة التي تنتمي إليها الدرونات [المسيرات]. يؤكد بعض السكان أنها إسرائيلية، استنادًا إلى مستوى دقتها ونقطة انطلاقها (شرق الحدود). ولم يؤكد المسؤولون الإسرائيليون أو ينفوا تورطهم في هذه العملية.

من مدرسة الحمايدة الابتدائية [...] [التي] حوّلوها إلى مستشفى ميداني مؤقت وكان لديهم سيارات إسعاف خاصة بهم". وقال أبو خالد: "أظنّ أنه بحلول الساعة 18:30 تقريبًا كان معظم الدواعش[79] قد انسحبوا [...] خفّ القصف ولم يكن هناك إطلاق نار تقريبًا".

ليس من الواضح متى بالضبط اتخذ قادة ولاية سيناء قرار الانسحاب إلى معاقلهم. لكن يبدو أن ذلك حدث نحو الساعة 18:00. ففي هذا التوقيت، عادت طائرات الهليكوبتر الأباتشي الهجومية إلى ساحة المعركة لمطاردة المجموعات المنسحبة في اتجاه شرق (رفح) وجنوب (وسط سيناء) الشيخ زويد. لكن وحدات المدرعات والمشاة النظامية لم تتمكن من دخول مدينة الشيخ زويد حتى وقت متأخر من مساء اليوم التالي، الخميس 2 تموز/يوليو 2015. ويرجع ذلك أساسًا إلى العبوات الناسفة والألغام المزروعة على الطرقات.

1- كيف تقاتل ولاية سيناء؟

إن بقاء ولاية سيناء يستند في المقام الأول، وإن لم يكن حصريًا، إلى الكيفية التي يقاتل بها التنظيم؛ أي امتلاكه قدرات قتالية غير مسبوقة، مقارنةً بكل الفاعلين المسلحين المصريين دون الدولة. لم تبتعد ولاية سيناء عن طريقة عمل (iALLTR) التي استخدمها تنظيم الدولة في بناء الفاعلية العسكرية والقتالية لـ"الولايات" التابعة له، ومع ذلك كان لها بعض الخصوصيات. فقد كانت قدرات ولاية سيناء على مداهمة مخازن أسلحة ضخمة للنظام محدودة، مقارنةً بوحدات تنظيم الدولة في سورية وليبيا.

لكن كيف تمكّنت ولاية سيناء من الاستمرار في القتال في سياق ظروف عملياتية غير مواتية على نحوٍ متزايد؟ وما نوع التكتيكات التي تمنحها "ميزة"، مقارنةً بمتمردين مصريين آخرين؟ كذلك، ونظرًا إلى مواردها المحدودة، ما الاستراتيجيا التي تستخدمها لتحقيق أهدافها؟ يحاول هذا المبحث الإجابة عن الأسئلة السابقة، من خلال عرض أنواع التكتيكات التي تستخدمها ولاية

(79) مصطلح ازدرائي مشتق من الاختصار "داعش"، يُستخدم لوصف أعضاء تنظيم الدولة.

سيناء، وتحليل أدائها القتالي في الشيخ زويد واستراتيجيتها الشاملة، بناءً على منشوراتها وبياناتها.

2- الميزة التكتيكية

أعلنت ولاية سيناء مسؤوليتها عن 286 عملية في عامها الأول (تشرين الثاني/نوفمبر 2014-تشرين الأول/أكتوبر 2015)[80]، و476 عملية أخرى في عامها الثاني (تشرين الثاني/نوفمبر 2015-تشرين الأول/أكتوبر 2016). وهذا يمثل زيادة بنسبة 66 في المئة في النشاط العملياتي (لكن ليس بالضرورة في القدرة الفتّاكة)[81]. وفي عاميها الثالث والرابع (تشرين الثاني/نوفمبر 2016 - تشرين الأول/أكتوبر 2017، وتشرين الثاني/نوفمبر 2017 - تشرين الأول/أكتوبر 2018)، أعلنت ولاية سيناء مسؤوليتها عن 319 و229 عملية، على التوالي. والرقم الأخير أقل بقليل من الرقم المسجَّل في العام الأول[82].

يبرز بعض الأنماط التكتيكية، بعد مسح تفصيلات العمليات التي أعلنت عنها ولاية سيناء في شمال سيناء، بين تشرين الثاني/نوفمبر 2014 وتشرين الأول/أكتوبر 2016. ويعرض الجدول (5-1) التكتيكات التي استخدمتها ولاية سيناء في عامها الأول[83].

في تشرين الثاني/نوفمبر 2015، أصدرت ولاية سيناء أول مراجعة سنوية للعمليات العسكرية، تماشيًا مع اتجاه بعض "ولايات" تنظيم الدولة وبعض ممارسات الجيوش النظامية في مراجعة العمليات. زعمت ولاية سيناء أنه في الفترة 25 تشرين الأول/أكتوبر 2014-15 تشرين الأول/أكتوبر 2015 (الموافق للسنة الهجرية 1436)، قتلت أكثر من 1000 من العناصر الموالية للنظام، منهم ضباط الجيش والشرطة والجنود ورجال القبائل

(80) قاعدة بيانات أساليب حرب الدولة الإسلامية (ISWD-Sinai Y1 وISWD-Sinai Y1).

(81) المرجع نفسه.

(82) قاعدة بيانات أساليب حرب الدولة الإسلامية (ISWD-SinaiY4). واستنادًا إلى عمليات تنظيم الدولة التي وردت في أعداد النبأ من 103 إلى 152 التي تغطي هذه الفترة.

(83) قاعدة بيانات أساليب حرب الدولة الإسلامية (ISWD-SinaiY1).

المحليين المتهمين بأنهم "مخبرون" أو "متعاونون". كما زعمت أنها دمّرت أكثر من 140 دبابة وعربة مدرعة و30 مقرًّا للجيش/ الشرطة ومنازل المخبرين المزعومين. أُدرجت هذه الأرقام ضمن ست فئات: "صيادو المدرعات"، "استهداف الأفراد"، "اقتحام مقرات ونسفها"، "دكّ الحصون"، "عمليات نوعية"، "الغنائم"[84].

الجدول (5-1)
التكتيكات التي استخدمتها ولاية سيناء
(تشرين الثاني/ نوفمبر 2014 - تشرين الأول/ أكتوبر 2015)

التكتيك	مرات الاستخدام	النسبة المئوية
عبوات ناسفة	146	28
عربات مفخخة	1	0.1
عربات مفخخة انتحارية	12	2.3
قناصة	11	2.2
صواريخ موجّهة مضادة للدروع	7	1.3
أنظمة دفاع جوي محمولة	2	0.4
صواريخ غير موجّهة	38	8
مدفعية خفيفة ومتوسطة	81	15
اغتيالات عن قرب ومحاولات اغتيال[85]	167	32
تشكيلات مغاوير	18	4

يتبع

(84) المكتب الإعلامي لولاية سيناء، "الحصاد السنوي للعمليات العسكرية لعام 1436"، 2015/11/12.

(85) يستخدم المهاجمون عن قرب، التابعون لولاية سيناء (بهدف الاغتيال أساسًا)، السكاكين والخناجر وأنواعًا مختلفة من المسدسات (مع كواتم الصوت أو من دونها) والمسدسات الآلية والرشاشات الخفيفة والبنادق الهجومية.

تابع

تشكيلات مغاوير انتحارية (انغماسيون)[86]	32	6
مدافع مضادة للطائرات	15	0.3
المجموع	530	100

المصدر: من إعداد الباحث، استنادًا إلى قاعدة بيانات "أساليب حرب الدولة الإسلامية" (مجموعة بيانات ISWD-SinaiY1)، المكتب الإعلامي لولاية سيناء، "الحصاد السنوي للعمليات العسكرية لعام 1436"، 12 تشرين الثاني/ نوفمبر 2015. أُجري بعض التعديلات على الأرقام الواردة في "الحصاد"، وذلك بعد مقارنتها بتصريحات المتحدث العسكري، ووسائل الإعلام المحلية، والتحقق من مصادر محلية في شمال سيناء.

على المستوى التكتيكي، اعتمد التنظيم كثيرًا على تكتيكَي العبوات الناسفة (28 في المئة) والاغتيال (32 في المئة). وقد استهدفت العبوات الناسفة العربات المدرعة والحواجز الثابتة. وزعم التنظيم أنه دمر 24 دبابة أميركية الصنع من طراز إم-60، و17 عربة مدرعة من طراز إم-113، و17 سيارة هَمَر[87]. وزعم أيضًا أنه اغتال 130 من المدنيين، متّهمين بأنهم "مخبرون"، وذلك حصرًا عبر عمليات اغتيال/ قتال عن قرب[88]. كما استخدمت ولاية سيناء صواريخ موجّهة مضادة للدروع من طراز كورنيت روسية الصنع وقذائف آر بي جي-7 غير موجّهة لتدمير سبع دبابات وعربات مدرعة. لكن معظم الأضرار التي تسببت فيها ولاية سيناء، وأُدرجت في تقريرها السنوي الأول، كان تحت فئة "الاقتحامات": عمليات مغاوير مركّبة تتقدمها واحدة أو أكثر من العربات المفخخة الانتحارية وتهاجم الحواجز الأمنية والعسكرية الثابتة والمقرات. وبلغ عدد القتلى المزعوم نتيجة هذه العمليات حوالى 800 جندي[89]. وفيما يتعلق بـ "الغنائم"، استطاع التنظيم الاستيلاء على عدد كبير من الأسلحة المتوسطة والخفيفة من القوات النظامية، عرض الكثير منها في مقاطع

(86) مصطلح تستخدمه أدبيات الجهاديين، وهم مغاوير انتحاريون.

(87) المرجع نفسه.

(88) باستخدام أنواع مختلفة من المسدسات (مع كواتم الصوت ومن دونها)، والمسدسات الآلية والرشاشات والبنادق الهجومية، وعادة ما يجري الهروب بوساطة دراجات نارية أو سيارات صغيرة.

(89) المكتب الإعلامي لولاية سيناء، "الحصاد السنوي للعمليات العسكرية لعام 1436".

الفيديو الدعائية التي نشرها، منها مدافع هاون متوسطة (82 ملم)، ومدفعان آليان مضادان للطائرات من طراز زد يو-23 (23 ملم)، وخمسة رشاشات ثقيلة من طراز دوشكا (DSHK) (12,7 ملم)، وأكثر من 50 بندقية هجومية من أطرزة وأجيال AK [كلاشينكوف] المختلفة[90]. وإجمالًا، ليست هذه الأرقام بعيدة جدًا عن التقارير التي نشرها بعض الصحافيين المحليين، وفي بعض الحالات، يتطابق بعضها وتفصيلاتها مع نتائج الهجمات التي أعلنها المتحدث العسكري رسميًا حتى عام 2015[91]. لكن عدد القتلى، الذي جاء في بيانات المتحدث العسكري، يختلف اختلافًا كبيرًا عمّا أعلنته ولاية سيناء.

في العام الثاني لولاية سيناء (تشرين الثاني/نوفمبر 2015 - تشرين الثاني/نوفمبر 2016)[92]، زادت العمليات المسلحة كثيرًا، مقارنة بعامها الأول، على الرغم من أن الجيش كثّف عمليات مكافحة التمرد. كذلك حدث تغيير كبير في التكتيكات واستخدام الأسلحة. يعرض الجدول (5-2) التكتيكات والأسلحة التي استخدمتها ولاية سيناء في العام الثاني من نشاطها.

الجدول (5-2)

التكتيكات والأسلحة التي استخدمتها ولاية سيناء

(تشرين الثاني/ نوفمبر 2015 - تشرين الأول/ أكتوبر 2016)

التكتيك	مرات الاستخدام	النسبة المئوية
عبوات ناسفة	263	47
عربات مفخخة	10	1.8
عربات مفخخة انتحارية	11	2.0
قناصة	110	20

يتبع

(90) المرجع نفسه.

(91) عُرضت كل الأسلحة المذكورة أعلاه في مقاطع الفيديو الدعائية والتقارير المصورة لولاية سيناء. وفي حالات قليلة، أُظهر الرقم التسلسلي للسلاح لإثبات أنه تم الاستيلاء عليه من الجيش النظامي.

(92) قاعدة بيانات "أساليب حرب الدولة الإسلامية" (مجموعة البيانات ISWD-SinaiY2).

تابع

صواريخ موجّهة مضادة للدروع	12	2.0
أنظمة دفاع جوي محمولة	0	0
صواريخ غير موجّهة	31	5.5
مدفعية خفيفة ومتوسطة	3	0.5
اغتيالات عن قرب ومحاولات اغتيال	74	13
تشكيلات مغاوير	38	7.0
تشكيلات مغاوير انتحارية (انغماسيون)	4	0.7
مدافع مضادة للطائرات	4	0.7
المجموع	560	100

المصدر: قاعدة بيانات "أساليب حرب الدولة الإسلامية" (ISWD-SinaiY2)، المكتب الإعلامي لولاية سيناء، "الحصاد السنوي للعمليات العسكرية لعام 1437"، 2015/11/12. أُجري بعض التعديلات على الأرقام الواردة في "الحصاد"، وذلك بعد مقارنتها بتصريحات المتحدث العسكري، ووسائل الإعلام المحلية، والتحقق من مصادر محلية في شمال سيناء. يتظر: المبحث المتعلق بالمنهجية في الفصل الأول.

يتضح، من الجدول (5-2)، أن ولاية سيناء زادت على نحوٍ كبير من اعتمادها على العبوات الناسفة والقنص والعربات المفخخة وهجمات تشكيلات المغاوير؛ فقد تضاعف استخدام العبوات الناسفة في الهجمات المبلَّغ عنها والمزعومة من 146 إلى 263 هجومًا. وتنطبق الملاحظة نفسها على الهجمات بتشكيلات المغاوير (من 18 إلى 38 هجومًا). وزادت كثيرًا الهجمات بالسيارات المفخخة والقناصة، كل منها بعشرة أضعاف. أصدرت ولاية سيناء في كانون الأول/ ديسمبر 2015 تقريرًا يُبيّن "تخريج" مجموعة من القناصين المدرّبين. لكن الصور الواردة في التقرير لم تُظهر إلّا ثلاثة مسلحين ملثمين وهم في جاهزية تامة. كانوا يتدربون على أنواع مختلفة من بنادق قنص دراغونوف (Dragunov SVD) روسية الصنع، مع العديد من كواتم الصوت والمناظير، إضافة إلى أنواع مختلفة من البنادق الهجومية كلها من طراز أي كي-47 [كلاشينكوف]. وقد عكس هذا التقرير مدى استثمار ولاية سيناء

في استخدام القنص، وشنّت لاحقًا حملة قنص بلغت ذروتها بين كانون الثاني/ يناير وآب/ أغسطس 2016.

من ناحية أخرى، لوحظ أيضًا انخفاض في الاعتماد على المدفعية ومنظومات الدفاع الجوي المحمولة والاغتيالات عن قرب والانغماسيين. إن خسائر التنظيم في قذائف الهاون التي وردت في العديد من البيانات الصادرة عن الجيش النظامي، يمكن أن تُفسّر، جزئيًا، انخفاض استخدامها. وعرضت ولاية سيناء عددًا محدودًا من منظومات الدفاع الجوي المحمولة في مقاطع الفيديو الدعائية، حيث استخدمتها مرتين فقط منذ تأسيسها. وربما يرجع هذا الانخفاض في استخدامها إلى أن ترسانة التنظيم منها محدودة جدًا. لكن الانخفاض في الاغتيالات عن قرب يستحق الاهتمام. فالمخبرون هدف سهل نسبيًا، والاغتيالات عن قرب ليست معقدة، مقارنة بالتكتيكات الأخرى، ولا يعاني التنظيم نقصًا في المسدسات وكواتم الصوت والسكاكين والبنادق الهجومية وغيرها من الأسلحة المستخدمة في الاغتيالات عن قرب. لقد استهدفت ولاية سيناء باستمرار المخبرين والمتعاونين المحليين (167 هجومًا أُبلغ عنه و/ أو زُعِم في عامي 2014-2015)، ونجحت إلى حدٍ ما في تقويض شبكة الاستخبارات المحلية لقوات الأمن في عامها الأول. فكان لذلك أثره في إرهاب المتعاونين المحليين[93]. ويفسر هذا ربما جزئيًا الانخفاض الكبير في عدد عمليات الاغتيال عن قرب إلى أقلّ من النصف (من 167 إلى 74 هجومًا).

ثمة ملاحظة أخيرة حول التكتيكات تتعلق باستخدام الصواريخ غير الموجّهة؛ فقد انخفض عدد الهجمات بوساطتها انخفاضًا طفيفًا من 38 هجومًا في عامي 2014-2015 (العام الأول) إلى 31 في عامي 2015-2016 (العام الثاني). لكن خلافًا للعام الأول، تركزت هجمات العام الثاني في إطار زمني محدد. فقد وقعت أساسًا بين كانون الأول/ ديسمبر 2015 وشباط/ فبراير 2016. ثم ساد هدوء طويل حتى تشرين الأول/ أكتوبر 2016، حين هاجمت

(93) لواء متقاعد في المخابرات الحربية المصرية، مقابلة شخصية، 6/ 11/ 2016.

ولاية سيناء معبر العوجا/ نيتسانا الحدودي المصري - الإسرائيلي بصاروخين من نوع غراد. ويبدو أن التنظيم عانى نقصًا في الصواريخ غير الموجّهة في صيف وخريف 2016.

من حيث الخسائر، تنشر ولاية سيناء العدد التقديري لضحاياها في إحصاءاتها وتقاريرها العسكرية الشهرية والسنوية. وتنشر، في العديد من هذه التقارير، التفصيلات الشخصية للضحايا، ولا سيما في حالات المخبرين المزعومين والضباط الرفيعي المستوى. ففي الفترة كانون الثاني/ يناير-شباط/ فبراير 2016 (الموافق للشهر الهجري ربيع الثاني)، أصدرت ولاية سيناء "حصاد العمليات العسكرية" الشهري، زعمت فيه أنها دمّرت 25 عربة/ مدرعة (منها دبابات وكاسحات ألغام وجرافات) وقتلت أكثر من 100 جندي[94]. وكان ذلك من خلال الاعتماد الواسع على العبوات الناسفة (59 في المئة من عملياتها)، ثمّ هجمات تشكيلات المغاوير (20 في المئة)، ثم القناصة (12 في المئة). وعُزيت بقية عدد القتلى إلى عمليات اغتيال عن قرب للمخبرين (9 في المئة)[95]. وفي الإحصاءات العسكرية السنوية 2015-2016 (1437هـ)، ادّعت ولاية سيناء أنها قتلت وجرحت أكثر من 1000 من منتسبي الجيش والشرطة، بما في ذلك اغتيال 50 من المخبرين ورجال الميليشيات القبلية، وإعطاب أو تدمير 246 عربة مدرعة، منها 29 دبابة.

فيما يتعلق بالدروع، تمكّنت ولاية سيناء من الاستيلاء على دبابة وعربتين مدرعتين في صيف 2016. وظهر مقاتلو ولاية سيناء وهم ينفذون مناورة بالدبابة التي تم الاستيلاء عليها في فيديو دعائي نُشر في آب/ أغسطس 2016 بعنوان "لهيب الصحراء"[96]. وفي كانون الثاني/ يناير 2017، نجحت

---

(94) اعترف البيان العسكري المعتاد بمقتل 27 فقط من الضباط والجنود في كانون الثاني/ يناير 2016.

(95) نُشر بعض أسماء القتلى في وسائل دعاية ولاية سيناء. ينظر: المكتب الإعلامي لولاية سيناء، "حصاد العمليات العسكرية لشهر ربيع ثاني 1437"، 12/ 2/ 2016.

(96) محمود العناني، "لهيب الصحراء: ولاية سيناء تؤكد 'نحن هُنا'"، نون بوست، 3/ 8/ 2016، شوهد في 23/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3a8lUsW

ولاية سيناء في الاستيلاء على عربة مدرعة أخرى في وضح النهار بالقرب من وسط مدينة العريش؛ ما أسفر عن مقتل جميع أفراد طاقمها الأربعة. ومع ذلك، لم ترد تقارير عن هجمات استخدمت فيها ولاية سيناء عربات مدرعة أو دبابات، إلّا في فترة وجيزة. فخلال الهجوم المذكور أعلاه في مدينة العريش، في 11 كانون الثاني/ يناير 2017، استولى مسلحو الولاية على عربة مدرعة واستخدموها على الفور لمهاجمة عربة مدرعة أخرى تابعة لقوات الأمن التي استطاعت المناورة والانسحاب. وترجع في المقام الأول قلّة استخدام ولاية سيناء للمدرعات إلى سيطرة القوات الجوية النظامية على الأجواء.

3- معركة الشيخ زويد: نقاط القوة والضعف

على المستوى العملياتي، قدّمت معركة الشيخ زويد لعام 2015 بعض التبصّرات في نقاط القوة والضعف التي تعانيها ولاية سيناء، ومن ثمّ قدّمت دروسًا قيّمة حول كيفية مواجهتها. فمن حيث نقاط القوة، لا ريب في أن التنظيم نوّع قدراته العسكرية وشحذها، مقارنة بأي فاعل آخر دون الدولة نشط سابقًا في مصر. فقد تمكن من التخطيط العملياتي لواحد وعشرين هجومًا متزامنًا ومنوعًا، ولأن يحتلّ، خلال فترة وجيزة، مواقع ومقرات عسكرية شديدة التحصين. كما جمع التنظيم بفاعلية عالية بين القنص والعبوات الناسفة والعربات المفخخة الانتحارية والصواريخ الموجّهة المضادة للدروع والمدافع الآلية المضادة للطائرات. وأظهرت ولاية سيناء بعض القدرات في الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع، والمعرفة بالأوضاع المحلية. واتفق شهود العيان الخمسة الذين أُجريت معهم مقابلات على أن معظم المتمردين من السكان المحليين من القرى الجنوبية، بلهجة مميزة لشمال شرق سيناء. ومن ثمّ، فقد عرفوا أين يضعون قناصتهم ويزرعون عبواتهم الناسفة، وأين يعثرون على المتعاونين المحليين.

من حيث نقاط الضعف، أظهرت معركة الشيخ زويد أن ولاية سيناء تعاني أزمةً كبيرة في عديد القوة البشرية. لم يكن لدى التنظيم ما يكفي من المقاتلين لتأمين المواقع. ففي بعض الحواجز المستهدفة، كان التفوق العددي

لغير مصلحته، بما لا يقل عن 20 إلى 1 مع استمراره في الهجوم. كما عانت ولاية سيناء نقصًا في المُجنّدين المُدرّبين. ومن هنا كانت ضرورة الدعاية للتجنيد ومرافق التدريب كي يبقى التنظيم. والأهم من ذلك أن المعركة كشفت المشكلات الكبيرة التي تواجهها ولاية سيناء مع الدعم المحلي في المناطق الحضرية. زِدْ على ذلك أن التنظيم لم يضع أي إجراءات عملياتية موحَّدة للتعامل مع هذه المشكلات في أثناء المعارك. وتُظهر شهادات السكان أنماطًا مختلفة جدًا من التفاعل بين مقاتلي ولاية سيناء وسكان البلدات المستهدفة، راوحت بين التعاون المحدود تحت الإكراه، والجدالات السياسية والدينية، ومحاولات الإقناع أو فشلها، وأشكال مختلفة من التحدي والمقاومة، تطور بعضها إلى عراك بالأيدي. ذكر أحد السكان أن المزارع محمد عبادة قويدر دخل في جدال مع اثنين من القناصين الذين اتخذوا مواقع لهم في منزله. وقد تطور الجدال إلى عراك بالأيدي، فدفع قويدر أحد القناصين من سطح المبنى؛ ما أدّى إلى مقتله على الفور، ثمّ أطلق الآخر النار على قويدر[97].

يُضاف إلى ذلك، وعلى غرار ولايات تنظيم الدولة الأخرى، عانت ولاية سيناء نقطةَ ضعف كبيرة في كيفية التعامل مع الطائرات المقاتلة التي تحلق على ارتفاعات عالية مثل إف-16، وكذلك مع المُسيّرات القتالية والاستخبارية. وكانت خطورة هذه المشكلات تزداد حين تسيطر ولاية سيناء على منطقة حضرية واسعة نسبيًا. وأخيرًا، أظهرت معركة الشيخ زويد أن ولاية سيناء تعاني سوء التخطيط الاستراتيجي. فقد كان هدف العملية يتغير باستمرار بناءً على التطورات في ساحة المعركة، على شاكلة ما حدث مع "داعش" في الموصل في عام 2014[98]. خططت ولاية سيناء بالتأكيد للاستيلاء على المدينة، ونجحت في ذلك بضع ساعات. لكنْ من المؤكد أنها لم تمتلك خطة استراتيجية لكيفية الاحتفاظ بالمدينة في الوقت الذي كان خصومها يفوقونها عددًا وعدة وعتادًا، ودفاعاتها الجوية قديمة ومحدودة، وخطوط إمدادها مهددة تمامًا والدعم المحلي محدود أيضًا.

---

(97) تركي وممدوح.

(98) للاطلاع على تفصيلات معركتَي الموصل (حزيران/ يونيو 2014) و(كانون الأول/ ديسمبر 2016)، ينظر: الفصل الثاني من هذا الكتاب.

4- بعد الشيخ زويد: هل من استراتيجيا؟

استنادًا إلى نمط العمليات على مدار العامين الأخيرين، يبدو أن ولاية سيناء تتّبع استراتيجيات هجومية ودفاعية غير معلنة، تلائم نقاط ضعفها الهيكلية ومواردها المحدودة. فقد أدركت بعد معركة الشيخ زويد أن تنفيذ طريقة عمل (SCCLC) على مستوى العمليات لاحتلال المدن والبلدات أمر يتجاوز قدراتها القتالية. ومن ثمّ، هدفت استراتيجيتها الهجومية إلى توسيع نطاق العمليات وحظر المناطق والسيطرة المؤقتة عليها، بدلًا من احتلال المدن والبلدات. وهدفت الاستراتيجيا الدفاعية إلى الصمود والبقاء. ويبدو أنها حدّدت ثلاثة أهداف فرعية تتيح "الصمود": التجنيد، وحظر المناطق، والإعماء. فقد سعت الولاية للتجنيد ونشر التطرف عبر مقاطع الفيديو الدعائية والتسجيلات الصوتية والسرديات والمقتطفات الأيديولوجية والحساسية العالية للمظالم المحلية والثقافة المحلية والتطورات الاجتماعية - السياسية. وهذا أمر حاسم لرصّ الصفوف وتخفيف أزمة عديد القوة البشرية. ولمّا كان المجندون الجدد يحتاجون إلى مرافق تدريبية، فإن محاولة السيطرة على القرى ومساحات من الصحراء، وشبكات الأنفاق جنوب الشيخ زويد ورفح والعريش، باتت أمرًا بالغ الأهمية لبقاء التنظيم. أمّا الاعتماد على الأفراد المدربين في الخارج، فهو خيار أقل جدوى وأكثر تكلفة بالنسبة إلى ولاية سيناء، أقلّه منذ عام 2016، بسبب التطورات الأمنية الإقليمية[99]. ومع ذلك، أعلن أبو هاجر (زعيم ولاية سيناء) أن "الهجرة" (التحاق المقاتلين الأجانب) مفتوحة إلى سيناء[100]. وتوخّت الاستراتيجيا الدفاعية عبر هدفها الثالث "إعماء" قوات النظام من خلال استهداف شبكاتها المحلية من المتعاونين، ومنهم بعض المتعاونين

(99) ينتمي عدد من مقاتلي ولاية سيناء إلى قطاع غزة. لكنّ الغزاويين في شمال شرق سيناء يُعتبرون من المحليين أكثر من أفراد وادي النيل بسبب الروابط القبلية والعائلية والثقافية. ويزعم المسؤولون الأمنيون المصريون والشبكات الإعلامية التابعة لهم أن القيادة الحالية لولاية سيناء عربية، غير مصرية (عراقية).

(100) مقابلة في: النبأ، العدد 60 (22 ربيع الأول 1438هـ [22/ 12/ 2016])، ص 8.

الذين يتمتعون بالحماية في القاهرة[101]. وتمّ ذلك بغض النظر عن الانتماء القبلي لـ"المتعاون"؛ إذ تتضمن قائمة ضحايا هؤلاء شخصيات من القبائل والعشائر نفسها التي ينتمي إليها بعض قادة ولاية سيناء.

وفيما يخص الهجوم، سعت ولاية سيناء للاستنزاف والترويع، تماشيًا مع ولايات تنظيم الدولة الأخرى التي بدّلت إلى تكتيكات حرب الغوار والإرهاب. إن الاشتباك المستمر مع قوات النظام في حرب استنزاف طويلة يشبه الاستراتيجيا التي تستخدمها وحدات تنظيم الدولة التي عانت نقص الموارد نسبيًا، وعملت في أماكن مثل "ولاية" ديالى في العراق أو "ولاية" حماة في سورية. ويتحقق هدف "الترويع" من خلال استخدام التكتيكات التخريبية التي تعمل على خفض الروح المعنوية للجنود النظاميين، تمامًا كما يرد في الكتب التدريسية للتمردات من النمط الماوي. ويحدث ذلك من خلال الاستهداف المستمر لقوات النظام والأساليب الوحشية في إعدام الجنود والضباط الأسرى لبثّ الرعب، بهدف تدمير الإرادة أو تقويضها، وليس بالضرورة القدرة القتالية للجنود. وتُنفَّذ الاستراتيجيا الهجومية باستخدام بعض تكتيكات الإرهاب الحضري وحرب الغوار المذكورة أعلاه (بما في ذلك الانغماسيون، والجمع بين العبوات الناسفة والعربات المفخخة والعربات المفخخة الانتحارية والاغتيالات الموجَّهة). ولا تملك ولاية سيناء قدرة عسكرية تقليدية كبيرة، لكنها استخدمت الجمع بين مدفعية الهاون المتوسطة والخفيفة، والصواريخ الموجّهة وغير الموجّهة أرض-أرض وأرض-جو، والمدافع الرشاشة الثقيلة والقناصة لتغطية تقدم أو انسحاب تشكيلات بحجم فصيلة أو حتى سرية. وتُستخدم التكتيكات "شبه التقليدية" حين يكون الهدف هو السيطرة على أراضٍ. وهذا ما ظهر في محاولة الاستيلاء على الشيخ زويد في تموز/ يوليو 2015.

(101) من الأمثلة على ذلك حالة خالد المنيعي الذي اغتيل في القاهرة في أيلول/ سبتمبر 2015، وهو من الشخصيات المعروفة الموالية للجيش من قبيلة السواركة وأحد أقارب قائد ولاية سيناء شادي المنيعي.

خامسًا: مستقبل ولاية سيناء

قال اللواء أحمد وصفي (قائد الجيش المصري الثاني الميداني) في 2 تشرين الأول/ أكتوبر 2013، في مقابلة معه: "العمليات العسكرية في سيناء انتهت [...] القوات المسلحة كان بإمكانها أن تقضي على الإرهاب في سيناء في غضون 6 ساعات"(102). لكنّ "الساعات الست" طالت وأصبحت أكثر من ست سنوات. ومع أن عدد العمليات التي ادّعت ولاية سيناء القيام بها في عامها الثالث (تشرين الثاني/ نوفمبر 2016-تشرين الأول/ أكتوبر 2017)، وفي عامها الرابع (تشرين الثاني/ نوفمبر 2017-تشرين الأول/ أكتوبر 2018) انخفض إلى 319 و229 على التوالي، فإنها لا تزال قادرة على شن هجمات معقدة على أهداف مُحكمة في شمال شرق وشمال غرب سيناء(103). فعلى سبيل المثال، أعلن التنظيم، في كانون الثاني/ يناير وشباط/ فبراير 2020، مسؤوليته عن هجمات راوح نطاقها بين رفح في أقصى الشمال الشرقي لشبه جزيرة سيناء وبئر العبد في أقصى شمال غربها. وقد استُخدمت فيها تكتيكات الانغماسيين والصواريخ الموجّهة المضادة للدروع والصواريخ غير الموجّهة والقنص والعبوات الناسفة الثابتة/ المخفية(104).

يرتبط مستقبل ولاية سيناء بالسؤال الأساسي عن سبب استمرار التمرد حتى الآن، على الرغم من نقاط ضعفه العديدة والقوة النسبية لأعدائه. ويظهر مما سردنا أعلاه أن ولاية سيناء (وتنظيم الدولة بعامة) تحدّت عددًا من الاستنتاجات الراسخة في أدبيات التمرد ومكافحته. يرى ديفيد غالولا، من بين باحثين آخرين، أن الجغرافيا غير الداعمة تحكم على التمرد بالفشل قبل

(102) أحمد عبد العظيم، "اللواء أحمد وصفي لـ 'الوطن': العمليات العسكرية في سيناء انتهت.. ودخلنا مرحلة التطهير"، **الوطن**، 12/ 10/ 2013، شوهد في 23/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/2y8mbip

(103) يُنظر على سبيل المثال التقريران اللذان نُشرا في 5 جُمادى الآخرة 1441هـ و19 جُمادى الآخرة 1441هـ [31/ 1/ 2020 و14/ 2/ 2020]، في: نشرة **النبأ**، العددان 219 و221.

(104) **النبأ**، العدد 223 (3 رجب 1441هـ [27/ 2/ 2020])، ص 6؛ **النبأ**، العدد 221 (19 جمادى الآخرة 1441هـ [14/ 2/ 2020])، ص 5.

أن يبدأ، لكن هذا الاستنتاج لا يفسر تمامًا حالة ولاية سيناء، من بين أمور أخرى[105]. وإضافة إلى أن هذه الحالة تتحدّى التفسيرات المتمحورة حول الجغرافيا، فإن المقاربات المتمحورة حول السكان وتوافر دعم من إحدى الدول تفشل أيضًا في إعطاء تفسير كامل لاستمرار التمرد. في حين أن مفهوم فقدان الدقة المتدرج والتفسيرات الأخرى التي تتمحور حول القمع تفيد في فهم دور ديناميات التجنيد ونشر التطرف، وكذلك في فهم سبب النظر إلى ولاية سيناء على أنها "أقل شرًا" من القوات النظامية في بعض المناطق، لكنّها تقصر عن تفسير التمدد السابق للتنظيم وبقائه. زِدْ على ذلك أن الفشل في إنهاء التمرد، حتى باتباع سياسة شبيهة بـ "الأرض المحروقة"، وغيرها من التكتيكات التي تستخدمها القوات النظامية منذ أيلول/ سبتمبر 2013، يمثل تحديًا آخر للاستنتاجات الواردة في الأدبيات. فإذا صرفنا النظر عن المسألتين الأخلاقية والقانونية، فسنلاحظ أن عددًا من الدراسات خلص إلى أن تكتيكات "الأرض المحروقة" طويلة المدى هي واحدة من أكثر الطرق فاعلية في هزيمة تشكيلات المغاوير[106]. وهذا ما لم يحصل حتى الآن في حالة ولاية سيناء.

يعود صمود ولاية سيناء في المقام الأول إلى أسباب أخرى. فمن العوامل الحاسمة في هذا الصمود البناءُ الناجح نسبيًا للقدرات العسكرية لولاية سيناء، انطلاقًا من أسلافها في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين وصولًا إلى المرحلة الحالية؛ وهو عامل، فشل متمردون مصريون آخرون في تحقيقه. إن الجمع المبتكر والتبديل بين تكتيكات حرب الغوار والإرهاب الحضري، وكذلك صقل هذه التكتيكات تخطيطًا وتنفيذًا، قوّض، نسبيًا، معنويات وقدرات القوات النظامية التي لم تحقق تاريخيًا سوى نجاح محدود في الحروب

(105) David Galula, *Counterinsurgency Warfare: Theory and Practice* (London: PSI Classics of the Counterinsurgency Era, 2006), p. 23.

(106) Ivan M. Arreguín-Toft, *How the Weak Win Wars: A Theory of Asymmetric Conflict* (Cambridge: Cambridge University Press, 2005), pp. 94-100; Douglas Porch, *Counterinsurgency: Exposing the Myths of the News Way of War* (Cambridge: Cambridge University Press, 2013).

التقليدية[107] وحملات مكافحة التمرد[108]. ومن العوامل التي أسهمت، جزئيًا، في قدرة ولاية سيناء على البقاء سياساتُ الأنظمة الحاكمة المتعاقبة، داخل شبه الجزيرة وخارجها، منذ تحريرها من الاحتلال الإسرائيلي. ففي الوقت الذي كان المتمردون يشنون حرب غوار استثنائية في فاعليتها، كان النظام يشن حملة لمكافحة التمرد، كانت استثنائية من ناحية عدم فاعليتها، وشابتها باستمرار انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان. ففي مثل هذا السياق، قد تصمد ولاية سيناء و/ أو المجموعات ذات التفكير المماثل لفترة أطول، وربما تتمدد أكثر.

(107) Kenneth M. Pollack, *Arabs at War: Military Effectiveness, 1948-1991* (Lincoln/London: University of Nebraska Press, 2004), pp. 55-73; Norvell De Atkine, "Why Arabs Lose Wars?," *Middle East Quarterly,* vol. 6, no. 4 (December 1999), pp. 1-5.

(108) Dana Schmidt, *Yemen: The Unknown War* (New York: Holt, Rinehart, and Winston, 1968).

الفصل السادس

فاعلية ذات ميزة تكتيكية
تنظيم الدولة والفاعلون المسلحون
دون الدولة وأساليب جديدة للحرب

"قوّضت بسرعة أكثر من 100 في المئة من الخلافة. لا أحد آخر فعل مثل ذلك [...] لقد قوّضتها [...] هزمنا خلافة "داعش" وقوّضناها 100 في المئة".
(الرئيس الأميركي دونالد ج. ترامب، 7/ 10/ 2019)[1].

"قواتنا تخوض معارك يومية ضد 'داعش'".
(عادل عبد المهدي، رئيس وزراء العراق بالوكالة، 19/ 4/ 2020)[2].

"1557 هجومًا في 19 بلدًا؛ 537 في العراق، 504 في سوريا، 116 في مصر".
(تنظيم الدولة، "حصاد الأجناد: 31/ 8/ 2019- 25/ 2/ 2020"، 5/ 3/ 2020)[3].

(1) C-Span, "President Trump on Syria: 'I'm not Siding with Anybody'," YouTube, 7/10/2019, accessed on 23/8/2021, at: https://shorturl.at/mDFNX

(2) "العراق يخوض 'معارك يومية' ضد تنظيم الدولة في كركوك"، العرب، 19/ 4/ 2020، شوهد في 23/ 8/ 2021، في: https://shorturl.at/rwAF7

(3) "حصاد الأجناد"، النبأ، العدد 224 (10 رجب 1441هـ [5/ 3/ 2020])، ص 12.

أولًا: التصعيد الأفقي: تنظيم الدولة بعد الهزائم على الأرض

بحلول عام 2020، خسر تنظيم الدولة تقريبًا كل الأراضي التي كان قد سيطر عليها بين عامي 2014 و2019. وصار إعلان تموز/ يوليو 2016 عن 35 "ولاية" تتبع تنظيم الدولة من الماضي[4]؛ وكذلك التشكيلات العسكرية بحجم الأفواج النظامية، مثل "جيش الخلافة" و"جيش دابق". وخسر التنظيم أيضًا زعيمه ومؤسسه أبو بكر البغدادي، وأكثر من 40 من كبار قادته العسكريين، إضافة إلى عشرات الآلاف من القادة ذوي الرتب المتوسطة والمقاتلين من رتب أدنى. وقد صمد التنظيم على الرغم من ذلك. وبعد أقل من أسبوع على تصفية زعيمه، اختار مجلس شورى التنظيم خلفًا له هو أبو إبراهيم الهاشمي القرشي (أمير المولى)، وأعلنت وسائل الإعلام التابعة للتنظيم، في 31 تشرين الأول/ أكتوبر 2019، عن أنه "الخليفة". وفي عام 2020، كان تنظيم الدولة لا يزال يزعم أن لديه 14 "ولاية"، هي مزيج من التنظيمات المتمردة وخلايا الإرهاب الحضرية. بدّل التنظيم مرة أخرى إلى تكتيكات حرب الغوار والإرهاب أساسًا، مع استخدام محدود ومتقطع للتكتيكات التقليدية في البلدان الأربعة التي دُرست في هذا الكتاب وفي أماكن أخرى.

في العراق، أعلنت خلية الإعلام الأمني التابعة لمكتب رئيس الوزراء أن الجيش، ووحدات الحشد الشعبي وجهاز مكافحة الإرهاب والشرطة الاتحادية، نفّذوا 1060 عملية لمكافحة التمرد والإرهاب ضد أهداف تنظيم الدولة في كل المحافظات العراقية (باستثناء كردستان)، بين 1 كانون الثاني/ يناير 2020 و15

---

(4) مؤيد باجس، "للمرة الأولى... تنظيم الدولة يكشف عن هيكليته بالتفصيل"، عربي 21، 6/ 7/ 2016، شوهد في 23/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3AVyk5k

نيسان/ أبريل 2020. يعكس الرقم كثافة التمرد وحجمه ونطاقه[5]، ولا سيما مع إعلان التنظيم عن تنفيذ 139 عملية في العراق في آذار/ مارس 2020. ولا يزال التنظيم في عام 2020 يحتفظ بتشكيلات عدة، أحدها بحجم كتيبة نظامية تنشط في أجزاء من وادي الفرات، وتشكيلات أصغر تنشط في عشرة "قواطع" مختلفة في "ولاية العراق" التي أعيدت هيكلتها[6]. وفي سورية في عام 2020، احتفظ التنظيم بقدرات قتالية كافية لإجراء مناورات بأسلحة مشتركة غير تقليدية، نفّذتها تشكيلات بحجم فصائل نظامية في بادية حمص. شمل ذلك التنسيق بين الوحدات التي تستخدم العربات المحوّرة والصواريخ الموجّهة المضادة للدروع ومشغّلي الدرونات [المسيرات] المعدّلة. وأعلن التنظيم عن تنفيذ 43 عملية في سورية في آذار/ مارس 2020، بانخفاض عن 68 عملية في شباط/ فبراير 2020. وفي ليبيا، لم يرد في "حصاد الأجناد" المذكور أعلاه أي إعلان عن عمليات بين 31 آب/ أغسطس 2019 و25 شباط/ فبراير 2020. لكن في وقت سابق، في تموز/ يوليو 2019، نشرت ولاية ليبيا التابعة للتنظيم شريط فيديو يظهر أجزاء من "سرية الصحراء" (تشكيل عسكري بحجم فصيلة نظامية) تنشط بالقرب من سبها. كشف الفيديو عن 12 سيارة دفع رباعي (تويوتا) وعربات محوَّرة، رُكِّب على إحداها مدفع رباعي طراز زد يي يو-4 مضاد للطائرات؛ ما أعطى لمسة شبه تقليدية للقوة. وتُقدّم نشرة **النبأ** بانتظام تقارير عن القتال الذي يجري بين من تُسمّيهم "قوات المرتدين" (حكومة الوفاق الوطني وقوات حفتر). ومن ثمّ، ربما ينتظر تنظيم الدولة أن يُستنزَف الطرفان ويُضعِف كلاهما الآخر. وفي مصر، صمدت ولاية سيناء على نحوٍ محيّر طوال عامين من العمليات العسكرية المكثفة التي أُطلق عليها اسم "العملية الشاملة" (بدأت في شباط/ فبراير 2018). لكنّ التنظيم الذي أطلق

---

(5) "أكثر من 1000 عملية في 4 أشهر تقتل 135 إرهابيًا"، عراقي 24، 23/ 4/ 2020، شوهد في 23/ 4/ 2020، في: https://shorturl.at/kltE3

(6) هذه القواطع العسكرية العشرة هي الأنبار وصلاح الدين والبادية والجزيرة ونينوى ودجلة وديالى وكركوك وبغداد/ شمال بغداد والقاطع الجنوبي.

عليها اسم "العملية الفاشلة"[7]، يواصل نشاطه بمعدل يبلغ نحو خمس عمليات في الأسبوع. ويغطي نطاق عملياته كامل ساحل شمال سيناء، من رفح المهدّمة إلى بئر العبد التي لا تزال قائمة. وحتى وقت تأليف هذا الكتاب، لا تزال ولاية سيناء قادرة على فرض حظر على الامتداد نفسه من قرى ومساحات من الأرض التي كانت تحظرها على القوات النظامية قبل ست سنوات (بداية من تشرين الثاني/ نوفمبر 2014، وكان أسلاف التنظيم قد فرضوا الحظر منذ شباط/ فبراير 2011). وفي آذار/ مارس 2020، أعلنت ولاية سيناء عن تنفيذ 18 عملية في شبه الجزيرة.

إلى جانب البلدان والمحافظات التي ندرسها هنا، واصل تنظيم الدولة اتباع استراتيجية التصعيد الأفقي؛ فقد واظب على العمليات والتكتيكات المتكررة وعمليات نقل البراعات والمهارات العملية[8]، وحاول تكرار طريقة عمل (iALLTR) (مع نتائج مختلطة) في دول مثل جمهورية الكونغو الديمقراطية وموزامبيق وبوركينا فاسو ونيجيريا والنيجر وأفغانستان واليمن. وعلى الرغم من خسارته الأراضي، فإنه لا يزال يعتبر نفسه "دولة"؛ حتى إنه يُصدر "نصائح" وتنبيهات طبية إلى أعضائه وأنصاره للتعامل مع جائحة (كوفيد-19). وإجمالًا، كان إعلان ترامب لعام 2019 عن هزيمة التنظيم "بنسبة 100 في المئة" متفائلًا على نحوٍ غير واقعي.

سعت الفصول السابقة للإجابة عن أسئلة البحث، فأوضحت طريقة تمكّن تنظيم الدولة من بناء قدراته القتالية وطرق استخدامها بصفة فعالة للقتال والتمدد والصمود في أربعة بلدان. يُعدّ مستوى البراعة التكتيكية والتكيّف الاستراتيجي لـ "ولايات" التنظيم ووحداته القتالية مميّزًا، مقارنة بغيره من الفاعلين المسلحين دون الدولة. ونظرًا إلى محدودية موارده، تفوّقت الفاعلية القتالية للتنظيم على مثيلتها لدى فاعلين مسلحين يتبعون دولًا في المنطقة

(7) الفاشلة في مقابل الشاملة. يستخدم تنظيم الدولة هذا النوع من الاستهزاء لأغراض دعائية.

(8) Hugo Kaaman, "Factories of Destruction-How Up-Armored SVBIEDs Are Manufactured," *Hugo KAAMAN Open Source on SVBIEDs*, 31/3/2020, accessed on 23/8/2021, at: https://bit.ly/3wd0Xsy

العربية. سلّطت الفصول السابقة الضوء أيضًا على الكيفية التي تتحدّى بها دراسات الحالة (ممثلة في عيّنة من ولايات تنظيم الدولة) بعض الأدبيات المتعلقة بالدراسات العسكرية والتمرد والإرهاب، فضلًا عن بعض السياسات الأمنية المُتّبعة في المنطقة. وبناءً على ذلك، يُلخّص هذا الفصل نتائج البحث بشأن الكيفية التي يقاتل بها التنظيم، وما يجعله فريدًا من حيث الفاعلية القتالية النسبية. وبعد ذلك، يقدم المبحثان الأخيران ملاحظات ختامية للبحوث المستقبلية.

ثانيًا: نتائج البحث

لنعُد إلى سؤالنا المركزي بشأن الكيفية التي يُقاتل بها تنظيم الدولة، ونحلّ اللغز الذي يُفسّر الفاعلية القتالية والعسكرية للتنظيم وقدرته الحالية على الصمود وتمدّده السابق، على الرغم من موارده المحدودة نسبيًا. نستخلص من الفصول السابقة أن المتغيرات الأربعة - "الفاعلية القتالية" و"الفاعلية العسكرية" و"التمدد" و"الصمود" - مختلفة فيما بينها، ويجدر بنا تفسير كلٍّ منها على حدة. ترتبط الفاعلية القتالية ارتباطًا مباشرًا بالمستويين التكتيكي والعملياتي للحرب. وتتداخل الفاعلية العسكرية مع المستوى الاستراتيجي. ويعكس "التمدد" نتائج المعارك والحرب/ النجاحات العسكرية في هجمات تنظيم الدولة وهجماته المضادة. ويعكس "الصمود" نتائج دفاعات التنظيم وحملاته لأجل البقاء. أوضحنا سابقًا أن التمدد والصمود ينطويان على أكثر من مجرد الفاعليتين القتالية والعسكرية. وتوضح المباحث التالية الفريد وغير الفريد من نوعه في الأداء القتالي للتنظيم؛ بما يتيح الإجابة عن أسئلة البحث.

1- ما غير الفريد من نوعه في الأداء القتالي لتنظيم الدولة؟

استفاد تنظيم الدولة من عديد المتغيرات والظروف والميزات على المستويات الكلية والمتوسطة والجزئية، على الرغم من أن معظمها لا ينحصر فيه؛ فقد حازها واستفاد منها غيره من الفاعلين المسلحين دون الدولة (والتابعون لدول أيضًا)، ولعلّ ذلك أكثر ما يتضح على المستوى الكلي. إنّ

السياق الإقليمي ونمط الأنظمة المهيمنة في داخله، واتّصافها بمستويات عالية من الوحشية، وعنف الدولة غير الشرعي/غير الدستوري والفساد والتلاعب على مدى عقود بالنصوص الدينية المقدسة، فضلًا عن الدعاية المكثفة الإثنية - القومية/ الإثنية - الطائفية، والسرديات والسياسات المبنية على ذلك، كل ذلك مهمّ في فهم الكيفية التي يقاتل بها التنظيم وفاعليته العسكرية، إضافة إلى قدرته على التمدد والصمود. ففي البلدان الأربعة التي دُرست (وفي غيرها أيضًا)، تعلّم تنظيم الدولة وأسلافه من التنظيمات كيفية التجنيد ونشر التطرف والاستفادة عسكريًا من العلل المذكورة أعلاه. لكنّ الفاعلين المسلحين دون الدولة الآخرين، والمؤسسات المسلحة التابعة للدول أيضًا، يعملون في السياق نفسه ويستفيدون (أو يحاولون الاستفادة) من هذه العلل نفسها، على نحوٍ مباشر أو غير مباشر.

على المستوى الجزئي، يُعدّ نمط المقاتلين مهمًا؛ فالمقاتلون العقائديون [الدوغمائيون] (مثل أبو عمر الجزراوي في معركة الموصل في عام 2014، وأبو فراس الإماراتي في معركة الرقة في عام 2017) كانوا حاسمين في الهجمات الانتحارية المكثفة، أو في كسر الزخم الهجومي في أثناء الدفاع، وفي تماسك الوحدات المقاتلة، وفي رفع معنويات المقاتلين. وقد ساعد تجنيد مجموعات كثيرة من الشباب المضطهدين تنظيمَ الدولة في التخفيف من أزمة عديد القوة البشرية لديه، وساهم في تعزيز قدراته الاستخباراتية المحلية (في سيناء، على سبيل المثال). وكان استقطاب الانتهازيين(9) المهمشين وتمكينهم جزءًا لا يتجزأ من الخدمات اللوجستية والحماية والاستخبارات التكتيكية والعملياتية والجوانب الأخرى ذات الصلة بالقتال. وأدّى القادة والمقاتلون المتمرسون(10) - سواء أكانوا محليين أم غرباء عن مسارح

(9) أحد الأمثلة على ذلك هو صدّام الجمل، المهرب غير الملتزم أيديولوجيًا والذي يقرأ ويكتب بصعوبة، ثم صار أميرًا للبوكمال في دير الزور في ظل تنظيم الدولة. ينظر: حمزة المصطفى، "تنظيم الدولة الإسلامية في سورية: النشأة والبيئة"، في: عزمي بشارة (محرر)، **تنظيم الدولة المكنّى "داعش": الجزء الثاني: التشكل والخطاب والممارسة** (الدوحة/بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018)، ص 324-333.

(10) كما أوضحنا سابقًا - اعتمادًا على الترسيمات الإدارية الفرعية - "الأجنبي/الغريب" و"المحلي" =

العمليات، أم ذوي تدريب وخبرة عسكرية رسمية[11] أو غير رسمية[12] - أدوارًا حاسمة في القيادات التكتيكية والعملياتية والاستراتيجية (مثل حجّي بكر وأبو عمر الشيشاني في العراق وسورية)؛ وفي نقل البراعات العملية الاستراتيجية والتكتيكية (مثل أبو نبيل الأنباري في ليبيا)؛ وفي التدريب ورفع المعنويات بصفة عامة (مثل الأعمال التي ألهبت الروح المعنوية للمقاتلين المتحمسين، مثل تفجير البيلاوي نفسه في بداية معركة الموصل في عام 2014). هذه الأنماط من المقاتلين ليست مقصورة، بأي حال من الأحوال، على تنظيم الدولة. فمن كولومبيا إلى الفلبين - بما في ذلك الجزائر وليبيا ومصر وسورية والعراق وأفغانستان وأماكن أخرى - كثيرًا ما جنّد الفاعلون المسلحون دون الدولة أيضًا مقاتلين عقائديين وانتهازيين ومضطهدين ومتمرسين، محليين وأجانب، بأعداد مختلفة ومستويات كيفية مختلفة. وكان الأداء القتالي لهؤلاء الفاعلين المسلحين دون الدولة مختلطًا، لكن معظمهم لم يحقق النجاح النسبي الذي حققه تنظيم الدولة[13].

لعلّ تفرد الأداء القتالي لتنظيم الدولة يبرز على المستوى المتوسط. لكن التنظيم يتمتع، في هذا المستوى، بعدد من السمات والمتغيرات "المشتركة" غير الفريدة من نوعها، أوثقها صلة بالقتال هي "القوة المعنوية" والحرب النفسية وتماسك الوحدات والاستقلال الذاتي وخبرات القتال العابرة للحدود والتراتبية

= لهما معانٍ مختلفة. ففي البوكمال السورية (محافظة دير الزور)، يُعتبر مقاتل من مدينة القائم العراقية (محافظة الأنبار) أقلّ "أجنبيّة" وأكثر "محليّة" من مقاتل من دمشق. ويعود ذلك إلى الامتداد البشري المشترك العابر للحدود الرسمية للعشائر العراقية والسورية في منطقة الجزيرة السورية. وفي الشيخ زويد المصرية، ويعتبر المقاتل من رفح الفلسطينية "محليًا" أكثر من أي مقاتل من مدن وبلدات وادي النيل.

(11) تدريب وتعليم عسكريّيْن في مؤسسات تابعة لدول.

(12) تدريب وتعليم وخبرات عسكرية في مؤسسات أو معسكرات غير تابعة لدول.

(13) تشمل الاستثناءات البارزة من حيث الأداء القتالي لفاعلين مسلحين دون الدولة، حزب الله وأنصار الله (الحوثيين) وحماس وغيرها. لكن كما هو موضح في الفصل الأول، يمكن تفسير أدائهم القتالي وفاعليتهم الإجمالية من خلال رعاية دولةٍ ما والدعم المحلي والإقليمي والمتغيرات الأخرى التي عرضناها في هذا الفصل. إن هيئة تحرير الشام هي أحد الأمثلة التي تدعم الحجة العامة. وهي تستخدم تكتيكات مماثلة لتلك التي يتبعها تنظيم الدولة (وإن كان ذلك باستراتيجيا عامة مختلفة) وقدم بعض أعضائها، بمن فيهم زعيمها، من صفوف دولة العراق الإسلامية و"داعش".

المرنة والتركيز على التخصص[14]. إن الالتزام بالتخصصات والمهمات والتركيز عليها لا يقتصر على التبديل الاستراتيجي الذي أجراه المهاجر في آذار/ مارس 2008، بغية تكثيف الإرهاب الحضري في العراق[15]. فقد تجلّى ذلك أيضًا في قرار حجّي بكر بإعادة هيكلة المجلس العسكري لتنظيم الدولة. وكانت التراتبية المرنة، التكتيكية والعملياتية، تستند بصفة دائمة تقريبًا إلى الحاجة و"العُرف"، بدلًا من اللوائح الداخلية أو إجراءات التشغيل القياسية الأقل مرونة. وكان لهذا تكاليفه وفوائده. وقد تبينت التكاليف في النزاع المذكور سابقًا بين أبو سعد الحضرمي وأبو لقمان في الرقة في عام 2013، وقضية أبو الفاروق التونسي، الوالي التونسي لولاية الخير (دير الزور) في عام 2014[16]. وجرى تعويض هذه التكاليف أحيانًا باعتماد قيادة استراتيجية أقل مرونة. لكنّ التراتبية المرنة كان لها فوائد التخفيف مؤقتًا من الأزمات ذات الصلة بعديد القوة البشرية ونقص الخبرة/ البراعة العملية.

إن ما يسميه كارل فون كلاوزفيتز "القوة المعنوية" - أو مجموعة المتغيرات والقيم النفسية، مثل الروح المعنوية والشجاعة - كانت عالية ضمن الوحدات القتالية لتنظيم الدولة، أقلّه في حالة الهجوم، كما هي الحال في الموصل (2014)، والرمادي (2015)، وسرت (2015)، والشيخ زويد (2015). وينطبق هذا أيضًا على الهجمات المضادة، كالتي شهدتها مدينة

(14) ينظر على سبيل المثال: "الصعود من الرماد: التطور العسكري لتنظيم الدولة في العراق"، في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(15) في آذار/ مارس 2008، حلّ المهاجر كل الوحدات التي لا تستخدم تكتيكات العبوات الناسفة بكثافة، بما في ذلك وحدات القنص وتشكيلات المغاوير، وركز موارد دولة العراق الإسلامية كلها على بناء وحدات تكتيكية لعمليات العبوات الناسفة المرتجلة المكثفة.

(16) اختفى التونسي خلال معركة الجبل في دير الزور في كانون الأول/ ديسمبر 2014. وفي عام 2015، ظهرت مزاعم بأنه قُتل بسبب خلاف على "أوامر القتال" بينه (باعتباره والي دير الزور) والأمير العسكري لدير الزور. كما كانت هناك عناصر أيديولوجية وقبلية وإثنية تسببت في بعض هذه الانقسامات. للاطلاع على ذلك، ينظر مثلًا:
Aymenn Al-Tamimi, "Dissent in the Islamic State: Abu al-Faruq al-Masri's Message on the Menhaj," Combating Terrorism Center at West Point Sentinel, 31/10/2016, accessed on 23/8/2021, at: https://bit.ly/3pIKGcv

الرقة في عام 2014 (ضد تنظيمات المعارضة السورية المسلحة)، ومحافظة الرقة في عام 2016 (ضد قوات نظام الأسد)، وحتى في مدينة الرقة في عام 2017 (سلسلة من الهجمات المضادة المحلية ضد قوات سوريا الديمقراطية "قسد" وقوات التحالف). إن "القوة المعنوية"، وسمعة امتلاكها (حتى لو كانت غير متكافئة، أو غير حقيقية، في معظم الوحدات)، ووحشية الأفعال التي بُثَّت جيدًا، منحت التنظيم مزايا متكررة في الحرب النفسية. ومع ذلك، لم تكن القوة المعنوية بأي حال سمة حصرية لوحدات تنظيم الدولة؛ فقد ظهرت، لدى فاعلين مسلحين دون الدولة أو يتبعون دولًا ممن حاربوا تنظيم الدولة، مستويات عالية من القوة المعنوية، وكانوا مصممين على القضاء على "داعش"/ تنظيم الدولة، منها تنظيمات مختلفة (وحتى بعضها معادٍ لبعضها الآخر)، مثل لواء التوحيد السني وجيش الإسلام السلفي ووحدات الحشد الشعبي ذات الأغلبية الشيعية ووحدات حماية الشعب الإثنية - اليسارية العلمانية، وإلى حدٍ ما لدى مجلس شورى مجاهدي درنة وضواحيها، وكذلك لدى فاعلين مسلحين يتبعون دولًا، مثل جهاز مكافحة الإرهاب العراقي الذي تسانده الولايات المتحدة.

ويُعدّ التماسك القوي للوحدات ميزة أخرى يشترك فيها أيضًا بعض الفاعلين المسلحين دون الدولة، أو الذين يتبعون دولًا في البلدان الأربعة. وقد ظهرت مرارًا وتكرارًا على الوحدات القتالية لتنظيم الدولة. وحتى حينما كانت هياكل القيادة والسيطرة الاستراتيجية والعملياتية تنهار في معارك مثل معارك مدينة سرت (2016) ومدينة الرقة (2017)، أو حينما كانت الهزيمة تبدو حتمية كما حدث في الشيخ زويد (2015) ودرنة (2016)، فغالبًا ما حافظ مقاتلو وحدات التنظيم على المستوى التكتيكي على التزام بعضهم تجاه بعض، وقاوموا أو تراجعوا أو تفاوضوا أو حاولوا التفاوض جماعيًا. فمن بين 31 من المقاتلين الذين أُجريت معهم مقابلات واشتبكوا مباشرة مع "داعش"/ تنظيم الدولة في المعارك، عارض اثنان فقط قوة تماسك وحدات "داعش" (كلاهما في حالة نهاية معركة سرت في عام 2016).

الميزة الخامسة هي الاستقلالية، وكان لها بعض التداعيات الحاسمة على الأداء القتالي. فالكثير من وحدات التنظيم، الصغيرة بحجم مفارز، كانت تعتمد

على نفسها (وتصل أحيانًا إلى الاكتفاء الذاتي) حتى عندما تُعزل عن هياكل القيادة والسيطرة العليا. ومكّنتها هذه الاستقلالية من متابعة تحقيق الأهداف التكتيكية، وحتى العملياتية باستمرار في سياق ظروف معاكسة. وهذا يفسر جزئيًا قدرة التنظيم على مواصلة التمدد - والصمود - حتى حين يعاني "قطع الرؤوس" المستمر لقياداته. ظهرت مستويات عالية من الاستقلالية في درنة (2016)، وفي الموصل (2017)، وفي جيب هجين (2019) وحتى في بادية حمص (في أواخر عام 2020). ويلخص الاقتباس التالي للقائد العسكري لتنظيم الدولة في الرقة في عام 2017 ميزة الاستقلالية: "أظهر [التنظيم] موهبة في تطوير الأسلحة، من قبيل الأسلحة الجوية والمُسيّرات والأسلحة المضادة للتحصينات وأسلحة القنص وكواتم الصوت والعبوات الناسفة وأنواع أخرى من الأسلحة [...] وقسّم [التنظيم] أيضًا المدينة [الرقة] إلى قطاعات صغيرة يمكن أن تعمل فُرادى في الحالات الطارئة ويمكنها تحقيق أهدافها بشكل مستقل [...] ويكون لكلّ قطاع إمداداته وذخيرته الخاصة المستقلة بعضها عن بعض في هذا الصدد. كما تعمل القطاعات بشكل مستقل من حيث تقييم المواقع وتنظيم القوات"[17]. أتاحت الاستقلالية سلسلة من التطورات (المقصودة وغير المقصودة) ذات الصلة بالكيفية التي يقاتل بها تنظيم الدولة، وظهرت في البلدان الأربعة التي درسناها. شمل ذلك الهجوم التكتيكي والمبادرة (كما في معارك الرقة في عامَي 2013 و2014)، والارتجال (كما في معارك درنة في عام 2016، و- على نحوٍ مذهل - في هجين والباغوز في عام 2019)، والسرعة النسبية في تنفيذ التجمع - التفرّق - إعادة التجمع (كما في معارك الموصل والرقة عام 2017، وقبل ذلك في معركة الموصل في عام 2014)، والتخطيط العملياتي المرن وردات الأفعال السريعة (كما في معارك الموصل في عام 2014، والرمادي في عام 2015). ففي إطار التخطيط المرن على المستوى العملياتي، عملت وحدات التنظيم القتالية على تغيير أهدافها العملياتية من "الإغارة" إلى "الإغارة والتحصن والاحتلال" خلال بعض المعارك الحضرية التي بحثناها. ومهما يكن، فإن الاستقلالية ليست سمة

(17) "Interview: It will be a Fire that Burns the Cross and its People in Raqqah," *Rumiyah*, no. 12 (6 August 2017), p. 31.

فريدة لوحدات التنظيم القتالية. فقد أظهر فاعلون مسلحون دون الدولة في العراق وسورية وليبيا ومصر وأماكن أخرى سمات مماثلة. إن التنظيمات التي تبدأ سيرتها بخلايا صغيرة وسرية وغير قانونية، وتستخدم تكتيكات الإرهاب الحضري في بيئة معاكسة، تُظهر عادة مستويات نوعية مختلفة من الاستقلالية، إذا أصبحت/بمجرد أن تصبح قوى تقليدية أو شبه تقليدية. تشمل هذه المجموعات تنظيمات منوعة ومتعادية، مثل عصابات الإرغون وليحي/شتيرن (التي أصبحت لاحقًا جزءًا من الجيش النظامي الإسرائيلي) وحزب الله وهيئة تحرير الشام، وغيرها.

الميزة السادسة غير الفريدة هي تعددية الثقافة - القتالية وتعدد الخبرات ضمن وحدات تنظيم الدولة. فقد جنّد التنظيم ضمن التشكيلات القتالية المختلفة - ولا سيما التشكيلات بحجم فصيلة إلى فوج - مزيجًا متنافرًا من الخبرات والخلفيات ذات الصلة بالقتال (جنود وضباط سابقون، مدانون سابقون، مجرمون ومهربون محليون، متمردون عابرون للحدود ذوو خبرة، مقاتلون تدرّبوا تدريبًا غير رسمي/غير نظامي، مهندسون، فنيون، حرفيون، وغيرهم) واستفاد من ثقافات قتالية عدة (شملت مقاتلين من أميركا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي وأفريقيا جنوب الصحراء والقوقاز والبلقان وأوروبا الغربية وآسيا الوسطى ما بعد الاتحاد السوفياتي وجنوب شرق آسيا). وعزز أيضًا اختيارُ مقاتلين، من مختلف القطاعات الجغرافية المحلية، تنوّعَ الخبرات ضمن الوحدات القتالية[18]. لكنّ فاعلين مسلحين آخرين دون الدولة أظهروا أيضًا هذا التنوع والتعدد على مستويات مختلفة، منهم مجموعات وتحالفات مسلحة غير تابعة لدول، مثل الجماعة الإسلامية المسلحة وهيئة تحرير الشام ووحدات قسد ومجلس شورى مجاهدي درنة وضواحيها، وغيرهم[19].

---

(18) Ibid., p. 31.

(19) شكّل بعض هؤلاء الفاعلين المسلحين دون الدولة تحالفات بغية تنويع خبراتهم القتالية وتعزيز عديد القوى البشرية، مثل تحالف مجلس شورى مجاهدي درنة وضواحيها مع تنظيم "المرابطون" المصري، وتحالف بعض تنظيمات المعارضة السورية مع الحزب الإسلامي التركستاني في سورية (مقاتلون من الأيغور) الذي يبلغ قوامه حجم لواء، ويضم ما يقدر بحوالى 4000 مقاتل.

عزّزت كل الميزات المذكورة أعلاه كلًّا من الفاعلية القتالية والعسكرية لتنظيم الدولة، وساهمت في قدرته على الصمود، والتمدد الأولي. لكنّ التنظيم أظهر سمات أخرى فريدة، عكست أسلوبه القتالي، وثبت أنها حاسمة في تحديد مدة صموده ونطاق تمدّده.

2- ما الفريد في الأداء القتالي لتنظيم الدولة؟

يكمن تفرّد الأداء القتالي لتنظيم الدولة في ابتكاراته التكتيكية كيفًا وكمًّا، وكذلك في التبديلات السريعة بين ثلاث استراتيجيات/ أساليب حرب. كما أظهرت الوحدات القتالية للتنظيم نسبيًا - مقارنةً بغيره من الفاعلين المسلحين دون الدولة - قدرة متواصلة وعالية المستوى في التخطيط العملياتي والتنفيذ. أحدثت هذه الابتكارات التكتيكية والتبديلات الاستراتيجية والفنون العملياتية فرقًا في الفاعليتين القتالية والعسكرية للتنظيم، وقدرته على التمدد والصمود، حتى حينما لم تكن موارده ذات الصلة بالقتال تتيح أيًّا من ذلك. ونعرض أدناه لمحة عامة عن النتائج في هذا الصدد.

أ- على المستوى العملياتي

أبدأ بالمستوى العملياتي الذي حدث فيه التعديل الرئيس على الفرضيتين الأوليَين لهذا الكتاب[20]. ثمة ثلاث طرائق عمل كانت حاسمة في الأداء القتالي لتنظيم الدولة: (iALLTR) على مستوى البلد، و(SCCLC) على مستوى البلدة/ المدينة، وعقيدة الهجوم المضاد (عملياتيًا) على مستوى المعارك في الأحياء داخل المدينة/ البلدة/ الضاحية. وعادة ما كانت تشكل هذه الطرائق سلسلة متداخلة من المعارك الحضرية ومعارك الضواحي.

(20) للتذكير، الفرضية الأولى هي: "إن تنظيم الدولة يصمد أو يتمدد، تكتيكيًا وعملياتيًا، بسبب التبديل الناجح بين استراتيجيات الحرب التقليدية وحرب الغوار والإرهاب". والفرضية الثانية هي: "إن تنظيم الدولة ينجح في تحقيق اختراقات عسكرية عملياتية ضد أعداء أقوى منه بسبب الجمع المبتكر بين التكتيكات المرتبطة بأساليب الحرب التقليدية وحرب الغوار والإرهاب".

- طريقة العمل (iALLTR)

أظهر تنظيم الدولة مرارًا وتكرارًا، في سورية وليبيا ومصر وبلدان أخرى، طريقة العمل هذه التي تتضمن عمليات جمع المعلومات الاستخبارية المحلية الذكية وعمليات التغطية/ التسلل، والاستيعاب الجماعي المستمر للتنظيمات/ الفصائل وتجنيد الأفراد، والنهب المستمر للأسلحة من فاعلين مسلحين دون الدولة أو يتبعون دولًا، والاعتماد على قيادات خبيرة متمرسة في خوض المعارك والنقل السريع للبراعات العملية المتعلقة بالابتكارات التكتيكية والتبديلات الاستراتيجية. كان الجمع/ التنسيق المتواصل عبر الحدود للعمليات ضمن هذه الطريقة فريدًا من حيث نوعيته. وينبغي تحديدًا، ومن منظور مقارن، إبراز دور القيادة ونقل البراعات العملية. فعلى العكس من القيادات الفاسدة/ غير الكفء الشائعة نسبيًا لدى الفاعلين المسلحين دون الدولة، أو الذين يتبعون دولًا في البلدان الأربعة التي درسناها، اعتمد تنظيم الدولة في القيادة العسكرية على أشخاص من أمثال حجّي بكر والبيلاوي. كذلك، ومقارنة بأي فاعلين مسلحين آخرين دون الدولة، تبرز لدى التنظيم السرعة في نقل البراعات العملية بين البلدان الأربعة، داخلها وخارجها. بل إنها تبرز حتى في المقارنة ببعض الفاعلين المسلحين الذين يتبعون دولًا في البلدان العربية، حيث يعتبر التضليل وحظر المعارف التكتيكية والاستراتيجية داخل الوحدات وفيما بينها ممارسة شائعة متأصلة في الثقافة (الثقافات) المؤسسية[21].

- طريقة العمل (SCCLC)

خارج العراق، لم تكن طريقة العمل (SCCLC) ناجحة مثل طريقة (iALLTR)، باستثناء في مدينة الرقة في عام 2013، كما بيّنا سابقًا. ففي كل الأماكن الأخرى تقريبًا، إما فشلت هذه الطريقة عملياتيًا (كما هي الحال في معظم المدن/ البلدات الشمالية الغربية من سورية في عام 2013)، وإما نُفّذت

(21) للاطلاع على عينات من هذا السلوك، ينظر:
"Information as Power," in: Norvell De Atkine, "Why Arabs Lose Wars?," *Middle East Quarterly*, vol. 6, no. 4 (December 1999); Kenneth M. Pollack, *Arabs at War: Military Effectiveness, 1948-1991* (Lincoln/London: University of Nebraska Press, 2004), pp. 307, 717.

جزئيًا فحسب (كما حدث في سرت في عام 2015). وفي الحالات التي نجحت فيها، كانت عمليات "الإثخان والزحف" - كما أوضح ماو[22] قبل عقود - تعمل على سحق معنويات الأعداء وإرهابهم قبل شن هجوم تقليدي. كما أسهمت في تثبيت القوات المناوئة لتنظيم الدولة في مواقعها ومنعها من التقدم، فكانت بذلك تؤدي دورًا دفاعيًا في حراسة/حماية البلدة/المدينة. ومنح هذا الأمر تنظيمَ الدولة حريةً أكبر في العمل والاستعداد في ضواحي البلدة/المدينة المستهدفة. وحين يلجأ التنظيم أخيرًا إلى الهجوم التقليدي (أو شبه التقليدي) - مع تحالفات أو من دونها - فإنه كان يشنّه دائمًا تقريبًا في ظل ظروف غير مواتية (مثل التفوق عليه عددًا وعدة وعتادًا). وحين كانت طريقة العمل (SCCLC) تفشل، لم تكن عمليات "الإثخان والزحف" تُرهب معنويات أعداء التنظيم وتسحقها بما فيه الكفاية، بل تؤدي فحسب دور الإنذار المبكر من التهديد المؤكد الذي تمثله هيمنة التنظيم الوحشية، ومن ثمّ تحشد ضده تحالف تنظيمات مسلحة محلية في حركة توازن كلاسيكية.

أظهرت طريقة العمل (SCCLC) أن تنظيم الدولة قادر على بناء تحالف (تكتيكي)، وكذلك على القتال في تحالف عندما يختار ذلك براغماتيًا، أو يحتاج إلى ذلك (مثل حالة الفلوجة في عام 2014). لكن الثوار العراقيين والسوريين تعلّموا درسًا مفاده أن تنظيم الدولة غدّار جدًا. فقد نفّذ باستمرار عمليات "التصفية والتمكين" ضد حلفائه السابقين، ومن ثم كان يعمل على تبريرها ببعض الحجج والسرديات والدعاية الدينية/الأيديولوجية. ولذلك لم يدم أي تحالف عقده أو انضم إليه طويلًا. وحين لم يكن التنظيم يريد بناء تحالف أو يحتاجه، كان في استطاعته أحيانًا تحقيق اختراقات عسكرية غير متوقعة - حتى لو كانت التكاليف عالية والمكاسب منخفضة - كما فعل في الرمادي والشيخ زويد في عام 2015.

- **عقيدة الهجمات المضادة**

في كل المعارك التي تم تحليلها في هذا الكتاب، من الفلوجة في الشرق إلى سرت في الغرب، شنّ تنظيم الدولة هجمات مضادة عنيدة ومنسقة. فعل

(22) Mao Tse-tung.

ذلك في معظم المناطق التي خسرها داخل الفلوجة والرمادي والموصل والرقة ودرنة وسرت والشيخ زويد. وفشل العديد من هذه الهجمات المضادة في استعادة الأراضي المحررة. ولم يكن لبعضها أي معنى (عسكري) من حيث التخطيط (التقليدي) لحرب المدن. وإجمالًا، كانت نتائج هذه الهجمات المضادة مختلطة. فقد نجحت في الرقة في عام 2014 ضد قوات المعارضة السورية؛ وفي سرت في عام 2015 ضد الكتيبة 166؛ وفي الرمادي في عام 2015 ضد القوات النظامية العراقية وحلفائها. وحين فشلت، كانت تسهم في تأخير الانتصار العملياتي للقوات المحرِّرة ورفع تكاليفه، كما حدث في الرمادي في عام 2016، والرقة والموصل في عام 2017.

بغض النظر عن النتائج، فإن "عقيدة الهجمات المضادة"[23] حاضرة بوضوح بين الوحدات القتالية لتنظيم الدولة. وإذا كان قادة التنظيم قد أظهروا مرارًا وتكرارًا القدرة على التنسيق بين تشكيلات بحجم مفارز وفصائل، واستخدام تكتيكات الأسلحة - المشتركة التقليدية وغير التقليدية، ومناورة خصومهم والالتفاف عليهم أحيانًا خلال بعض هذه الهجمات المضادة، فإن ذلك كله لا يعني أن هذه "العقيدة" مجرد ناتج للقوة المعنوية/ الحماسة، بل هي على الأرجح ناتج ثانوي للتخطيط الاستراتيجي (للطريقة التي ينبغي أن تقاتل بها وحدات تنظيم الدولة) والتدريب التكتيكي أيضًا. وتتطابق، تقريبًا، تعليقات القائد العسكري لتنظيم الدولة في الرقة (2017) والملاحظات التي أدلى بها قائد عسكري في عملية البنيان المرصوص في سرت (2016)، في وصف الكيفية التي شنّ بها تنظيم الدولة هجمات مضادة متواصلة في المناطق الحضرية والضواحي، باستخدام الاجتياحات والمناورات والتطويق والتسلل عبر الخداع والتمويه[24]. وتتناقض "عقيدة الهجمات المضادة" تناقضًا صارخًا

(23) "عقيدة" (Cult) لأنها أقرب إلى نظام اعتقادي في الهجوم المضاد باعتباره "واجبًا مقدسًا" منها إلى أي تخطيط عسكري عقلاني أو حسابات التكاليف والمنافع.

(24) "مقابلة: ستكون نارًا تحرق الصليب وأهله في الرقة"، ص 32-35؛ محمد الحصان، قائد الكتيبة 166، مقابلة في: "الرمال المتحركة.. سرت"، **الجزيرة نت**، 31/ 5/ 2017، شوهد في 23/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3xeqwJR. وللاطلاع على التفصيلات، ينظر: "كيف يقاتل "داعش"/ تنظيم الدولة في =

مع الكيفية التي يقاتل بها تقليديًا كثير من الفاعلين المسلحين دون الدولة أو الذين يتبعون الدول في البلدان العربية. وتعبّر، على المستوى العملياتي، عن ركيزة أخرى من ركائز تفرد الكيفية التي يقاتل بها تنظيم الدولة.

ب- حول التبديلات الاستراتيجية (والفشل)

على المستوى الاستراتيجي، لا يطبّق تنظيم الدولة استراتيجيا كبرى ناجحة. فالأمر ببساطة أن موارد التنظيم محدودة جدًا، كي يستطيع تحقيق هدفه النهائي ("الخلافة" على نمط أيديولوجيته مع هيمنة سياسية - عسكرية على بعض الدول ذات الأغلبية المسلمة، أو كلها، والقدرة على "غزو" الآخرين). ومهما يكن مدى كفاءة تنظيم هذه الموارد وتوزيعها وتخطيطها وتطبيقها، فإن دور الكمّ يفوق هنا دور الكيف[25]. زِدْ على ذلك أن أيديولوجية التنظيم المُفرطة في التطرف وسلوكه الإجرامي، إلى جانب موارده المحدودة، منعته، قبل الوصول إلى هدفه النهائي، حتى من تحقيق أهداف استراتيجية انتقالية تساعد في ذلك، مثل احتلال مناطق ذات أغلبية سُنّية بصفة دائمة في أجزاء من وسط العراق، و/أو شمال سورية، و/أو ساحل ليبيا، و/أو سيناء، و/أو أماكن أخرى. ويمكن القول، إذا ما استخدمنا عبارات الفيلد مارشال برنارد مونتغمري (Bernard Montgomery) (1887-1976) في خصوص الاستراتيجيا، إن تنظيم الدولة يتفوّق في "فن القتال" (المستويات التكتيكية)، نظرًا إلى موارده المحدودة والتحديات الأخرى، لكنه متواضع في "فن إدارة الحرب" (المستويات الاستراتيجية)[26]. وعلى أي حال، كان لمهارات التنظيم العالية في فن القتال - من دون الحفاظ على أي نصر استراتيجي - آثار عسكرية وأمنية وسياسية واجتماعية واقتصادية وإنسانية وجيوستراتيجية كبيرة؛ وقد تطرقنا إلى بعضها سابقًا.

= سورية: تحليل جبهات القتال؟"، في الفصل الثالث من هذا الكتاب؛ "كيف يقاتل تنظيم الدولة في ليبيا؟"، في الفصل الرابع.

(25) حتى من حيث الكيف، تبقى أسلحة الدمار الشامل بعيدة جدًا عن التنظيم.

(26) Bernard Montgomery, *A History of Warfare* (London: Collins, 1968), p. 103.

لكنّ تنظيم الدولة، على الرغم من المحاذير المذكورة أعلاه، أتقن تنفيذ التبديلات الاستراتيجية بين الحرب التقليدية وحرب الغوار وحرب الإرهاب، بطرائق ومستويات لم يتمكّن الكثير من الفاعلين المسلحين دون الدولة من تحقيقها. وكان إتقان هذه التبديلات حاسمًا في صمود دولة العراق الإسلامية/ "داعش"/ تنظيم الدولة وفي تمددها، ما أسهم في تكيّف التنظيم وفاعليته في ظل ظروف عملياتية معاكسة وبيئات استراتيجية غير مواتية. وقد نُفّذت التبديلات بين هذه الأساليب الثلاثة في البلدان الأربعة التي درسناها، ويشمل ذلك المحافظات السبع نينوى والأنبار والرقة ودير الزور ودرنة وسرت وشمال سيناء، والمدن/ البلدات التي تم فيها تحليل الأداء القتالي للتنظيم باستثناء الشيخ زويد[27] (أي في الفلوجة والموصل والرمادي والرقة ودرنة وسرت). واستفاد التنظيم من هذه التبديلات الاستراتيجية في أماكن أخرى مع نتائج مماثلة أيضًا. وقد تعزّزت فاعلية هذه التبديلات بوساطة عمليات نقل البراعات العملية، وتضمينها التكتيكات المبتكرة التي نناقشها تاليًا.

ج- حول الابتكارات التكتيكية (والنجاح)

في مقابلة في عام 2006، ربط أبو مصعب الزرقاوي "الانتصار" في الحرب التي يخوضها تنظيم القاعدة في العراق بالتكتيكات التي يستخدمها التنظيم[28]. ووصف استخدام تكتيكات العبوات الناسفة الثابتة والمزروعة على جوانب الطرق والقصف بالهاون بأنها غير قادرة على حسم نتيجة الحرب. وبدلًا من ذلك، أشار إلى الجمع عملياتيًا بين المفجرين الانتحاريين وتشكيلات المغاوير. كان ذلك مؤشرًا مُبكرًا على الفاعلية القتالية المقبلة لتشكيلات المغاوير الانتحاريين أو الانغماسيين، إضافة إلى مجموعة من الابتكارات التكتيكية الأخرى التي تم تحليلها سابقًا.

---

(27) كما أوضحنا في الفصل الخامس، استُخدمت تكتيكات المشاة وأنظمة دفاع جوي عفا عليها الزمن في معركة الشيخ زويد في عام 2015. لكنّ ولاية سيناء لم تعتمد على الحرب التقليدية، نظرًا إلى مواردها المحدودة جدًا.

(28) "حوار مع الشيخ أبي مصعب الزرقاوي: 1427هـ [2006]"، منبر **التوحيد والجهاد**، شوهد في 15/ 4/ 2019، في: https://bit.ly/2xzgJFh

إجمالًا، اعتمد تنظيم الدولة على 15 فئة من التكتيكات في معاركه الرئيسة التي درسناها. توفر هذه الفئات نظرة عامة إلى الكيفية التي يقاتل بها تنظيم الدولة. ونضع ملخصًا لها في الجدول (6-1).

الجدول (6-1)

التكتيكات والاستراتيجيات الحربية التي يستخدمها تنظيم الدولة

التكتيك المستخدم	شائعة في عمليات واستراتيجيات
1. العبوات الناسفة المكثفة	الإرهاب، المغاوير، الحرب التقليدية لتنظيم الدولة
2. العربات المفخخة	الإرهاب، المغاوير، الحرب التقليدية لتنظيم الدولة
3. العربات المفخخة الانتحارية	الإرهاب، المغاوير، الحرب التقليدية لتنظيم الدولة
4. الانغماسيون	الإرهاب، إرهاب تنظيم الدولة، المغاوير، الحرب التقليدية لتنظيم الدولة
5. القنص	الإرهاب، المغاوير، الحرب التقليدية
6. طائرات من دون طيار/ درونات/ درونات مفخخة	الإرهاب، المغاوير، الحرب التقليدية، الحرب التقليدية لتنظيم الدولة
7. صواريخ غير موجَّهة	الإرهاب، المغاوير، الحرب التقليدية
8. تشكيلات المغاوير	المغاوير، الحرب التقليدية
9. المدفعية	المغاوير، الحرب التقليدية
10. صواريخ موجهة مضادة للدروع	المغاوير، الحرب التقليدية
11. مدافع آلية مضادة للطائرات	المغاوير، الحرب التقليدية
12. أنظمة دفاع جوي محمولة	المغاوير، الحرب التقليدية
13. اغتيالات	الإرهاب، المغاوير
14. عربات مدرعة	الحرب التقليدية
15. أنفاق	المغاوير

المصدر: من إعداد الباحث.

واظب التنظيم على ابتكار تقنيات وإجراءات لتصنيع وتطوير وتسليح وتنفيذ هذه الفئات من التكتيكات والموارد الضرورية اللازمة لها، ولا سيما ما يتعلق بالفئات الست الأولى (العبوات الناسفة، العربات المفخخة، العربات المفخخة الانتحارية، الانغماسيون، القناصة، المُسيّرات المفخخة). وكما بيّنا سابقًا، حُوّلت الفئات الثلاث الأولى أساسًا من تكتيكات شائعة في الإرهاب الحضري إلى تكتيكات "شائعة لدى تنظيم الدولة"، يستخدمها في الإرهاب وحرب الغوار والحرب التقليدية. وعُدِّلت وحُدِّثت التكتيكات الثلاثة الأخيرة منها كثيرًا للتأثير في نتائج المعركة، أو للحفاظ على مستوى عالٍ من الفاعلية القتالية ضد قوات متفوقة على قوات التنظيم. وعمومًا، كان للجمع بين هذه التكتيكات دورٌ حاسم في تعزيز الفاعلية العسكرية والقتالية للتنظيم. فقد أثرت في نتائج المعارك، ولا سيما في معارك عامي 2014 و2015 حينما لم تكن القوات المناهضة لتنظيم الدولة في البلدان الأربعة (وخارجها) قد اعتادت، أو تكيّفت مع الابتكارات الميدانية لتنظيم الدولة.

في العراق وسورية وليبيا، استمر تنظيم الدولة في الارتجال والتعديل والتحديث داخل ثلاثية التسليح - التدريع - التحرك، في ظل ظروف معاكسة، حتى عندما تكون وحداته على شفا هزيمة حاسمة (كما حدث في درنة في عام 2016 وفي "مدينة الخيام" في الباغوز في عام 2019). عمل التنظيم على تركيب قطع المدفعية التي يغنمها على هياكل الدبابات المنهوبة، واستبدل مدافعها بأخرى مضادة للطائرات عند الضرورة، وعلى عربات قتال المشاة المصفحة، وتثبيت أبراج المركبات من طراز بي إم بي (BMP) على عربات رباعية الدفع، وتحديث دبابات تي-55 وتي-62 بإضافة دروع محلية الصنع (حتى إن بعضها كان يُصنع من أغلفة القذائف)، وتحويل الشاحنات ذات السطوح إلى منصات أسلحة. واستخدمت الوحدات القتالية للتنظيم المُسيّرات التجارية لإيصال العبوات الناسفة وتوجيه العربات المفخخة الانتحارية، واستخدمت أيضًا العربات المفخخة الانتحارية كقنابل دقيقة وقذائف صاروخية موجّهة، وحُوّلت العربات المفخخة الانتحارية الضخمة [الشاحنات] زنة سبعة أطنان إلى ما يشبه صواريخ/طوربيدات بّرية موجّهة بشريًا، ونفّذت هذه الوحدات

تسلسل الاختراق على غرار قوات المارينز، بالاشتراك مع العربات المفخخة الانتحارية. واستخدمت تطبيقات نظم التموضع العالمي (GPS) التجارية على الأجهزة الذكية المدنية لتحسين دقة قذائف الهاون وبنادق القنص المشغَّلة عن بُعد، حرصًا على حماية القناصين، وأجهضوا فاعلية الدبابات عبر تقنيات حشد الوحدات المضادة للدبابات. وكانت هذه الوحدات رائدة في تنفيذ العديد من تكتيكات المغاوير في كل من الإرهاب الحضري والمعارك التقليدية، عدا الكثير من الابتكارات الأخرى على المستويين التقني (technical) والتكتيكي (tactical).

يجدر التأكيد مجددًا على ثلاث ملاحظات ختامية بشأن كيفية تنفيذ تنظيم الدولة هذه التكتيكات: أولًا، استخدم التنظيم باطّراد تكتيكات الأسلحة المشتركة غير التقليدية، بمستويات مختلفة من الجودة. ويظهر التباين بوضوح في ساحات القتال، فقد نفّذتها الوحدات القتالية للتنظيم بإتقان في الموصل في عام 2017، في حين كان التنفيذ متوسّط المستوى في درنة في عام 2016. وذكر قائد في عملية البنيان المرصوص، حارب تنظيم الدولة في سرت وضواحيها، واصفًا عيّنة من تكتيكات الأسلحة المشتركة غير التقليدية للتنظيم قائلًا: "إذا تراجعت إلى اليسار، تموت بنيران القناصة [...] وإذا [ذهبت] إلى اليمين تموت بانفجار [عربة مفخخة انتحارية] [...] إنهم [مقاتلو وحدات تنظيم الدولة] لن يمنحوك أي فرصة كي تشن هجومًا مضادًا"[29]. كانت هذه التكتيكات فعالة في مفاجأة القوات المناهضة للتنظيم في أثناء الهجمات والهجمات المضادة، واستمرّ ذلك حتى أصبحت هذه القوات على دراية بها واختفى عنصر المفاجأة. وكانت هذه التكتيكات فعالة أيضًا في العمليات الدفاعية، وذلك أساسًا لمواجهة التفوّق الساحق للقوات المحررة، كما في حالة الجمع بين المُسيّرات - العربات المفخخة الانتحارية - الانغماسيين في الموصل والرقة في عام 2017. ونظرًا إلى فاعليتها القتالية، يرجَّح في المستقبل أن يستخدم تنظيم الدولة و/أو غيره من الفاعلين المسلحين دون الدولة تكتيكات الأسلحة المشتركة غير التقليدية.

(29) قائد سابق في عملية البنيان المرصوص، مقابلة شخصية، إسطنبول، 12/ 11/ 2018.

ثانيًا، النهج "الصاعد/ أدنى - أعلى" الموجَّه نحو المهمة الذي استخدمه تنظيم الدولة عند تنفيذ فئات مختارة من التكتيكات. ويُرجَّح أن قادة التنظيم قد شددوا على أهداف عملياتية في المعركة أو الحملة، بدلًا من تكتيكات الأوامر "النازلة/ أعلى - أدنى". ولعلّ هذا الأمر في حاجة إلى مزيد من الفحص والتحقيق للتأكد منه في سياق معارك التنظيم الأخرى. وعلى أي حال، ليس هذا النهج جديدًا ولا فريدًا في حدّ ذاته، بل يمكن تتبّعه إلى القرن التاسع عشر في معارك الجيش البروسي ضد نابليون بونابرت[30]. ويمكن لبيانٍ حول القوات البروسية في القرن التاسع عشر أن يصف بدقة الكيفية التي حارب بها تنظيم الدولة في معارك الموصل في عام 2014 والرمادي وسرت في عام 2015 وغيرها: "هيئة الأركان العامة البروسية، تحت قيادة فون مولتكه الأكبر [...] لم تعتمد خطة عمليات للبقاء بعد أول احتكاك مع العدو. لقد حددت فحسب أوسع الأهداف وشددت على اغتنام الفرص غير المتوقعة عند ظهورها [...] لم تكن الاستراتيجيا تعني خطة عمل على المدى الطويل، بل تطويرًا لفكرة محورية من خلال الظروف المتغيرة باستمرار"[31]. لاحقًا، حُدِّثت "تكتيكات نوع-المهمة" وأتقنها واستخدمها الفيرماخت [الجيش الألماني] والقوات الأخرى ذات الفاعلية القتالية العالية، بما في ذلك الجيش الإسرائيلي"[32]. ومع ذلك، فإن ما يجعلها فريدة بالنسبة إلى تنظيم الدولة هو أنها غير شائعة في المنطقة العربية بين الفاعلين المسلحين دون الدولة أو الذين يتبعون الدول على حد سواء، الذين يفضل معظمهم التخطيط المركزي والأوامر النازلة الواضحة[33]. وبصفة عامة، وعلى شاكلة "الاستقلالية" المذكورة أعلاه، فإن

(30) Werner Wider, "Auftragstaktik and Innere Fuhrung: Trademarks of German Leadership," *Military Review*, vol. 82, no. 5 (September-October 2002), pp. 3-4.

(31) Jack Welsh (1981), in: Dominik Thoma, *Moltke Meets Confucius: The Possibility of Mission Command in China* (Marburg: Tectum Verlag, 2016), p. 1.

(32) للاطلاع على تحليل مقارن معمّق، ينظر:
Eitan Shamir, *Transforming Command: The Pursuit of Mission Command in the U.S., British, and Israeli Armies* (Stanford: Standard University Press, 2011).

(33) De Atkine;
عمر عاشور، "لغز البقاء والتمدد: كيف يصمد ويقاتل تنظيم الدولة؟"، **تقارير**، مركز الجزيرة للدراسات، 10/ 3/ 2016، ص 8، شوهد في 23/ 8/ 2021، في: https://bit.ly/3kllhn5

نهج "نوع-المهمة" المتبع في تنفيذ التكتيكات مكّن أيضًا وشجّع على الارتجال والابتكار والشراسة التكتيكية والمناورة والمرونة في تكييف مخزون التكتيكات مع الهدف العملياتي.

ثالثًا، يعتمد تنظيم الدولة في الأغلب على التكتيكات التي يتفوّق نسبيًا في تنفيذها في ساحة المعركة (بسبب الخبرات المتراكمة)، وليس على تلك التكتيكات القادر على تنفيذها (بسبب الموارد المتاحة). وقد تجلّى ذلك بوضوح في حالات معارك صيف 2014 في محافظة الرقة (مثل معارك الفرقة 17 واللواء 93)، حين اعتمد التنظيم على العربات المفخخة الانتحارية لتحقيق نتائج مواتية في المعارك على الرغم من توافر الدبابات والمدفعية الثقيلة لديه. وهذا يتناقض أيضًا مع سلوك الفاعلين المسلحين التابعين لدول في المنطقة العربية؛ إذ ينصبّ التركيز على شراء أحدث قطع المعدات واستخدامها من دون أن يكونوا قادرين بالضرورة على تشغيلها بفاعلية في القتال.

أخيرًا، من المهم التأكيد على النسبية في الفاعلية القتالية وفي نوعية الابتكارات التكتيكية وكميتها والفن العملياتي والتبديلات الاستراتيجية. إن القتال مسعى تنافسي عدائي. ولعلّنا هنا نستخدم تشبيهًا تقليديًا من فنون الدفاع عن النفس: للتغلّب على مقاتل يحمل الحزام الأبيض، يحتاج المقاتل الآخر إلى أن يكون حاملًا الحزام الأصفر فحسب، وليس بالضرورة الحزام الأزرق أو الأسود. فمن المؤكد أن تنظيم الدولة ليس بمهارة فرقة براندنبورغ للقوات الخاصة في الفيرماخت، ولا بشراسة فرقة تيشين شودان للقوات الخاصة في الجيش الإمبراطوري الياباني. ومع ذلك، تعيّن على التنظيم أن يتمدّد و/أو يصمد في مواجهة القوات العراقية والليبية والمصرية وفاعلين مسلحين دون الدولة في سورية، وكلهم مدعومون أميركيًا؛ وكذلك ضد فاعلين مسلحين دون الدولة أو يتبعون الدولة في سورية مدعومين من روسيا وإيران وغيرهما؛ وذلك كله بموارد محدودة نسبيًا. ونجح، حتى وقت تأليف هذا الكتاب، في فعل ذلك بالضبط.

3- نظرة إلى المستقبل: يفجر، يتمدد، يصمد، يبدّل، يعيد

في إطار ما يمكن أن نسميه "السباق القتالي" بين الفاعلين المسلحين دون الدولة، أظهر تنظيم الدولة الإسلامية مستويات غير مسبوقة من البراعة في الابتكار التكتيكي، والقدرة على التكيف في التبديل الاستراتيجي، والفاعلية النسبية في القتال. كما أنه اتّبع نموذجًا شرسًا، تكرر خمس مرات في الأعوام الستة عشر الماضية (2004-2007، 2007-2011، 2011-2014، 2014-2019، 2019-). يبدأ هذا النمط عادةً بصعود تنظيم الدولة وأسلافه من التنظيمات وتمدّدها، ثم الصمود، ثم إضعافه (لكن من دون القضاء عليه)، ثم التبديل الاستراتيجي والابتكار التكتيكي قبل إعادة تعبئة واتّباع النموذج نفسه مع إجراء تعديلات عملياتية؛ أحيانًا باعتماد اسم تنظيمي جديد.

إجمالًا، هناك مجموعة متكاملة من العوامل، على المستويات الكلية والمتوسطة والجزئية، ذكرناها أعلاه، وهي تفسر سبب تمدّد التنظيم عسكريًا وصموده سابقًا في العراق وسورية وليبيا ومصر وأماكن أخرى. لكنّ الفارق الاستثنائي الذي تشكّله الفاعلية القتالية للتنظيم يكمن في التبديلات الاستراتيجية والابتكارات التكتيكية، وينبع أيضًا من المميزات المذكورة أعلاه المتعلقة بفن الحرب على المستوى العملياتي. لقد تكيّف التنظيم بسرعة مع البيئات والمواقف المتغيرة. وحين كان ينجح عسكريًا في السيطرة على الأراضي، كان يستغلّ ذلك لتعزيز موارده المحدودة (كما في نينوى والرقة ودير الزور). أما حين يتعثر عسكريًا، فكان يعمل على شن هجمات مضادة عملياتية عنيدة، ثم يبدِّل استراتيجياته ويُعدّل/ يبتكر التكتيكات بما يتوافق معها. هذه هي الطريقة التي يقاتل بها تنظيم الدولة. وإن فهم الكيفية التي يقاتل بها أمر حاسم للوصول إلى هزيمة نهائية له. لكن حتى وقت تأليف هذا الكتاب لم يتحقق هذا الأمر بعد، ويمكن أن يكون موضوعًا لمشروع بحثي مستقبلي يُعيد تقييم وتحليل الكيفية التي يمكن بها محاربة تنظيم الدولة والتنظيمات ذات التفكير المماثل.

أخيرًا، إنّ الفاعلية ونوع الفاعل مهمان. ومهما تكن التحديات الهيكلية

المفروضة وتأثيرها في الحد من الموارد، فقد تمكن فاعلون مسلحون (دون الدولة أو تابعون لدول) من تعزيز فاعليتهم القتالية بما توافر لديهم من موارد محدودة. ويُعدّ الجيش الإسرائيلي قبل عام 1967، والحرس الثوري الإيراني بعد عام 1979، من الأمثلة الجيدة على ذلك بين الفاعلين المسلحين التابعين لدول، على الرغم من الاختلافات الواضحة، هذا في حين يبرز تنظيم الدولة الإسلامية بين الفاعلين المسلحين دون الدولة. ومن ثم، من شأن الكشف المفصّل عن القدرات والإمكانات ذات الصلة بالقتال التي يتمتع بها تنظيم الدولة، وغيره من الفاعلين المسلحين دون الدولة، أن يولّد ويواصل توليد تبصّرات وأسئلة بحثية وفرضيات جديدة للباحثين والمحللين السياسيين/ العسكريين وصناع القرار. وعمومًا، إن الأهم في الأداء القتالي هو ما يقوم به الفاعلون نوعيًا وفق ما لديهم، وليس بالضرورة كمية ما لديهم ونوعيته. ولمّا كانت البراعة العملية قابلة للنقل، فمن المرجّح أن يستمر تطوير الأداء القتالي للفاعلين المسلحين دون الدولة وتحسينه، مع أو من دون رعاية دول أو بيئات وظروف مواتية. زِدْ على ذلك أن تنظيم الدولة، بفضل ابتكاراته التكتيكية وتبديلاته الاستراتيجية، بات، عن غير قصد، كأنه ألّف كتابًا تدريسيًا محدَّثًا للفاعلين الآخرين. وقد تشمل قائمة المستفيدين الفاعلين المسلحين دون الدولة الأضعف ممن يقاتلون، إما فاعلين مسلحين أقوى تابعين لدول وإما فاعلين مسلحين دون الدولة ترعاهم دول، أو فاعلين مسلحين دون الدولة متطرفين أو أقل تطرفًا، وربما بعض الفاعلين المسلحين التابعين لدول في أنظمة غير ديمقراطية أو في دول محدودة الموارد. وإذا كان تنظيم الدولة الإسلامية قد فشل في "فن إدارة الحرب"، فإن من شأن ما أظهره في "فن القتال" أن يغيّر فهمنا لحروب التمرد لسنوات عدة مقبلة.

المراجع

1- العربية

أبو هنية، حسن ومحمد أبو رمان. **تنظيم الدولة الإسلامية: الأزمة السنية والصراع على الجهادية العالمية**. عمّان: مؤسسة فريدريش إيبرت، 2015.

الأمم المتحدة، مجلس الأمن. "رسالة مؤرخة 16 تموز/ يوليو2018 موجّهة إلى رئيس مجلس الأمن، من رئيس لجنة مجلس الأمن العاملة بموجب القرارات 1267 (1999) و1989 (2011) و2253 (2015) بشأن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" وتنظيم القاعدة وما يرتبط بهما من أفراد وجماعات ومؤسسات وكيانات". 27/ 7/ 2018. في: https://bit.ly/3ASeGqO

بشارة، عزمي. "تنظيم الدولة المكنّى 'داعش': إطار عام ومساهمة نقدية في فهم الظاهرة". **سياسات عربية**. العدد 35 (تشرين الثاني/ نوفمبر 2018).

______. **تنظيم الدولة المكنّى "داعش"، الجزء الأول: إطار عام ومساهمة نقدية في فهم الظاهرة**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018.

______ [وآخرون]. **تنظيم الدولة المكنّى "داعش"، الجزء الثاني: التشكل والخطاب والممارسة**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018.

البغدادي، عبد اللطيف. **مذكرات عبد اللطيف البغدادي**. ج 1. القاهرة: المكتب المصري الحديث، 1977.

الحامد، رائد. "معركة الرمادي: مكاسب التحالف وتكتيكات تنظيم الدولة". **تقارير**. مركز الجزيرة للدراسات. 13/ 2/ 2016. في: https://bit.ly/3xSRoz3

"حسب الخطة: مذبحة رابعة والقتل الجماعي للمتظاهرين في مصر". هيومن رايتس ووتش. 12/ 8/ 2014. في: https://bit.ly/3zgJTUq

حسن، حسن. "طائفية تنظيم الدولة الإسلامية: الجذور الأيديولوجية والسياق السياسي". مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي. حزيران/ يونيو 2016. في: https://bit.ly/3v5KSpa

سعيد، حيدر. "الطريق إلى سقوط الموصل". **سياسات عربية**. مج 2، العدد 10 (أيلول/ سبتمبر 2014).

عاشور، عمر. "لغز البقاء والتمدد: كيف يصمد ويقاتل تنظيم الدولة؟". **تقارير**. مركز الجزيرة للدراسات. 10/ 3/ 2016. في: https://bit.ly/3kllhn5

______. "من السلاح إلى السلام: التحوّلات من العمل السياسي المسلح إلى العمل السياسي السلمي". **أوراق استراتيجية**. رقم 1. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 13/ 8/ 2020. في: https://bit.ly/3BZsVvg

______ [وآخرون]. **من السلاح إلى السلام: التحولات من العمل المسلح إلى العمل السياسي المسلح**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022 (قيد النشر).

عبد الجبار، فالح. **دولة الخلافة: التقدم إلى الماضي**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.

عبد الفتاح، نبيل. **الحالة الدينية في مصر**. القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 1996.

القماطي، أنس. "حفتر والانقلابات المقنّعة". **صدى**. مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي. 30/ 7/ 2019. في: https://bit.ly/3fcUuYB

كامان، هوغو. "كيف أصبحت المركبات المفخخة سلاحًا ميدانيًا". ورقة مقدمة في المؤتمر السنوي الثاني لوحدة الدراسات الاستراتيجية "ميليشيات وجيوش: تطورات الأداء القتالي والسياسي للحركات والمؤسسات المسلحة". المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. الدوحة، 22-24/ 4/ 2020.

محي الدين، خالد. **والآن أتكلم**. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1992.

المرصد المصري للحقوق والحريات. لجنة حقوق الإنسان في سيناء. **سيناء عامان من الجرائم**. حزيران/ يونيو 2015. في: https://bit.ly/3k9J7lq

المصطفى، حمزة. "الأداء القتالي لجبهة النصرة في سياق الحرب السورية: التحول من ميليشيا جهادية إلى 'جيش' حكومة الإنقاذ". ورقة مقدمة في المؤتمر السنوي لوحدة الدراسات الاستراتيجية "ميليشيات وجيوش: تطورات الأداء القتالي والسياسي للحركات والمؤسسات المسلحة". المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. الدوحة. 22-24/ 2/ 2020.

نجيب، محمد. **مذكرات محمد نجيب: كنت رئيسًا لمصر**. القاهرة: المكتب المصري الحديث، 1984.

هذه عقيدتنا. [د. م]: [د. ن]، 2009.

2 – الأجنبية

Abouzeid, Rania. "The Jihad Next Door: The Syrian Roots of Iraq's Newest Civil War." *Politico Magazine*. 23/6/2014. at: https://politi.co/3giuwDo

"Al-Raqqah City is Free of ISIS." Syrian Observatory for Human Rights. 21/9/2017. at: https://bit.ly/2VvSXSF

Al-Rasheed, Madawi. *A History of Saudi Arabia.* Cambridge/ New York: Cambridge University Press, 2010.

Al-Tamimi, Aymenn. "Dissent in the Islamic State: Abu al-Faruq al-Masri's Message on the Menhaj." Combating Terrorism Center at West Point Sentinel. 31/10/2016. at: https://bit.ly/3pIKGcv

Arreguín-Toft, Ivan M. *How the Weak Win Wars: A Theory of Asymmetric Conflict.* Cambridge/New York: Cambridge University Press, 2001; 2005.

Ashour, Omar (ed.). *The De-Radicalization of Jihadists: Transforming Armed Islamists Movements.* London: Routledge, 2009.

______. "Votes and Violence: Islamists and the processes of transformation." International Centre for Study of Radicalization (ICSR). King's College London (November 2009). at: https://bit.ly/3fkDS0E

______. "Post-Jihadism: Libya and the Global Transformations of Armed Islamist Movements." *Terrorism and Political Violence*. vol. 13, no. 3 (2011).

______. "Collusion to Collision: Islamist-Military Relations in Egypt." Brookings Doha Center. *Analysis Paper*. no. 14 (March 2015). at: https://brook.gs/3ze989F

______. *Punching Above Weights: Combat Capacities of Armed Non-State Actors.* Doha/ Beirut: Arab Center for Research and Policy Studies, 2021 [forthcoming].

Atkine, Norvell De. "Why Arabs Lose Wars?." *Middle East Quarterly.* vol. 6, no. 4 (December 1999).

Bayo, Alberto. *150 Questions for A Guerrilla.* Denver: Cypress, 1963.

Biddle, Stephen, Jeffrey A. Friedman & Jacob N. Shapiro. "Testing the Surge: Why Did Violence Decline in Iraq in 2007?." *International Security*. vol. 37, no. 1 (Summer 2012).

Bokel, John. "IEDs in Asymmetric Warfare." *Military Technology*. vol. 31, no. 10 (October 2007).

Boulding, Kenneth E. *Conflict and Defense: A General Theory.* New York: Harper, 1962.

Brown, Malcolm (ed.). *T.E. Lawrence in War and Peace: An Anthology of the Military Writings of Lawrence of Arabia.* London: Greenhill Books, 2005.

Byman, Daniel et al., *Trends in Outside Support for Insurgent Movements.* Santa Monica: RAND Corporation, 2001.

Chaitani, Youssef, Omar Ashour & Vito Intini. "An Overview of the Arab Security Sector amidst Political Transitions: Reflections on Legacies, Functions and Perceptions." United Nations' Economic and Social Commission for West Africa (UN-ESCWA) (July 2013). at: https://bit.ly/3y7R7bB

Cochran, Kathryn M. & Stephen B. Long. "Measuring Military Effectiveness: Calculating Casualty Loss-Exchange Ratios for Multilateral Wars, 1816-1990." *International Interactions*. vol. 43, no. 6 (2017).

Combined Joint Task Forces Operation Inherent Resolve, U.S. Defence Department. at: https://bit.ly/31iDarE

Connable, Ben & Martin C. Libicki. *How Insurgencies End*. Arlington: RAND Publications, 2010.

"Cost of War Through March 31, 2018." Federation of American Scientists (March 2018). at: https://bit.ly/2LCsPhX

David, Steven R. "Why the Third World Matters." I*nternational Security*. vol. 14, no. 1 (1989).

Downes, Alexander. *Targeting Civilians in War*. Ithaca: Cornell University Press, 2008.

Doyle, Michael W. & Nicholas Sambanis. *Making War and Building Peace*. Princeton: Princeton University Press, 2006.

Dreyfuss, Bob. "How the US War in Afghanistan Fuelled the Taliban Insurgency." *The Nation*. 18/9/2013. at: https://bit.ly/2yip3sO

Engelhardt, Michael. "Democracies, Dictatorships, and Counterinsurgency: Does Regime Type Really Matter?." *Conflict Quarterly*. vol. 12, no. 3 (June 1992).

Fearon, James D. & David D. Laitin. "Ethnicity, Insurgency, and Civil War." *American Political Science Review*. vol. 97, no. 1 (February 2003).

Fitzgerald, Mary & Mattia Toaldo. "A Quick Guide to Libya's Main Players." European Council of Foreign Relations. 19/5/2016. at: https://bit.ly/35eXix2

Flood, Derek Henry. "From Caliphate to Caves: The Islamic State's Asymmetric War in Northern Iraq." Combating Terrorism Center at West Point Sentinel. *CTC Sentinel*. vol. 11, no. 8 (September 2018). at: https://bit.ly/3k2cXcL

Freedman, Lawrence (ed.). *Strategy: A History*. New York: Oxford University Press, 2013.

Galula, David. *Counterinsurgency Warfare: Theory and Practice*. Westport: Praeger, 1964; London: PSI Classics of the Counterinsurgency Era, 2006.

Gemtansky, Anna. "You Can't Win If you Don't Fight: The Role of Regime Type in Counterinsurgency Outbreaks and Outcomes." *Journal of Conflict Resolution*. vol. 7, no. 4 (July 2012).

Guevara, Ernesto. *Guerrilla Warfare.* North Melbourne: Ocean Press, 1961.

Hafez, Mohammed. *Why Muslims Rebel? Repression and Resistance in the Islamic World.* London: Lynne Rienner Publishers, 2003.

Hamid, Shadi & William McCants (eds.). *Rethinking Political Islam.* New York: Oxford University Press, 2017.

Hashim, Ahmed. "From Al-Qaida Affiliate to the Rise of the Islamic Caliphate: The Evolution of the Islamic State of Iraq and Syria (ISIS)." *Policy Report.* S. Rajaratnam School of International Studies (RSIS) (December 2014).

Hassan, Hassan. "Two Houses Divided: How Conflict in Syria Shaped the Future of Jihadism." *CTS Sentinel.* vol. 11, no. 9 (October 2018). at: https://bit.ly/34AbkK4

Hoffman, Bruce. *Inside Terrorism.* New York: Columbia University Press, 2006.

Hopkins, Alex. *International Airstrikes and Civilian Casualty Claims in Iraq and Syria. Reports.* Airwars (July 2017). at: https://bit.ly/2wCq7HE

Human Rights Watch. *Look for Another Homeland: Forced Evictions in Egypt's Rafah.* 22/9/2015. at: https://bit.ly/3b5Tp0q

International Crisis Group. *Iraq: Falluja's Faustian Bargain.* Middle East Report, no. 150. Brussels, 28/4/2014. at: https://bit.ly/3ALTrXA

"It will be a Fire that Burns the Cross and its People in Raqqah." *Rumiyah.* no. 12. 6/8/2017.

Johnston, Patrick B. "The Geography of Insurgent Organisation and its Consequences for Civil Wars: Evidence from Liberia and Sierra Leone." *Security Studies.* vol. 11, no. 1 (2008).

Jones, Seth G. *Waging Insurgent Warfare: Lessons from the Vietcong to the Islamic State.* New York: Oxford University Press, 2017.

______ & Patrick Johnston. "The Future of Insurgency." *Studies in Conflict & Terrorism.* vol. 36, no. 1 (2013).

Joscelyn, Thomas. "Analysis: Islamic State Claims Historically High Number of Suicide Attacks in 2016." *FDD's Long War Journal*, 3/1/2017. at: https://bit.ly/3xUntGH

Kaaman, Hugo. "Islamic State Statistics on its SVBIED Use from Late 2015 Through 2017, Including the Battle of Mosul." *Hugo Kaaman Open Source on SVBIEDs.* 18/8/2018. at: https://bit.ly/2YDYoSP

Kalyvas, Stathis N. *The Logic of Violence in Civil War.* New York: Cambridge University Press, 2006.

______ & Laia Balcells. "International System and Technologies of Rebellion: How the End of the Cold War Shaped Internal Conflict." *American Political Science Review.* vol. 104, no. 3 (August 2010).

Kazimi, Zaheer & Jeevan Doel (eds.). *Contextualizing Jihadi Ideologies*. New York: Columbia University Press, 2012.

Keatinge, Tom. "The Importance of Financing in Enabling and Sustaining the Conflict in Syria (and Beyond)." *Perspectives on Terrorism*. vol. 8, no. 4 (August 2014).

Keefer, Philip. "Insurgency and Credible commitment in Autocracies and Democracies." *The World Bank Economic Review*. vol. 22, no. 1 (June 2013).

Kevlihan, Rob. *Aid, Insurgencies and Conflict Transformation: When Greed is Good*. London: Routledge, 2012.

Kilcullen, David. *The Accidental Guerrilla: Fighting Small Wars in the Midst of A Big One*. Oxford: Oxford University Press, 2009.

______. *Out of the Mountains: The Coming Age of the Urban Guerrilla*. New York: Oxford University Press, 2013.

______. *Blood Year: The Unraveling of Western Counterterrorism*. Oxford: Oxford University Press, 2016.

Lagon, Mark P. "The International System and the Reagan Doctrine: Can Realism Explain Aid to 'Freedom Fighters'?." *British Journal of Political Science*. vol. 22, no. 1 (January 1992).

Lansdale, Edward G. "Vietnam: Do We Understand Revolution?." *Foreign Affairs* (October 1964).

______. *In the Midst of Wars: An American's Mission to Southeast Asia*. New York: Harper & Row, 1972.

Laqueur, Walter. *Guerrilla Warfare: A Historical and Critical Study*. New Brunswick: Transaction, 1998.

Lewis, Jessica. *Al Qaeda in Iraq is Resurgent: The Breaking the Walls Campaign*. Part I. Middle East Security Report, no. 14. Institute for the Study of War (September 2013). at: https://bit.ly/3oZzdH8

Lister, Charles R. *The Syrian Jihad: Al-Qaeda, the Islamic State and the Evolution of an Insurgency*. New York: Oxford University Press, 2015.

"Look for Another Homeland: Forced Evictions in Egypt's Rafah." *Human Rights Watch*. 22/9/2015. at: https://bit.ly/3b5Tp0q

Luttwak, Edward. "The Operational-Level of War." *International Security*. vol. 5, no. 3 (Winter 1980/ 1981).

Lyall, Jason. "Do Democracies Make Inferior Counterinsurgents? Reassessing Democracy's Impact on War Duration and Outcomes." *International Organization*. vol. 64, no. 1 (2010).

______ & Isaiah Wilson. "Rage against the Machines: Explaining Outcomes in Counterinsurgency Wars." *International Organisation*. vol. 63, no. 1 (January 2009).

"Libya's Rogue 'War on Terror'." *Foreign Policy*. 5/6/2014. at: https://bit.ly/34cZTWS

Macaulay, Neil. "The Cuban Rebel Army: A Numerical Survey." *The Hispanic American Historical Review*. vol. 58, no. 2 (1978).

Mack, Andrew. "Why Big Nations Lose Small Wars: The Politics of Asymmetric Conflict." *World Politics*, vol. 27, no. 2 (January 1975).

Malkasian, Carter. "Anbar's Illusions: The Failure of Iraq's Success Story." *Foreign Affairs*. 24/6/2017. at: https://fam.ag/2MD9r8y

Mao Tse-tung. *On Guerrilla Warfare*. Samuel B. Griffith (trans.). Champaign: University of Illinois, 1961 [1937]).

Martin, Patrick, Genevieve Casagrande & Jessica Lewis McFate. "ISIS Captures Ramadi." Institute for The Study of War. 18/5/2015. at: https://bit.ly/2VWIWTT

McCants, William. *The ISIS Apocalypse: The History, Strategy, and Doomsday Vision of the Islamic State*. New York: St. Martin's Press, 2015.

McColl, Robert. "The Insurgent State: Territorial Bases of Revolution." *Annals of the Association of American Geographers*. vol. 59, no. 4 (December 1969).

Milton, Daniel, Bryan Price & Muhammad al-`Ubaydi. "The Islamic State in Iraq and the Levant: More than Just a June Surprise." *CTC Sentinel*. vol. 7, no. 6 (June 2014).

Montgomery, Bernard. *A History of Warfare*. London: Collins, 1968.

Nesser, Petter. *Islamist Terrorism in Europe: A History*. Oxford: Oxford University Press, 2018.

Pape, Robert A. *Dying to Win: The Strategic Logic of Suicide Terrorism*. New York: Random House, 2005.

______ & James K. Feldman. *Cutting the Fuse: The Explosion of Global Suicide Terrorism and How to Stop It*. Chicago: University of Chicago Press, 2010.

Perry, Mark. "How Iraq's Army Could Beat ISIS in Mosul, but Lose the Country." *Politico Magazine*. 15/12/2016. at: https://politi.co/38r6v65

Petraeus, David, James F. Amos & John A. Nagl. *The U.S. Army/Marine Corps Counterinsurgency Field Manual*. Chicago/ London: University of Chicago Press, 2007.

Pike, Douglas. *Viet Cong: The Organization and Technique of the National Liberation Front of South Vietnam*. Boston: MIT Press, 1966.

Pollack, Kenneth M. *Arabs at War: Military Effectiveness, 1948-1991*. Lincoln/ London: University of Nebraska Press, 2004.

Porch, Douglas. *Counterinsurgency: Exposing the Myths of the News Way of War*. Cambridge: Cambridge University Press, 2013.

Rassler, Don. "The Islamic State and Drones: Supply, Scale and Future Threats." Combatting Terrorism Center at West Point. United States Military Academy (July 2018). at: https://bit.ly/3iV9jRu

Rassler, Don, Muhammad Al-`Ubaydi & Vera Mironova. "The Islamic State's Drone Documents: Management, Acquisitions, and DIY Tradecraft." Combatting Terrorism Centre at West Point. 31/1/2017. at: https://bit.ly/3nnxaK4

Remnick, David. "Going the Distance: On and Off the Road with Barack Obama." *The New Yorker.* 20/1/2014. at: https://bit.ly/2K6erQv

Rosenau, William. "The Kennedy Administration, US Foreign Internal Security Assistance and the Challenge of 'Subterranean War', 1961-63." *Small Wars and Insurgencies*. vol. 14, no. 3 (Autumn 2003).

Salehyan, Idean, Kristian Skrede Gleditsch & David E. Cunningham. "Explaining External Support for Insurgent Groups." I*nternational Organization*. vol. 65, no. 4 (Fall 2011).

Sanín, Francisco Gutiérrez & Elisabeth Jean Wood. "Ideology in Civil Wars: Instrumental Adoption and Beyond." *Journal of Peace Research.* vol. 51, no. 2 (March 2014).

Sayigh, Yezid. "Above the State: The Officers Republic of Egypt." *The Carnegie Papers*. Carnegie Endowment for International Peace (August 2012). at: https://bit.ly/3j8y24Y

Schmidt, Dana. *Yemen: The Unknown War.* New York: Holt, Rinehart, and Winston, 1968.

Schute, Sebastian. "Geography, Outcome, and Casualties: A Unified Model of Insurgency." *Journal of Conflict Resolution*. vol. 59, no. 6 (2015).

Seig, Hans. "How the Transformation of Military Power Leads to Increasing Asymmetries in Warfare?." *Armed Forces and Society*. vol. 40, no. 2 (March 2013).

Seligman, Lara. "In Overflowing Syrian Refugee Camps, Extremism Takes Root." *Foreign Policy*. 29/7/2019. at: https://bit.ly/2V7M76B

Shamir, Eitan. *Transforming Command: The Pursuit of Mission Command in the U.S., British, and Israeli Armies*. Stanford: Standard University Press, 2011.

Sharp, Jeremy. *Egypt: Background and U.S. Relations*. Congressional Services Report. 27/5/2020. at: https://bit.ly/3gocVtQ

Staniland, Paul. "Organizing Insurgency: Networks, Resources, and Rebellion in South Asia." *International Security*. vol. 37, no. 1 (Summer 2012).

Stansfield, Gareth. "Explaining the Aims, Rise, and Impact of the Islamic State in Iraq and Al-Sham." *Middle East Journal*. vol. 70, no. 1 (Winter 2016).

Stern, Jessica & J. M. Berger. *ISIS: The State of Terror.* Manhattan: Ecco Press, 2015.

Thoma, Dominik. *Moltke Meets Confucius: The Possibility of Mission Command in China*. Marburg: Tectum Verlag, 2016.

United Nations, Security Council. *Letter Dated 15 July 2019 from the Chair of the Security Council Committee Pursuant to Resolutions 1267 (1999), 1989 (2011) and 2253 (2015) Concerning Islamic State in Iraq and the Levant (Da'esh), Al-Qaida and Associated Individuals, Groups, Undertakings and Entities Addressed to the President of the Security Council,* S/2019/570. New York, 15/7/2019. at: https://bit.ly/2qH5eYZ

______. *Twenty-third Report of the Analytical Support and Sanctions Monitoring Team Submitted Pursuant to Resolution 2368 (2017) Concerning ISIL (Da'esh), Al-Qaida and Associated Individuals and Entities*, S/2019/50. 15/1/2019. at: https://bit.ly/2ZqJe5Z

Walter, Barbara. "Why Bad Governance Lead to Repeat Civil Wars." *Journal of Conflict Resolution*. vol. 59, no. 7 (October 2015).

Waltz, Kenneth N. *Theory of International Politics*. New York: McGraw-Hill, 1979.

Warrick, Joby. *Black Flags: The Rise of ISIS*. London: Corgi, 2016.

"Weapons of the Islamic State: A Three-Year Investigation in Iraq and Syria." Conflict Armament Research (December 2017).

Wehrey, Frederic. *The Burning Shores: Inside the Battle for the New Libya*. New York: Farrar, Straus & Giroux, 2018.

Weiss, Michael & Hassan Hassan. *ISIS: Inside the Army of Terror*. New York: Regan Arts, 2015.

Wells, Matthew. "Casualties, Regime Type and the Outcomes of Wars of Occupation." *Conflict Management and Peace Sciences*. vol. 33, no. 5 (March 2015).

Whiteside, Craig. "New Masters of Revolutionary Warfare: The Islamic State Movement (2002-2016)." *Perspective on Terrorism*. vol. 10, no. 4 (August 2016).

______ & Vera Mironova. "Adaptation and Innovation with an Urban Twist: Changes to Suicide Tactics in the Battle for Mosul." *Military Review* (November-October 2017). at: https://bit.ly/2Xv85UM

Wider, Werner. "Auftragstaktik and Innere Fuhrung: Trademarks of German Leadership." *Military Review*. vol. 82, no. 5 (September-October 2002).

Witty, David M. "Iraq's Post-2014 Counter-Terrorism Service." *Policy Analysis*. Policy Focus 157. Washington Institute for Near East Policy. 2/10/2018. at: https://bit.ly/3k99GHw

Work, Pat. "Combating ISIS in Mosul." Lecture Given at the Royal Military Academy at Sandhurst. Berkshire, 8/7/2019.

Zelin, Aaron Y. "Wilayat al-Hawl: 'Remaining' and Incubating the Next Islamic State Generation." *Policy Analysis*. no. 70. The Washington Institute for Near East Policy (October 2019). at: https://bit.ly/3j6uWyh

فهرس عام